

مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية



مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي

Lebanon – Tripoli: Branche P.O. Box Abou Samra - www.jilrc.com - social@journals.jilrc.com



www.jilrc.com
ISSN 2311-5181

العام السابع - العدد 62 - مارس 2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المشرفة العامة / أ.د. سرور طالبي

المؤسس ورئيس التحرير: د. جمال بلبكاي

www.jilrc.com - social@journals.jilrc.com

التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة ومفهرسة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دوريا في كل عدد.

اهتمامات المجلة وأبعادها:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر مواقع مركز جيل البحث العلمي، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية: علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في هذه التخصصات كافة مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

هيئة التحرير:

- أ.د. عاصم شحادة علي (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)
- د. بغداد باي عبد القادر (المركز الجامعي غليزان، الجزائر)
- د. تيقان بوبكر (رئاسة جامعة التكوين المتواصل، الجزائر)
- د. سامية ابريغم (جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر)
- د. طراد طارق (جامعة خنشلة، الجزائر)
- د. طوال عبد العزيز (جامعة الجلفة، الجزائر)

رئيس اللجنة العلمية: أ.د. علي صباغ (جامعة قسنطينة 2، الجزائر)

اللجنة العلمية:

- أ.د. ودان بوغفالة (جامعة مصطفى اسطمبولي، مُعسكر، الجزائر)
- د. أحمد جلّول (جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر)
- د. بوجليدة حسان (جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر)
- د. بحري صابر (جامعة سطيف 2، الجزائر)
- د. خويلد محمد الأمين (جامعة الجلفة، الجزائر)
- د. سامية شينار (جامعة باتنة 1، الجزائر)
- د. شلّالي لخضر (المركز الجامعي أفلو، الأغواط، الجزائر)
- د. علّة المختار (جامعة الجلفة، الجزائر)
- د. فكرون زوي (جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر)
- د. نجوى نايف عبد النّبي شكوكاني (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)
- د. هاني إسماعيل رمضان (جامعة غيرون، تركيا)

أعضاء اللجنة التحكيمية الاستشارية لهذا العدد:

- أ.د. رحاب فايز أحمد سيد (جامعة بني سويف، مصر).
- د. إبراهيم إسماعيل عبده محمد (جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية).
- د. أسماء سالم علي عربي (الجامعة الأسمرية، ليبيا).
- د. اليسع حسن أحمد (جامعة طرابلس، ليبيا).
- د. حسن زربية (جامعة قفصة، تونس).
- د. سعيد علي (جامعة نغاونديري، الكاميرون).
- د. سليمان فايز قديح (جامعة الأزهر - غزة، فلسطين).
- د. علي سلطاني العاتري (جامعة تبسة، الجزائر).
- د. لطفية علي الكميثي (جامعة طرابلس، ليبيا).
- د. هديبل يمينة (جامعة البليدة 02، الجزائر).
- د. وليد رفيق محمد العياصرة (جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية).

التدقيق اللغوي:

- أ.م.د. ميعاد جاسم السراي (الجامعة المستنصرية، العراق).
- د. عبلة حسن (جامعة لينكولن، نبراسكا، الولايات المتحدة الأمريكية).
- أ. وليد الشموري (جامعة المسيلة، الجزائر).

شروط النشر



تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة، أو مؤتمر في الوقت نفسه، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
 - عنوان البحث باللغة العربية والإنجليزية.
 - اسم الباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي إليها، باللغة العربية والإنجليزية.
 - البريد الإلكتروني للباحث.
 - ملخص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12، باللغة العربية والإنجليزية.
 - الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية.
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكون البحث خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:
 - اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن ، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).
 - اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).
 - تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.
- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الإلكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك .
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة:

social@journals.jilrc.com

الفهرس

الصفحة

6

- 7 • الافتتاحية
- 9 • استخدام الأفلام الوثائقية في التدريس، خالد مطهر العدواني / جامعة صنعاء، اليمن.
- 25 • المرينسي... نحو تأسيس تصور جديد للتعامل مع التراث الديني، إبراهيم برلال/ جامعة محمد الخامس، المغرب.
- 37 • مفهوم الإرادة لدى أرثور شوبنهاور، عبد الكريم لمباركي/ جامعة محمد الخامس المغرب.
- 53 • أثر الحماية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم، علي لطفي علي قشمر/ جامعة الاستقلال، فلسطين - جيهان عبد الحافظ عبيد الأحمد/ عمان، الأردن.
- 77 • الذكاء العاطفي وعلاقته بالتوافق الزوجي لدى عينة من أساتذة جامعة الأغواط، الجزائر، سحيري زينب ♦ شارف هاجر/ جامعة عمار ثليجي الأغواط، الجزائر.
- 101 • الاتجاهات التنموية للصحافة الاقتصادية في السودان، حسام الدين صالح/ جامعة الأناضول، تركيا.
- 117 • دعم ومساندة أحرار العالم وديمقراطييه للثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962: "شبكة هنري كوريال أنموذجاً"، محمد محمدي، جامعة مسيلة، الجزائر.
- 127 • مسعودة الوزكيتية: امرأة وراء عظمة أحمد المنصور السعدي، ادريس أقبوش، جامعة ابن طفيل، المغرب.
- 137 • البعد الاجتماعي لجمعية كافل اليتيم الجزائرية الوطني، سليم عمري/ الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.
- 155 • في الثقافة والاختلاف... نحو مقارنة سوسيوثقافية للمسألة النسائية، إبراهيم بلوح/ جامعة سيدي محمد بن عبد الله، المغرب.

الافتتاحية

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، والحمد لله الذي أخرجنا من ظلمات الجهل إلى أنوار

العلم والمعرفة، أما بعد:

نضع بين أيدي الباحثين العدد الثاني والستون (62) من مجلة "جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية"،

متضمناً مساهمات العديد من الباحثين وطلبة الدراسات العليا في حقل الدراسات الإنسانية

والاجتماعية، ببحوث ومقالات متنوعة أثرت محتوى المجلة.

رجاؤنا الوحيد من قرائنا أن يزودونا بملاحظاتهم واقتراحاتهم و التي تنير لنا الطريق و تساعدنا على

التطوير.

والله وليّ التوفيق

رئيس التحرير / د. جمال بلكاي

**تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية
لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز
© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي**

استخدام الأفلام الوثائقية في التدريس Documentaries' Usage in teaching

ط.د. خالد مطهر العدواني، جامعة صنعاء، اليمن

Mr. Khaled Mutahar Al-Adwani, PhD student, Sana'a University

ملخص:

يتميز الفيلم الوثائقي بخصائص عدة تجعله وسيلة تعليمية مناسبة وناجحة، تنقل الواقع كما هو، وتقرب الزمان والمكان، وتوفر الجهد والوقت، وتحتاج إلى مهارة عند استخدامها في التدريس، حيث يمر استخدامها بعدد من الخطوات بدءاً باختيار الفيلم المناسب، والتخطيط لاستخدامه قبل العرض واثناء العرض وبعد العرض، وينبغي للمعلم استخدام الأفلام الوثائقية في التدريس لما لها من فوائد تربوية عدة.

الكلمات المفتاحية: الأفلام الوثائقية - الأفلام التعليمية - التدريس.

Abstract:

Documentary film has several characteristics that make it an appropriate and successful educational means, which transmits the reality as it is, approximates time and space, saves effort and time, and you need skill when using it in teaching. Since its use passes through a number of steps, starting with choosing the appropriate movie, and planning to use it before, during and after the presentation. The teacher should use documentaries in teaching because of its many educational benefits.

Key words: documentaries - educational films - teaching.

تمهيد:

نعيش في عصر التكنولوجيا والانفجار المعرفي، وأصبح العلم متاح على كل الوسائل المختلفة والمتنوعة، وتنوع الظواهر العلمية الطبيعية والبشرية التي تناولها المنهاج الدراسية، كما أن التدريس من أهم المهارات لنقل المعارف والعلوم بمختلف ظواهرها، وفي ظل التطور التكنولوجي والانفجار المعرفي إلى الأجيال القادمة.

ولقد تنوعت الأساليب والوسائل المستخدمة في التدريس، إلا أن استخدام الأفلام الوثائقية لم تحض بالكثر في استخدامها في المدارس على الرغم من أهميتها في تدريس الظواهر الخطيرة والمجردة ومتابعتها للأحداث وتوثيقها بالصوت والصورة، وتقريبها للزمان والمكان إلى أذهان الطلبة، لذا كان لا بد من التعرف على الأفلام الوثائقية وسبل استخدامها في عملية التدريس.

مفهوم الفيلم الوثائقي:

لقد اختلف حول تسمية الفيلم الوثائقي، فهناك من يسميه الوثائقي وهناك من يفضل التسجيلي باعتبار أن التوثيق ليس هو التسجيل حسب البعض خاصة في مصر وسوريا، وهناك من أطلق عليه تسميات أخرى كأفلام الواقع بينما يختار آخرون أفلام المعرفة أو التوعية⁽¹⁾.

وقد قام بعض رواد السينما التسجيلية في مصر والعالم العربي بترجمة المصطلح الأجنبي Documentary Film إلى اللغة العربية بالفيلم التسجيلي.. في حين أن كلمة تسجيل في اللغة العربية تعني تدوين الشيء وتأكيد تاريخه، وتفتقر بمصطلح السجلات أو المحفوظات في دواوين الحكومة والتي تعني بالوثائق الرسمية التي يجب حفظها لإثبات وقائع محددة مثل حجج ملكية العقارات وما شابه، بينما لجأ البعض الآخر إلى ترجمته بالمعنى القاموسي، وهو الفيلم الوثائقي، ولا زالت الأدبيات النقدية السينمائية تتأرجح بين استخدام مصطلح الفيلم التسجيلي، والفيلم الوثائقي كمصطلحين مترادفين ودون تفرقة بينهما بينما استخدم الأمريكيان مصطلح non fiction بمعنى الفيلم غير التمثيلي⁽²⁾.

إلا أنه يمكن القول أن أشكال الإنتاج التسجيلي هي تلك الأفلام التي تصور عناصر الطبيعة سواء كان ما تصويره مواد خاصة بالجرائد أو المجالات السينمائية أو أفلام المعرفة ذات الشكل الدرامي أو التي تعتمد على الاستطراد أو الأفلام التعليمية أو الأفلام العلمية⁽³⁾.

(1) أحمد بوغابة: الفيلم الوثائقي بين وهم الموضوعية وواقع الذاتية، المجلة الوثائقية، مجلة إلكترونية فصلية متخصصة في الفلم الوثائقي، موقع قناة الجزيرة الوثائقية، العدد (2) إبريل - يونيو 2009. على الرابط: <http://doc.aljazeera.net/magazine.html>

(2) سيد سعيد: الفيلم الوثائقي حدود الموضوعية والذاتية بين الوثيقة والحقيقة، المجلة الوثائقية، مجلة إلكترونية فصلية متخصصة في الفلم الوثائقي، موقع قناة الجزيرة الوثائقية، العدد (2) إبريل - يونيو 2009. على الرابط: <http://doc.aljazeera.net/magazine.html>

(3) منى سعيد الحديدي، وسلوى إمام علي: أسس الفيلم التسجيلي اتجاهاته واستخداماته في السينما والتلفزيون، دار الفكر العربي، القاهرة، 2004، ص 22.

ففي الوقت الراهن يركز الفيلم الوثائقي على أربعة عناصر أساسية: الصورة والتوليف والتعليق والحوار المتزامن مع الصورة، فالأفلام الوثائقية هي تلك الأعمال المنجزة انطلاقاً من مادة محددة، تشتمل على لقطات مصورة قريبة من التجربة المعاشة⁽¹⁾. وقد حددت أكاديمية فنون الصور المتحركة والعلوم الأفلام الوثائقية بأنها الأفلام التي تتعامل مع موضوعات تاريخية واجتماعية وعلمية واقتصادية، سواء تم تصويرها وقت حدوثها الفعلي أو تم إعادة تمثيلها حيث يكون التركيز على المضمون أو المحتوى الحقيقي أكثر من التركيز على الترفيه أو التسلية⁽²⁾.

وقد عرف الاتحاد العالمي للسينما التسجيلية، المشار إليه في (منى الحديدي، 2002) الفلم الوثائقي بأنه "كل طريقة للتسجيل لأي مظهر من مظاهر الواقع، وذلك بتقديمه عن طريق التصوير المباشر أو بإعادة البناء الملخص والمنطقي ليتمشى مع العقل والعاطفة من أجل إشباع الرغبة في توسيع المعرفة والإدراك وعرض المشكلات وحلولها بأمانة، وذلك في المجالات المختلفة الاقتصادية والثقافية والعلاقات الإنسانية"⁽³⁾.

ويظهر من ذلك التعريف أن للفيلم الوثائقي رسالة في إمداد وتزويد المتلقي بالمعلومات وفي تكوين اتجاهاته نحو البيئة المحيطة به من كل جوانبها، وبالتالي فهو يمثل أداة من أدوات التنمية وتكوين الرأي.

وخلص (منى الحديدي، وسلوى علي) بعد مناقشة طويلة لتعاريف الفيلم الوثائقي إلى أن الفيلم الوثائقي هو "شكل مميز من الإنتاج السينمائي، يعتمد أساساً على الواقع في مادته وفي تنفيذه، لا يهدف إلى الربح المادي بل يهتم بالدرجة الأولى بتحقيق أهداف ترتبط بالنواحي الإعلامية أو التعليمية أو الثقافية أو حفظ التراث والتاريخ، وعادة ما يتسم الفيلم التسجيلي (الوثائقي) بقصر زمن العرض، حيث يتطلب درجة عالية من التركيز خلال مشاهدته ومتابعته، وهو يخاطب في الغالب فئة أو مجموعة مستهدفة من المشاهدين وعلى أساس خصائصها يكون أسلوب المعالجة وحجم المعلومات وكيفية تناولها وتقديمها والمستوى اللغوي للتعليق المصاحب للفيلم أو للحوار القائم بين شخصياته أو نوع الموسيقى، وتتسم الأفلام التسجيلية عموماً بالجدية ويعمق الدراسة التي تسبق إعدادها"⁽⁴⁾.

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن تحديد البعد الموضوعي للفيلم الوثائقي من خلال مادته الوثائقية حيث يعتمد مصدر الصورة على الواقع الحي المباشر، أي المادة الواقعية الموجودة موضوعياً وغير المختلقة والتي تنتقل فيزيائياً على طبقة الفيلم الحساس، وحيث يمكن الاعتماد عليها كوثيقة قائمة بذاتها، وباعتبارها وثيقة فهي متزامنة مع الأحداث ومتزامنة مع هيئة الواقع لحظة تصويره، وليس هناك تنظيم شكلي مسبق للصورة إلا ما تراه العين من منظار الكاميرا، وليس لهذه الكاميرا أن تسعى إلى زينة أو زخرفة إلا ما يعرضه الواقع ذاته، وليس هناك تكتيكات للتلاعب بالصورة تفرض وجودها على الواقع⁽⁵⁾.

(1) إبراهيم زرقاني: مدارس واتجاهات في الفيلم الوثائقي: الواحد والمتعدد، المجلة الوثائقية، مجلة إلكترونية فصلية متخصصة في الفلم الوثائقي، موقع قناة الجزيرة الوثائقية، العدد (3) يوليو- أيلول 2009م، على الرابط: <http://doc.aljazeera.net/magazine.html>

(2) منى سعيد الحديدي، وسلوى إمام علي: مرجع سابق، ص 23.

(3) منى الحديدي: الأفلام الوثائقية والبرامج التسجيلية، مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، مصر، 2002، ص 28.

(4) منى سعيد الحديدي، وسلوى إمام علي: مرجع سابق، ص 24.

(5) سيد سعيد: مرجع سابق.

كما أن المدة النموذجية للفيلم التسجيلي هي (30) دقيقة وفي أحيان أخرى تكون أقل من ذلك حسب الموضوع والمادة المتوفرة والجمهور المستهدف للفيلم، حيث يطول الفيلم أحياناً إلى (90) دقيقة، ويشمل هذا القطاع، الأنواع والأشكال أو المستويات السينمائية الآتية:

الفيلم التسجيلي وفيلم الحقيقة وفيلم الرحلات وأفلام التعليم والتدريب والجريدة والمجلة السينمائية، ويمكن تقسيمها من ناحية الشكل أو الأسلوب إلى نوعين رئيسيين⁽¹⁾:

1- الأسلوب التسجيلي أو الوثائقي Documentary.

2- الأسلوب الحقيقي، الواقعي Facutal.

خصائص الفيلم الوثائقي:

يتسم الفيلم الوثائقي بعدد من الخصائص أهمها:

1. اعتماد الفيلم الوثائقي على التنقل والملاحظة والانتقاء من الحياة نفسها، ويصور المشاهد الحية والوقائع الحقيقية.
2. أشخاص الفيلم الوثائقي ومناظره تختار من الواقع الحي، فلا يعتمد على ممثلين محترفين ولا على مناظر صناعية مفتعلة.
3. مادة الفيلم الوثائقي تختار من الطبيعة رأساً دون أي تأليف، وبذلك تكون موضوعاته أكثر دقة وواقعية من المادة المؤلفة والمثثلة⁽²⁾.
4. يقوم الفيلم الوثائقي بتأسيس علاقة جديدة له مع الواقع وبمدرجات جديدة، وأحاسيس جديدة وتجربة جديدة تدعوه إلى الإنجاز أو الرفض، أو إشعال الرغبة لديه في خلق واقع جديد، والفيلم الوثائقي هنا أداة لمعرفة الواقع ووضع موضع التساؤل⁽³⁾.
5. والفيلم الوثائقي يرتبط أكثر بالنخبة العالمية من المثقفين والباحثين والمؤمنين بكون السينما وسيطاً ثقافياً ومعرفياً وليس للتسلية.
6. الفيلم الوثائقي أصدق في تعبيره لأنه يعتمد في نظرتة على حقائق ووقائع موجودة بالواقع، ويؤرخ لفترة أو حادثة أو شخصية، ويعتمد على شخصيات حية، ويشد المشاهد لأنه يعكس الحياة الواقعية.
7. الفيلم الوثائقي يعطينا إثباتات واضحة، مما يعطي لهذا الفيلم حق تغيير الناس نحو الأفضل⁽⁴⁾.

(1) منى سعيد الحديدي، وسلوى إمام علي: مرجع سابق، ص 17.

(2) انشراح الشال: السينما التسجيلية والفنان التسجيلي، دار الإيمان للطباعة، مصر، 2006، ص 87.

(3) سيد سعيد: مرجع سابق.

(4) أحمد بوغابة: مرجع سابق.

أنواع الأفلام الوثائقية:

1- الفيلم الوثائقي التعليمي:

وهو ذلك النوع من الأفلام التي تستخدم عادة كأداة أو وسيلة تعليمية تُعين المدرس والمحاضر على شرح الموضوع أو الدرس وإيصال المعلومات إلى الطلبة، وعرض الحقائق عليهم بطريقة سمعية وبصرية شيقة تعين الطلبة على الفهم والاستيعاب للمواد التي يدرسونها⁽¹⁾.

والفيلم الوثائقي التعليمي هو الفيلم الذي يربط بين المنحى التسجيلي الواقعي والعلمي في بنية تعليمية، تخدم أهدافه في التعليم وتعالج بالدرجة الأولى المواضيع التعليمية بشكل كامل ووفقاً لتفاصيل ضرورية، وتُبنى على أساس تعليمي⁽²⁾.
ومما يزيد من أهمية الفيلم الوثائقي في مجال التعليم هو أن هذا الفيلم يستخدم أحدث أساليب الفن السينمائي لخدمة العملية التعليمية⁽³⁾.

وتتسم الأفلام الوثائقية التعليمية بعدة خصائص من أهمها⁽⁴⁾:

- 1- لا تحتوي على أي بناء درامي وتكتفي بالوصف والعرض العلمي.
- 2- تعتمد اعتماداً أساسياً على تعليم وشرح المادة المعروضة.
- 3- يخضع ترتيب اللقطات للتسلسل العلمي الأمثل لشرح الموضوع.
- 4- يتم تقديم الموضوع بأكبر قدر من الإيجاز والوضوح.
- 5- أغلب الأفلام الوثائقية التعليمية أفلام تحريرية الغرض الأساسي منها هو عرض الحقائق.

2- الفيلم الوثائقي العلمي:

هو ذلك النوع من الأفلام التي تختص بمعالجة وعرض الموضوعات العلمية الخاصة بالشئون الطبية والصحية والبيئية، وخلاف هذا من الأمور التي تهتم الأخصائيين بطريقة علمية واضحة، وهذا النوع من الأفلام يمتاز بمادته العلمية الغزيرة، وهو يعالج الموضوع الذي يتضمنه بعمق وبدراسة دقيقة وبأسلوب علمي سليم.

(1) منى سعيد الحديدي، وسلوى إمام علي: مرجع سابق، ص 30.

(2) قيس الزبيدي: فيلم المعارف والعلوم مقدمة تاريخية، المجلة الوثائقية، مجلة إلكترونية فصلية متخصصة في الفلم الوثائقي، موقع قناة الجزيرة الوثائقية، العدد (7) يوليو- أيلول 2010م، على الرابط: <http://doc.aljazeera.net/magazine.html>

(3) ماجي الحلواني حسين: تكنولوجيا الإعلام في المجال التعليمي والتربوي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987، ص 74.

(4) منى سعيد الحديدي، وسلوى إمام علي: مرجع سابق، ص 30-31.

ينظر أيضاً: ماجي الحلواني حسين، مرجع سابق، ص 75-76.

3- فيلم التدريب:

يهدف هذا النوع من الأفلام إلى تفسير وشرح وتوضيح كل البيانات والمعلومات اللازمة لإكساب المهارات وزيادة المعرفة في حالات التدريب المهني ونشر الثقافة الفنية بين جماعات العمال والزّراع والجنود وغيرهم من مختلف الفئات.

4- الفيلم الإرشادي:

هو ذلك النوع من الأفلام التي يغلب عليها طابع التوجيه والإرشاد، ويقدم للجمهور معلومات صحيحة عن موضوع معين، وهو غير الأفلام التعليمية التي تقدم الموضوعات بطريقة دراسية بحتة.

ويمكن تقسيم الأفلام الوثائقية إلى الآتي⁽¹⁾:

- 1- أفلام تهتم بالتفسير والتعريف بالظواهر الطبيعية أو الكونية.
- 2- أفلام تكتفي بمجرد التوثيق والتسجيل.
- 3- أفلام تعنى بالنقد الاجتماعي.
- 4- أفلام تهتم بالتوجيه والإرشاد في الشؤون المجتمعية، أو الصحية، أو الزراعية، أو الصناعية، أو البيئية.
- 5- أفلام تعنى بالإعلام والدعاية المتزنة.
- 6- أفلام تعرض الرحلات والمناظر السياحية.
- 7- أفلام تهتم بتبسيط العلوم.
- 8- أفلام تعنى بالتراث والمواقع الأثرية.
- 9- أفلام تعرض لحياة المشاهير من الشخصيات السياسية أو العلماء أو الفنانين وأعمالهم القيمة.

استخدام الأفلام الوثائقية في التدريس:

تعتبر الأفلام المتحركة من أكثر الوسائل التعليمية انتشاراً، وقد توفرت الأفلام في كل موضوع من الموضوعات التي يحتاجها المعلم في تدريسه وعلى جميع المستويات، وينبغي أن يتعرف المدرس على خواص هذه الوسيلة وأهميتها في التعليم، وأن يقف على أهم نتائج البحوث العلمية التي أجريت في هذا المجال حتى يتيسر له اختيار الأفلام المناسبة واستخدامها بالطرق التي تؤدي إلى تحقيق الهدف من استعمالها⁽²⁾.

الفوائد التربوية لاستخدام الأفلام الوثائقية في التدريس:

- 1- إنها تجسد واقع الحقائق والظواهر شكلاً وحركة لا تصل إليها أية وسيلة تعليمية أخرى وهذا يدرك الطلبة الواقع بشكل حي ومجسد⁽³⁾.

(1) منى الحديدي: مرجع سابق، ص 33.

(2) حسين حمدي الطوبجي: وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، ط(9)، دار القلم، الكويت، 1987، ص 147.

(3) صباح محمود، وإبراهيم القاعد، ومحمد أحمد عقلة المومني: طرائق تدريس الجغرافيا، دار الأمل، الأردن، ط(1)، 1996، ص 204.

- 2- التشويق: وذلك بسبب ما يحتويه الفيلم من عناصر الحركة والصوت والألوان، إضافة إلى حسن إخراجهِ والتعليق العلمي وطريقة عرضه الصحيحة.
- 3- توفير الوقت والجهد في التعليم: لأن التعلم بواسطة الفيلم أكثر متعة، ولأنه يرصد لإنتاجية الخبرات والكفاءات التي لا تستطيع توفيرها في كل حجرة دراسة.
- 4- مقاومة المادة المتعلمة للنسيان؛ لأن المادة المتعلمة تستخدم أكثر من حاسة في تعلمها.
- 5- تعليم مهارات يصعب تعلمها بالطريقة النظرية، مثل: مهارات مواجهة إحدى الكوارث الطبيعية.
- 6- تعليم مفاهيم وأفكار يصعب شرحها نظرياً⁽¹⁾، مثل: دوران الأرض، تكون العواصف والأعاصير... الخ.
- 7- تسجيل الأمور الطارئة: مثل الكوارث، الحروب، الخسوف والكسوف.
- 8- تسجيل الأمور الخطيرة التي يستحيل عرضها حقيقة أمام التلاميذ، مثل: التجارب النووية التي يتم تصويرها بواسطة كاميرا خاصة.
- 9- تجاوز حدود الزمان والمكان، والإدراك البصري المحدد: حيث تصوير الأماكن الأثرية في أية بقعة في العالم وجلبها إلى حجرة الدرس دون عناء وتكلفة، إضافةً إلى تصوير أمور لا تراها العين المجردة.
- 10- تؤثر إيجابياً وسلبياً على الميول والاتجاهات عند المتعلم وتعمل على تغيير السلبي وتثبيت الإيجابي⁽²⁾.
- 11- توضح بعض المفاهيم العلمية المجردة التي يصعب على المتعلمين إدراك معناها بالقراءة عنها مثل: الجاذبية الأرضية، الطاقة الشمسية، المجال المغناطيسي، وغيرها.
- 12- تعمل على تقريب الفروق في الخبرات بين أفراد الجماعة الواحدة، ويظهر ذلك عندما يعرض الفيلم لمشكلة واحدة، يجد فيها الجميع مجالاً مشتركاً للحوار والمناقشة وإبداء الرأي⁽³⁾.
- التدريس بواسطة الأفلام الوثائقية:**

تختلف طرق استخدام الأفلام بحسب عدد من العوامل منها:

- نوع التعليم المطلوب (مهمي، لفظي، انفعالي)، وطبيعة المتعلم وخبرته السابقة بالأشياء المحسوسة، ففائدة الفيلم تنبع من نوع الخبرات التي يعرضها الفيلم أكثر من الاعتماد على شد الانتباه، وكذلك طبيعة الموضوع، فحتى يصبح الفيلم واحداً من المصادر المعرفية الهامة، ينبغي أن يتضمن جميع مصادر المعرفة التي لا يسهل الحصول عليها⁽⁴⁾.
- وقد أجريت البحوث العلمية الكثيرة لدراسة أفضل الظروف والأساليب للاستفادة من هذه الأفلام، وينبغي للمعلم أن يقف على أهم نتائج هذه البحوث لهتدي بها في رسم إستراتيجية الاستعانة بالأفلام.

(1) عبد الحافظ محمد سلامة: وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، دار الفكر، عمان، ط(6)، 2006، ص346-347.

(2) بشير عبد الرحيم الكلوب: التكنولوجيا في عملية التعلم والتعليم، دار الشروق، عمان، ط(2)، 1993، ص195-198.

(3) محمد السيد علي: تكنولوجيا التعليم والوسائل التعليمية، دار ومكتبة الإسراء، طنطا، 2009، ص171-172.

(4) عبد الحافظ محمد سلامة: مرجع سابق، ص454.

بعض نتائج البحوث العلمية حول استخدام الأفلام في التدريس⁽¹⁾:

- (1) يمكن الاعتماد على الأفلام في تدريس بعض المفاهيم والحقائق المعرفية والمهارات الحركية عندما تتوفر فيها الشروط المناسبة من حيث صحة المادة العلمية وطريقة العرض والإخراج.
- (2) يزداد التعلم والاستفادة من الأفلام عند مراعاة النواحي الآتية:
 - إخبار الطلبة قبل عرض الفيلم بما يتوقع أن يتعلمونه منه وأنه سيتم اختبارهم في محتوياته بعد العرض. وبذلك ينظر الطلبة للفيلم على أنه وسيلة للتعلم وليس وسيلة للترفيه.
 - يقوم المدرس بتقديم الفيلم وتوضيح أهميته والغرض من عرضه وبيان الصلة بينه وبين موضوع الدراسة.
 - تكرار عرض الفيلم حسب الحاجة مع إجراء اختبار قبل عرض الفيلم وبعده لمعرفة مقدار ما يعرفه المشاهد عن محتويات الفيلم قبل مشاهدته وما تم تحصيله بعد ذلك وتقديم التعزيز الفوري للمعلومات أو الخبرات التي حصل عليها.
- (3) يمكن تكوين الاتجاهات الإيجابية عند الطلبة نحو بعض موضوعات الدراسة عن طريق مشاهدة بعض الأفلام المختارة بعناية.
- (4) يؤدي استخدام الأفلام المناسبة إلى تحقيق أمور ثلاثة: زيادة مقدار ما يتعلمه الطلبة مع اختصار الوقت اللازم للتعليم، وزيادة فترة الاحتفاظ بهذه المعلومات، ويتم قياس ذلك عادة عن طريق اختبارات التحصيل.
- (5) استخدام الأفلام مع غيرها من الوسائل التعليمية يحقق نتائج أفضل من استخدام كل منها على حدة، كما أن استخدامها بوجود المدرس أفضل تأثير من استخدامها لوحدها دون وجود المدرس.
- (6) تؤدي مشاهدة الأفلام المتحركة إلى زيادة الأنشطة التعليمية الأخرى، فقد أشارت بعض هذه الدراسات إلى زيادة إقبال الطلبة على القراءة والذهاب إلى المكتبة واستعارة الكتب بعد مشاهدة هذه الأفلام ويرجع ذلك إلى قدرة الأفلام على استثارة اهتمام التلميذ واستمالاته نحو موضوع الفيلم مما ترتب عليه زيادة رغبته في الحصول على الخبرة في هذا المجال بمختلف الطرق.

(1) ينظر الدراسات الآتية:

- سالم عبد الله الموسوي: أثر استخدام كل من الأفلام التعليمية والمجسمات في تحصيل طلاب الصف الثالث المتوسط في مادة الأحياء، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد، 1989.
- صلاح بن مبارك الدباسي(ب): أثر استخدام الفيلم التعليمي المسجل على شريط الفيديو في تعليم مناسك الحج، مركز البحوث التربوية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، 1992.
- كمال بن سعد عطية العدواني الزهراني: تأثير استخدام أشرطة الفيديو التعليمية في تعلم بعض مهارات كرة القدم لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، 2002.
- عبد الكريم عبد الله يحيى البكري: بناء برنامج فيديو تعليمي في مادة التاريخ ومعرفة أثره في التحصيل والاحتفاظ لدى طلبة الصف السادس الأساسي في الجمهورية اليمنية، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد، 2003.
- محمد أحمد صالح ثوابه: أثر استخدام الفيديو في تدريس الأحياء العملية بالمدارس الثانوية في الجمهورية اليمنية، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، قسم تقنيات التعليم، 2004.
- عمر سيف أحمد ردمان: أثر استخدام مشاهد فيديو تعليمية على تحصيل تلامذة الصف السادس من التعليم الأساسي في مجال السيرة النبوية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، جامعة صنعاء، 2011.

(7) تساعد مشاهدة الأفلام على تنمية القدرة على التفكير وحل المشكلات فقد تبين أن المشاهد يتذكر محتويات الفيلم نتيجة لفهمه للموضوع وإدراكه العلاقات بين عناصره وليس لمجرد حفظه لواقع الدرس، كما أن من يتعلم عن طريق الأفلام يكون أقدر على تطبيق ما تعلمه أكثر ممن يتعلم بدونها ويكتفي بالتعليم عن طريق الشرح النظري والإلقاء حيث تقدم الأفلام الأساس المحسوس لاكتساب الخبرة.

خطوات استخدام الأفلام الوثائقية في التدريس:

إن نجاح استخدام أي فيلم في تدريس أحد الموضوعات، يتوقف إلى حد كبير على ما يقوم به المدرس من رسم إستراتيجية متكاملة للاستفادة منه. وفي غياب هذا التخطيط تقل الفائدة المرجوة من مشاهدته وتغلب عند الطلبة النظرة الترفيهية للأفلام فكثير ما يجمع بعض المدرسين عدة صفوف دراسية في قاعة العرض لمشاهدة أحد الأفلام دون إعداد سابق لذلك، ثم يسمحون لهم بالانصراف مباشرة دون مناقشة للفيلم وتقييم لتحصيل الطلبة، ولضمان نجاح استخدام الأفلام يجب أن تتوفر العناصر الآتية عند إعداد إستراتيجية استخدام الأفلام:

أولاً: اختيار الفيلم:

ويراعى في اختيار الفيلم عدة شروط أهمها، مدى اتصاله بأهداف الدرس ودقة المادة العلمية وصحتها⁽¹⁾، وطريقة إخراج الفيلم وعرض الموضوع ومناسبته لأعمار الطلبة وخبراتهم⁽²⁾، إضافة إلى سلامته الفنية كوضوح الصورة، الألوان، وضوح الصوت وسرعته، حتى لا يتعرض إلى إشكالات عرض الفيلم⁽³⁾، ويفضل إشراك الطلبة في اختيار الفيلم المناسب وإعداد الغرفة وتشغيل جهاز العرض⁽⁴⁾.

ثانياً: التخطيط لاستخدام الفيلم:

وبعد ذلك يقوم المدرس برسم خطة لاستخدام الفيلم لتحقيق أهداف سلوكية محددة وتشتمل هذه الخطة على الأنشطة التي يقوم بها المدرس والتلاميذ قبل وأثناء العرض وبعد الانتهاء منه وكذلك طريقة تقييم مدى تحقيق هذه الأهداف⁽⁵⁾.

أ) قبل العرض:

- 1- مشاهدة الفيلم قبل عرضه للتأكد من مدى مناسبته لتحقيق أهداف الدرس وإذا كانت هناك بعض اللقطات التي يجب حذفها لعدم مناسبتها لعادات وتقاليد وقيم المجتمع خاصة إذا كان الفيلم من إنتاج الدول الأجنبية⁽⁶⁾.
- 2- كتابة ملخص لمحتويات الفيلم وطريقة عرضه لعناصر الموضوع.

(1) محمد نجيب بن حمزة أبو عظمة: المدخل إلى الوسائل التعليمية وتقنياتها، مكتبة أبو عظمة للكتب والقرطاسية، المدينة المنورة، ط(2)، 2003، ص254.

(2) عبد الحافظ سلامة: مرجع سابق، ص347.

(3) صباح محمود، وآخرون: مرجع سابق، ص206.

(4) حسين الطويجي: مرجع سابق، ص153.

(5) المرجع السابق، ص153.

(6) عبد الحافظ محمد سلامة: مرجع سابق، ص348.

3- تحديد الأهداف السلوكية التي نتوقع أن يؤديها التلاميذ كنتيجة لمشاهدة الفيلم⁽¹⁾.

4- تحديد القضايا التي سيدور حولها النقاش وإعداد الأسئلة التي ستطرح حولها⁽²⁾.

5- تنمية استعداد الطلبة للتعلم عن طريق مناقشة موضوع الفيلم وبيان العلاقة بينه وبين موضوع الدراسة وتحديد ما نتوقع منه بعد مشاهدة الفيلم⁽³⁾.

6- إعداد المكان للعرض من حيث ملاحظة توافق التيار الكهربائي مع جهاز العرض وإعداد المكان بوسائل الإعتام المناسبة وغير ذلك⁽⁴⁾.

7- إعداد العرض وتركيب الفيلم وضبط الصورة والصوت وتحديد مكان شاشة العرض وجلس الطلبة⁽⁵⁾.

ب) أثناء العرض:

يجب أن يقتصر دور المدرس على توجيه انتباه الطلبة نحو النقاط الرئيسية في الفيلم وما يجب ملاحظته لمساعدة الطلبة على معرفة الإجابة على الأسئلة المطروحة⁽⁶⁾. وقد يكتفي المدرس أحياناً بعرض الصورة دون الصوت أو بشرح بعض النقاط الغامضة التي يتوقف فهم موضوع الفيلم على توضيحها⁽⁷⁾.

كما يمكن أن يتولى بعض الطلبة مسئولية التعليق على الفيلم⁽⁸⁾، المهم أن يتحاشى المدرس الإطناب والإطالة في التعليق على الفيلم بما قد يجلب الملل أو يصرف التلميذ عن دقة الملاحظة وتتبع وقائع العرض⁽⁹⁾.

يستطيع المعلم وضع بعض الأسئلة وتوجيهها إلى الطلبة بالتزامن مع لقطات الفيلم المعروضة، وذلك لتنشيط المشاهدة وتفعيلها ولفت انتباه الطلبة إلى الأمور المهمة في الفيلم⁽¹⁰⁾.

هناك بعض العوامل التي تؤثر في طريقة عرض الفيلم أثناء الدرس منها⁽¹¹⁾:

1- المعلم: من حيث فهمه لخصائص الأفلام المتحركة وأهميتها، ودورها في التعليم، الخبرة التي تقدمها، وكذلك اتجاهاته نحو تلك الأفلام، وقناعاته بها كوسيلة اتصال تعليمية تعلمية.

2- محتوى الفيلم: والأفكار التي يتضمنها، وطريقة عرضها وإخراج الفيلم.

(1) حسين الطويجي: مرجع سابق، ص 153.

(2) محمد السيد علي: مرجع سابق، ص 176.

(3) بشير عبد الرحيم الكلوب: الوسائل التعليمية التعليمية إعدادها وطرق استخدامها، مكتبة المحتسب، عمان، ط(5)، 1989، ص 60-61.

(4) محمد أبو عظمة: مرجع سابق، ص 254.

(5) محمد محمود الحيلة: تكنولوجيا التعليم بين النظرية والتطبيق، دار المسيرة، عمان، ط(5)، 2007، ص 263.

(6) عبد الحافظ سلامة: مرجع سابق، ص 348.

(7) بشير الكلوب: (1989)، مرجع سابق، ص 60-61.

(8) محمد أبو عظمة: مرجع سابق، ص 254.

(9) حسين الطويجي: مرجع سابق، ص 154. ينظر أيضاً: محمد الحيلة: المرجع السابق، ص 263.

(10) محمد إبراهيم قطاوي: طرق تدريس الدراسات الاجتماعية، دار الفكر، عمان، الأردن، ط(1)، 2007، ص 384.

(11) محمد السيد علي: مرجع سابق، ص 176-177.

3- نوع النشاط الذي يخطط للطلبة: مثل وضع نوع من الاختبار القبلي لتوجيه انتباه الطلبة للأفكار الرئيسية التي يتضمنها الفيلم، أو لتحديد مستوى الطلبة قبل العرض ومدى معرفتهم عن الموضوع، وهل سيتم التعليق على الفيلم من قبل المعلم، أو بعض الطلبة، أو الفيلم نفسه.

ج) بعد العرض:

من المبادئ المسلم بها ضرورة الإجابة على الأسئلة أو المشكلات التي أثرت قبل العرض ومناقشتها وتقييم تحصيل الطلبة لمعرفة ما تحقق من أهداف الدرس⁽¹⁾، إذ يتوقف على ذلك تعديل استراتيجية الدرس كإعادة عرض الفيلم أو إجراء بعض التجارب التوضيحية أو غير ذلك⁽²⁾ ثم إن انصراف الطلبة بعد مشاهدة الفيلم التعليمي مباشرة ليترك لديهم الانطباع بعدم جدية استخدام الفيلم للأغراض التعليمية وتؤكد الاعتبار السائد عند البعض بأن الأفلام تستخدم للأغراض الترفيهية غالباً⁽³⁾.

ويمكن للمعلم أن يوجه الطلبة إلى القيام بنشاطات متصلة بموضوع (الفيلم)، مثل حل مسائل وأمثلة عن مادة (الفيلم)، أو توجيه الطلبة لقراءة أجزاء معينة موجودة في الكتاب تؤدي إلى بناء علاقة بين ما عرض في الفيلم، وبين ما هو موجود في الكتاب، أو القيام بمشروع معين عن موضوع الفيلم، أو إيجاد علاقة بين مادة البرنامج والوظائف البيئية للطلبة⁽⁴⁾.

د) المتابعة:

يجب النظر إلى عرض الفيلم على أنه جزء من إستراتيجية شاملة للتدريس تهدف إلى تهيئة مجالات الخبرة المختلفة لتحقيق الأهداف التعليمية⁽⁵⁾. ولذلك يجب أن يعقب مشاهدة الفيلم ألواناً من الأنشطة التعليمية التي تؤدي إلى تكامل هذه الخبرة ونموها مثل كتابة التقارير أو القيام بالزيارات الميدانية أو عمل اللوحات أو غير ذلك مما يؤديه الطلبة فرادى أو في مجموعات⁽⁶⁾ بحيث يؤدي كل نشاط إلى الاستزادة من المعرفة أو اكتساب بعض المهارات أو تحقيق بعض الاتجاهات أو تنمية الميول والعادات السليمة⁽⁷⁾.

دور المعلم مستخدم الفيلم الوثائقي:

يمكن تحديد دور المعلم عند استخدام الفيلم التعليمي في الآتي⁽⁸⁾:

- 1- تهيئة المتعلمين لمشاهدة البرنامج بمقدمة تشوقهم، وتحفزهم إلى التعلم.
- 2- تعزيز التعلم بالمناقشة وإجراء الحوارات الهادفة، وتصحيح الإجابات.

(1) حسين الطوبجي: مرجع سابق، ص 154.

(2) محمد أبو عظمة: مرجع سابق، ص 255.

(3) عبد الحافظ سلامة: مرجع سابق، ص 348.

(4) محمد قطاوي: مرجع سابق، ص 384-385.

(5) محمد الحيلة: مرجع سابق، ص 264.

(6) محمد أبو عظمة: مرجع سابق، ص 255-256.

(7) حسين الطوبجي: مرجع سابق، ص 154-155. ينظر أيضاً: بشير الكلوب (1989). مرجع سابق، ص 60-61.

(8) محمد ثوابة: مرجع سابق، ص 45.

- 3- تشجيع المتعلمين بعد نهاية العرض على مواصلة البحث والإجابة على المشكلات المطروحة.
- 4- تشجيع المتعلم على تسجيل أو استعارة فيلم تعليمي ليتعلم منه في المنزل بحسب سرعته الخاصة.
- 5- استعمال بطاقات ملاحظة مرنة تناسب شروط الدرس ومحتواه.
- 6- يجري تقييماً نهائياً للدرس.

أجهزة عرض الأفلام الوثائقية:

تتمثل في التلفاز والأجهزة المرتبطة به من فيديو VCD وDVD بالإضافة إلى جهاز الحاسوب، وجهاز الداتا شو أو ما يعرف باسم جهاز عرض الوسائط المتعددة Multimedia Projector وهو من أهم وسائل الاتصال البصرية وأكثرها انتشاراً، ومن أحدث وأهم الأجهزة نظراً لما يتوافر فيه من مزايا متعددة تناسب واحتياجات الخبراء والمشرفين بخاصة، والمعلمين والعاملين في مجال التدريب بعامة من خلال تقديم عروض مبتكرة بالصوت والصورة ذات جودة عالية بدون الحاجة إلى إعتام مكان العرض⁽¹⁾، "ويستخدم في عرض المواد التعليمية الحاسوبية من جهاز الحاسوب، أو الفيديو الموجودة على شريط الفيديو، أو من جهاز التلفزيون"⁽²⁾، ويطلق عليه عدة أسماء مثل: عارض البيانات (Data show)، وجهاز، عرض البيانات والفيديو (Data Video/Projector)، وجهاز العرض البلوري السائل (LCD Projector)⁽³⁾.

مزايا جهاز عرض الوسائط المتعددة Multimedia Projector :

- يتلاءم مع مجموعة من مداخل الوسائط المتعددة مثل إشارات الفيديو المختلفة، والصوت، وبيانات الحاسوب، وكاميرات التصوير الرقمية الثابتة وغيرها.
- يعطي صوراً كبيرة ذات ألوان فائقة الجودة دون الحاجة إلى إعتام مكان العرض بسبب المعايير البصرية التي يتمتع بها الجهاز⁽⁴⁾.
- يمنح المستخدم تحكماً أكبر بالمكان من خلال عدسات (الزوم) الخاصة القابلة للامتداد ويمكن لها أن تعرض صور بحجم (300-60 بوصة) من مسافة لا تزيد عن المترين.
- خفيفة الوزن وصغيرة الحجم؛ لذا يسهل حمل بعض أنواعها ونقلها من مكان إلى آخر.
- يسهل تشغيله واستخدامه، ويمكن الوصول إلى خيارات الضبط من خلال لوحة تحكم على سطح الجهاز أو باستخدام التحكم عن بعد.

(1) محمد الحيلة: مرجع سابق، ص 337-338.

(2) صفوت عبد الحميد علي: دور الكاميرا الوثائقية التليفزيونية وجهاز عرض البيانات في حل مشكلات أجهزة العروض الضوئية التعليمية التقليدية، علوم وفنون، المجلد العشرون، العدد الثالث، 2008، ص 103.

(3) محمد قطاوي: مرجع سابق، ص 379-380.

(4) محمد الحيلة: مرجع سابق، ص 338.

• يساعد المعلم على عرض مادته بشكل متسلسل وجذاب وهو يواجه الفئة المستهدفة، ويحافظ على اتصاله البصري معهم مما يزيد التفاعل بينهم ويثير دافعيتهم نحو تعلم فاعل⁽¹⁾.

• الجهاز مزود بوظائف متعددة مثل تكبير رقمي للصورة، وإيقاف الصورة، وصورة داخل صورة (PIP)، وغيرها من الميزات.

• ويمكن استخدام هذه الأجهزة للاستفادة من البرامج التلفزيونية الموازية عن طريق التلفزة المدرسية، أو عن طريق الفضائيات التربوية الوطنية والدولية وخاصة البرامج المتخصصة في التاريخ والجغرافيا أو التي لها علاقة بها⁽²⁾.

خاتمة:

تعتمد الأفلام الوثائقية أساساً على الواقع في مادتها وفي تنفيذها، وتتسم بقصر زمن العرض، وتخطب فئة أو مجموعة مستهدفة من المشاهدين، وتصنف إلى أنواع منها الفيلم الوثائقي التعليمي والذي يستخدم كوسيلة تعليمية تساعد المدرس على شرح الدرس وإيصال المعلومات للطلبة.

ولقد أجريت عدد من الدراسات العلمية لتحديد الأساليب الأفضل للاستفادة من هذه الأفلام في التدريس وتحديد الأدوار التي يقوم بها المعلم، والخطوات الإجرائية لتنفيذ الدرس باستخدام الأفلام الوثائقية.

لذا فإن الأفلام الوثائقية مهمة في التدريس، وأن عملية التدريس باستخدامها يمر بمراحل؛ اختيار الفيلم، والتخطيط والتنفيذ والمتابعة، وأن للمعلم أدوار ينبغي القيام بها، وأن لها فوائد تربوية عديدة تجعلها وسيلة تعليمية مناسبة.

ويوصي الباحث باستخدام الأفلام الوثائقية في التدريس لجميع المواد الدراسية، وعلى المعلم التدرب على مهارات استخدامها في التدريس.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم زرقاني: مدارس واتجاهات في الفيلم الوثائقي: الواحد و المتعدد، المجلة الوثائقية، مجلة إلكترونية فصلية متخصصة في الفلم الوثائقي، موقع قناة الجزيرة الوثائقية، العدد(3) يوليو- أيلول 2009م، على الرابط: <http://doc.aljazeera.net/magazine.html>

2. أحمد بوغابة: الفيلم الوثائقي بين وهم الموضوعية وواقع الذاتية، المجلة الوثائقية، مجلة إلكترونية فصلية متخصصة في الفلم الوثائقي، موقع قناة الجزيرة الوثائقية، العدد(2) إبريل- يونيو 2009- على الرابط: <http://doc.aljazeera.net/magazine.html>

3. انشراح الشال: السينما التسجيلية والفنان التسجيلي، دار الإيمان للطباعة، مصر، 2006.

4. بشير عبد الرحيم الكلوب: التكنولوجيا في عملية التعلم والتعليم، دار الشروق، عمان، ط(2)، 1993.

5. بشير عبد الرحيم الكلوب: الوسائل التعليمية التعليمية إعدادها وطرق استخدامها، مكتبة المحاسب، عمان، ط(5)، 1989.

(1) صفوت علي: مرجع سابق، ص 104.

(2) محمد الحيلة: المرجع السابق، ص 338-339.

6. حسين حمدي الطوبجي: وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، دار القلم، الكويت، ط(9)، 1987.
7. سالم عبد الله الموسوي: أثر استخدام كل من الأفلام التعليمية والمجسمات في تحصيل طلاب الصف الثالث المتوسط في مادة الأحياء، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد، 1989.
8. سيد سعيد: الفيلم الوثائقي حدود الموضوعية والذاتية بين الوثيقة والحقيقة، المجلة الوثائقية، مجلة إلكترونية فصلية متخصصة في الفلم الوثائقي، موقع قناة الجزيرة الوثائقية، العدد(2) إبريل- يونيو 2009، على الرابط: <http://doc.aljazeera.net/magazine.html>
9. صباح محمود، وإبراهيم القاعود، ومحمد أحمد عقلة المومني: طرائق تدريس الجغرافيا، دار الأمل، الأردن، ط(1)، 1996.
10. صفوت عبد الحميد علي: دور الكاميرا الوثائقية التلفزيونية وجهاز عرض البيانات في حل مشكلات أجهزة العروض الضوئية التعليمية التقليدية، علوم وفنون، المجلد العشرون، العدد الثالث، 2008.
11. صلاح بن مبارك الدباسي: أثر استخدام الفيلم التعليمي المسجل على شريط الفيديو في تعليم مناسك الحج، مركز البحوث التربوية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، 1992.
12. عبد الحافظ محمد سلامة: وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، دار الفكر، عمان، ط(6)، 2006.
13. عبد الكريم عبد الله يحيى البكري: بناء برنامج فيديو تعليمي في مادة التاريخ ومعرفة أثره في التحصيل والاحتفاظ لدى طلبة الصف السادس الأساسي في الجمهورية اليمنية، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد، 2003.
14. عمر سيف أحمد ردمان: أثر استخدام مشاهد فيديو تعليمية على تحصيل تلامذة الصف السادس من التعليم الأساسي في مجال السيرة النبوية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، جامعة صنعاء، 2011.
15. قيس الزبيدي: فيلم المعارف والعلوم مقدمة تاريخية، المجلة الوثائقية، مجلة إلكترونية فصلية متخصصة في الفلم الوثائقي، موقع قناة الجزيرة الوثائقية، العدد (7) يوليو- أيلول 2010م، على الرابط: <http://doc.aljazeera.net/magazine.html>
16. كمال بن سعد عطية العدواني الزهراني: تأثير استخدام أشرطة الفيديو التعليمية في تعلم بعض مهارات كرة القدم لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، 2002.
17. ماجي الحلواني حسين: تكنولوجيا الإعلام في المجال التعليمي والتربوي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987.
18. محمد إبراهيم قطاوي: طرق تدريس الدراسات الاجتماعية، دار الفكر، عمان، الأردن، ط(1)، 2007.
19. محمد أحمد صالح ثوابه: أثر استخدام الفيديو في تدريس الأحياء العملية بالمدارس الثانوية في الجمهورية اليمنية، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، قسم تقنيات التعليم، 2004.
20. محمد السيد علي: تكنولوجيا التعليم والوسائل التعليمية، دار ومكتبة الإسراء، طنطا، 2009.
21. محمد محمود الحيلة: تكنولوجيا التعليم بين النظرية والتطبيق، دار المسيرة، عمان، ط(5)، 2007.
22. محمد نجيب بن حمزة أبو عظمة: المدخل إلى الوسائل التعليمية وتقنياتها، مكتبة أبو عظمة للكتب والقرطاسية، المدينة المنورة، ط(2)، 2003.

23. منى الحديدي: الأفلام الوثائقية والبرامج التسجيلية، مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، مصر، 2002.
24. منى سعيد الحديدي، وسلوى إمام علي: أسس الفيلم التسجيلي اتجاهاته واستخداماته في السينما والتلفزيون، دار الفكر العربي، القاهرة، 2004.

المرنيسي... نحو تأسيس تصور جديد للتعامل مع التراث الديني

Mernissi.. Towards establishing a new perception of dealing with the Islamic religious heritage

الباحث إبراهيم برلال/جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية

Ibrahim Parlal/Researcher at university of Mohammed V-Rabat

ملخص:

تعتبر الباحثة السوسولوجية المغربية فاطمة المرنيسي من أهم الباحثات والباحثين السوسولوجيين الذين اهتموا بمعالجة سؤال النوع الاجتماعي بالعالم العربي. لذلك تهدف هذه المقالة إلى محاولة تقديم قراءة تحليلية تركيبية لكتابها "الحريم السياسي، النبي والنساء". وهو الكتاب الذي يحاول تتبع الجذور التاريخية والعوامل السياسية والاجتماعية التي أدت إلى استبعاد المرأة من المجال العام وبالتالي إبعادها عن المجال السياسي، وذلك من خلال القيام بقراءة نقدية للتراث الديني الإسلامي انطلاقاً من بعض الأحاديث التي تحط من شأن المرأة والتي تنسب إلى الرسول. وهو بحث ينطلق من ظواهر اجتماعية في الواقع المعيش ليصل إلى تفسير سوسيوثقافي لها، وهي إحدى الخصائص المميزة للبحث السوسولوجي المعتمد على المنهج التاريخي. كما أن هذه المقاربة لها قدرة تفسيرية كبيرة لواقع المجتمعات العربية.

كلمات مفتاحية: التراث الديني الإسلامي، إقصاء المرأة، الأحاديث النبوية، المجال العام.

Abstract:

Moroccan sociological researcher Fatima Mernissi is considered one of the most important sociological researchers who were interested in addressing the gender question in the Arab world, so this article aims to attempt to provide a synthetic analytical reading of her book "The Political Harem The Prophet and the Women", a book that tries to trace the historical roots and political and social factors that led to the exclusion of women from the public sphere and thus their exclusion from the political sphere, by doing a critical reading of the Islamic religion heritage based on some hadiths that denigrate women and that are attributed to the Prophet. It is a research starts from social phenomena in the reality of living to reach a sociohistorical interpretation of it, which is one of the distinguishing characteristics of sociological research based on the historical method. Also, this approach has a great explanatory ability to the reality of Arab societies.

Key words: Islamic religious heritage, the exclusion of women, the hadiths of the Prophet, Public sphere.

تقديم:

لا يختلف اثنان حول التأثير الكبير الذي أحدثته فكر الباحثة السوسيولوجية المغربية فاطمة المرنيسي في الأوساط الفكرية، والثقافية، والسياسية العربية، بل وحتى على المستوى العالمي. إذ أن الأبحاث التي أنجزتها منذ سبعينيات القرن العشرين، والتي أخذت شكل تراكم بحثي معرفي حول موضوع المرأة بالخصوص، كان لها صدا قويا لدى الباحثين في العلوم الانسانية والاجتماعية. وحرى بنا هنا الاشارة إلى أن السياق الذي كان يؤطر أعمال المرنيسي كان مفعم بالنضال من أجل تحرير المرأة من قبضت التقاليد البالية والتراث الديني عموما، والذي صار التشكيك في مصداقيته كليا أمرا منتشرا في الأوساط الفكرية العربية منذ مدة خلت. في هذا السياق انصبت الدراسات السوسيولوجية بالمغرب على دراسة مواضيع متعددة تهتم بمختلف القضايا المتعلقة بالمرأة، كدراسات مليكة بلغيثي (1969، 1978)، وفاطمة المرنيسي (1975، 1983، 1991)، وسمية نعمان جوسوس (1988، 2000)1... في هذه النقطة بالذات سنحاول تتبع أحد أعمال المرنيسي الذي هو: "الحريم السياسي، النبي والنساء" (Le harem politique – Le Prophète et les femmes)، والذي صدر باللغة الفرنسية سنة 1987 وتمت ترجمته إلى اللغة الإنجليزية سنة 1991 تحت عنوان مغاير للعنوان الأصلي (The Veil and the Male Elite: A Feminist Interpretation of Islam. New York: Basic Books). أما الترجمة إلى العربية فقد قام بها الأستاذ المحامي عبد الهادي عباس ونشر الكتاب من طرف دار الحصاد للنشر والتوزيع بدمشق. غير أنه لم يتضمن سنة النشر، وإن كانت التقديرات ترجح أنه نشر في الفترة الممتدة ما بين صدوره باللغة الفرنسية إلى حدود ترجمته إلى اللغة الانجليزية، وهي ترجمة نخون أحيانا المبتغى المعرفي الذي كانت تقصده المرنيسي. سنحاول إذا القيام بقراءة في هذا الكتاب، وبالتحديد في القسم الأول منه نظرا لاعتقادنا أن القسم الأول من الكتاب يتضمن الروح العامة التي توجه الكتاب منهجيا ومعرفيا، لذلك ستقوم قراءتنا على إشكالية أساسية صغناها كالتالي: كيف يمكن فهم ما جاء به كتاب "الحريم السياسي، النبي والنساء" على ضوء الخلفيات المنهجية والإبستمية التي حركت ووجهت فاطمة المرنيسي في هذا العمل البحثي؟.

نشير كذلك إلى أن هذا الكتاب تم حضره في المغرب إلى حدود سنة 1998، كما أن الباحثة تعرضت إلى مضايقات وهجمات من طرف مجموعة من الأصوات والجهات التي تزعمها الحركة السلفية الإسلامية منذ صدور أول كتاب لها سنة 1975 باللغة الإنجليزية تحت عنوان: (Beyond the Veil: Male-Female Dynamics in a Muslim Society)، وهو ما يمثل نوعا من الإرهاب الفكري بالمعنى الذي يعطيه له الدكتور عبد الإله بلقزيز². لذلك نسعى من خلال مساهمتنا هذه إلى تقديم قراءة متأنية لعمل الباحثة بعيدا عن التيارين اللذين اقتنصا هذا العمل بشكل متطرف؛ أعني الحركات النسوية التي أخذت توظفه لخدمة إيديولوجيتها، وكذلك الحركات الإسلامية المتشددة التي رفضته وأعلنت الحرب على صاحبته. وهي محاولة تهدف إلى تقديم قراءة للكتاب من الداخل وفق منهجية تحليلية تركيبية.

¹-[La sociologie au Maroc, Hassan RAchik et RahmaBourqia, 2011 : <http://journals.openedition.org/sociologies/3719>.

²بلقزيز عبد الإله، نهاية الداعية: الممكن والممتنع في أدوار المثقفين، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2010، ص 79.

أولاً: مدخل لمقاربة استبعاد المرأة من الحياة السياسية والاجتماعية:

تخالف الباحثة السوسيولوجية المغربية فاطمة المريني الأعراف الكلاسيكية النمطية في الكتابة منذ أول جملة في كتابها هذا، حيث تبدأ مقدمتها بسؤال حاسم هو كالتالي: "هل يمكن لامرأة أن تقود المسلمين؟"¹. وهو سؤال في أصله كانت وجهته للسيمان الذي كانت تتردد عليه. يتضح إذاً منذ البداية أن المريني توظف كما عهدناها في كتبها الأخرى منهجية السرد التي تستخدم في الكتابات الروائية والقصصية.. وهنا يبرز جانب من تصور الباحثة للكيفية التي يمكن أن ينجز من خلالها البحث السوسيولوجي، بحيث يتحرر من الضوابط الصارمة التي تصل أحياناً إلى أن تصير نوعاً من الأثوودوكسية (orthodoxe) المنهجية. بحيث أن توظيفها للسرد ولوقائع شخصية يجعل بحثها أكثر ارتباطاً وتفاعلاً مع ما يجري في المجتمع. وهذا ما يتضح عندما نجد أن الحديث الذي استدل به الزبون أثناء مرافعته عن مشروعية استبعاد المرأة يشكل منطلق وموضوع بحث المريني في هذا العمل. وهذا ما تؤكدُه حين تقول الباحثة أن هذا الحديث دفعها إلى البحث والتنقيب من أجل كشف مدى صدق وصحة الحديث المذكور. فما هو الوضع الذي تعيشه المرأة العربية، والذي دفع المريني للبحث؟

نجد أن المريني تربط النقاش والفكر الذي دافعت عنه جماعة السيمان بالوضع السائد -حينها- أثناء الانتخابات التشريعية، وهو وضع يكرس استبعاد المرأة واقعياً رغم ما تضمنه القوانين من حقوق مكفولة قانونياً ونظرياً. وهذا ما يبرز لنا وضع جديد تعيشه المرأة؛ فبعدما كانت مستبعدة من المجال العام، ومن النشاط السياسي بالأساس في العصور التي تلت نهاية حكم الخلفاء الراشدين، وهو استبعاد يستند إلى تصور رسمي للإمارة، وكذلك إلى الواقع الاجتماعي الجمعي. غير أن المرأة اليوم، أصبحت يتجاوزها قطبان متناقضان؛ فهي في النصوص القانونية- في تصور الدولة الرسمي- إنسان يتمتع بحق المشاركة في الأنشطة المختلفة التي يحق للرجل المشاركة فيها، لكنها اجتماعياً وعلى مستوى الواقع المعيش (le vécu) لا زالت مستبعدة، كما يحدد مجال تحركها تصور نمطي كلاسيكي لم يتغير بعد. ومن ثم كان هدف الباحثة هو إنارة هذه الذهنيات العميقة. وهذا ما أملى عليها اتباع منهج يقوم على البحث في المصادر التي ذكرت فيها أحاديث تحط من شأن المرأة، وبالتالي القيام بعمل توثيقي متبعة في ذلك بعد نظرتها السوسيو تاريخية، وكذلك اطلاعها على أسس علم الإسناد في مجال الفقه. فإذا كان إصرار الجابري على تقديم ما هو جديد قد دفعه بداية إلى مراجعة الخطاب العربي المعاصر ونقده، قبل أن ينتقد التراث²، فإن المريني بدورها عادة إلى التراث، ولكن من أجل نقد ما لحقه من تلاعب إيديولوجي، وفي نفس الوقت إثبات قضية معينة: الإسلام لم يقص المرأة من المجال السياسي ومن الفضاء العام عموماً. فتساهم بذلك في حركية أساسية في السياق الإسلامي اليوم، والتي تحرك مصادر البحث التاريخي والدراسة النقدية للنصوص لرفع صفة التقديس عن المبادئ والمكونات الرئيسية للتراث الديني³.

¹MernissiFatema, Le harem politique : Le prophète et les femmes, Paris, Albin Michel, 2010, p7.

²أبي نادر نايلة، التراث والمنهج: بين أركون والجابري، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2006، ص59.

³MernissiFatéma, Le harem politique : Le prophète et les femmes, Casablanca, Le Fennec, 2017, p6.

ومن بين تلك الأحاديث التي تطرقت لموضوع المرأة مقللة من شأنها، نجد الحديث الذي استدل به الزبون -والقائل: "لم يفلح قوما ولو أمرهم امرأة"¹ وهو حديث موجود في الفصل الثالث من صحيح البخاري. وسيتبين لنا أن الباحثة تعتمد على منهج "توثيقي" يقوم على تمحيص الأحاديث من حيث روايتها، وزمان روايتها... وكذلك هو بحث تاريخي، إذ تصرح الكاتبة أن ما ستقوم به هو تنقيب في الأدب الديني؛ بمعنى الرجوع إلى المصادر التاريخية للتراث الإسلامي والبحث فيها عن أهم الأحاديث التي تتناول موضوع المرأة وربطها بشروط ظهورها، بمعنى أن الباحثة بصدد مقارنة سوسيو تاريخية لموضوع إقصاء المرأة من المجال السياسي من خلال مفهوم "الحريم السياسي" الذي يشير إلى الحدود المرسومة والمقننة للعمل السياسي الذي يعتبر مثل الحريم بمعناه الديني؛ إذ لا يمكن لأي كان أن يلج الإطار الذي يتواجد وينشط فيه الحريم. ومن ذلك ذكرها لدراسة لمحمد عرافا الذي يتحدث عن أن المرأة لم يكن لها وجود في الحياة السياسية في تاريخ الإسلام، ويؤكد ذلك باستحضار تغييرها عن اجتماع سقيفة بني ساعدة لتعيين خليفة نبي الإسلام. وهو حدث تاريخي يكتسي دلالات عدة. غير أن هذا الغياب لا يعني على أي حال أن المرأة كانت غير منخرطة في العمل السياسي، فالمرنيسي تذكرنا بناء على بحثها "التوثيقي" والتاريخي بحضور زوجة الرسول (ص) عائشة في المعركة التي دارت حول شرعية الخليفة الأصولي الرابع. أي أن المرأة كانت حاضرة في الحياة السياسية، بالرغم من أن السلطة الذكورية كانت لا تعترف لها بأحقية وجودها، إلا أنها كانت تفرض وجودها مجسدة في شخصية عائشة التي استفادت من صفتها أما للمؤمنين لكي تفرض نفسها في معادلة الصراع السياسي. معناه أن التنقيب التاريخي يمكن أن يقودنا إلى كشف زيف الدعاوى التي تقر بأن المرأة كائن لا سياسي بطبعه، وأن هذه الحقيقة حقيقة تاريخية في المجتمع الإسلامي. وواصلت الباحثة تنقيبها هذا بالكشف عن عدة دراسات تقول بغياب أية علاقة للمرأة بالسياسة، وحتى وجود عائشة في موقعة الجمل يعتبره سعيد الأفغاني سببا للعدد الهائل من القتلى الذين سقطوا في المعركة، أي أن المرأة وإن وجدت في السياسة فإنها تظل مصدر مشاكل وضرر على المجتمع، وهو تبرير أيضا لوضعية الاستبعاد من الحياة السياسية التي تعيشها المرأة. هذا البحث التاريخي والوثائقي الذي قامت به الباحثة من أجل تأويل مختلف للنص الديني، مكنتها من وضع أسس للاشتغال في الفصول الموالية. حيث اعتمدت عموما في هذا البحث على القراءان، والتفسير، والبحوث حول أسباب النزول، والبحوث حول آيات القراءان والحديث، وكتب التاريخ الديني، والسيرة، وسيرة التابعين². إذ أنها تساءل الأفغاني نفسه انطلاقا من المصادر التي اعتمد عليها من التاريخ الديني الإسلامي ليثبت أن عائشة -ومن ثم المرأة- كانت سبب إراقة دماء المسلمين. ومن هنا تقود المرنيسي بحثها التاريخي لتمحص الوقائع والأحاديث التي تم استخدامها كذريعة لإقصاء المرأة، ومن ضمنها المجلدات الثلاثة عشر للطبري. وتسأل الذين يقولون بإقصاء نبي الإسلام محمد للنساء قائلة: في أي مقياس يمكن تأويل النصوص المقدسة؟ وتبرز بذلك السياق السياسي لظهور الأحاديث، وفي نفس الأن ظهور علم الإسناد الذي يعمل على كشف صحة الأحاديث من خلال البحث في روايتها.. وقبل أن تختتم المرنيسي تقديمها، تذكر بالصعوبة التي ترافق أي عمل بحثي موضوعه النصوص الدينية التراثية، وخاصة عندما يكون هذا البحث تقوده امرأة مسلمة. ثم أن الباحثة وكي تحتمي من أي هجوم محتمل عليها، تستند إلى القرآن الذي يحث على القراءة والتفكير، وبالتالي تدرس التراث الديني الإسلامي من الداخل؛ أي باعتبارها مسلمة تساءل

¹ المرنيسي فاطمة، الحريم السياسي: النبي والنساء، ترجمة عبد الهادي عباس، دمشق، دار الحصاد، ص 14.

² Voire Le harem politique. 2017, l'annexes : Sources, p297.

هذا التراث في إطار لا يتجاوز ما يسمح به الدين. وتصف كتابها هذا في ختام التقديم بأنه ليس كتاب تاريخ، بل أرادت له أن يكون "قصة-ذكرى"، وكتاب عبارة عن "سفينة" تعود الى زمن قريب من الهجرة لتبحث في حياة النبي¹. وهذه الرحلة سيقودها منهج تاريخي-توثيقي – مقارنة في بعض اللحظات، وهنا نجد أن المناهج المتداخلة التي وظفتها المرنيسي في هذا الكتاب، تعبر عن رؤية متحررة للكاتب، وتكون بذلك سبابة الى اعتماد المقاربة التي تقرر بتداخل التخصصات والمناهج في البحوث الاجتماعية في السياق المغربي، وجدوى هذا التداخل في الكشف عن الحقائق الاجتماعية والتاريخية.

ثانيا: النص الديني كسلاح سياسي:

1- الزمن الموجه يعوز المجتمع الاسلامي:

تبدأ المرنيسي هذا الفصل بالتأكيد على العلاقة المتوترة التي تجمع بين الإنسان المسلم وبين الزمن، وبخاصة بينه وبين الحاضر². ما الذي يميز الطريقة التي يتعامل بها الإنسان الغربي مع الزمن، عن تلك التي يتعامل بها الإنسان العربي المسلم؟. للإجابة عن هاذ السؤال، تعقد الباحثة مقارنة بين تصور كل من المجتمع العربي، والمجتمع الغربي للزمن. فإذا كانت الشبيبة الغربية تعاني من الحاضر باعتباره أصبح يسير في اتجاه جعل الواقع الإنساني خال من الشعور ومن الاهتمام بالأبعاد الإنسانية، وبذلك تكون صعوبتها التي تعيشها في الحاضر منبثقة عن المأل الذي آلت إليه الثورة الشاملة التي قادتها المجتمعات الغربية من تطور جعل الفرد والمجتمع يتوفران عموما على سبل العيش الضرورية، وفي كثير من الأحيان سبل الرفاه، فإن المسلمين يواجهون صعوبات الحاضر من خلال الرجوع إلى الماضي والاحتماء به من الحاضر وصعوباته، أي أنه، عكس الإنسان الغربي الذي يبحث في الحاضر عن سبل حل الصعوبات، ويعود إلى الماضي من أجل خلق نوع من التوازن يمكنه من مواصلة اكتشاف الحاضر، يعود المسلم إلى الماضي من أجل البحث عن حلول للحاضر، بل من أجل أن يحمل ذلك الماضي ويأتي به لمجابهة الحاضر. وهذا ما ذهب إليه الجابري، الذي تعود إليه الباحثة في غير ما مرة، حين أكد أنه "وكما يحدث دائما، سواء على المستوى الفردي أو المستوى المجتمعي، فلقد اتخذت عملية تأكيد الذات شكل نكوص إلى مواقع خلفية للاحتماء بها والدفاع انطلاقا منها"³. هذا المنهج المقارن في التفكير يسمح بالكشف عن نقط الضعف والخلل في أسلوب التفكير الذي يتبعه المسلم لمواجهة الإشكاليات التي يطرحها الحاضر، كما يمكن في بعض الاحيان من توفير اختيارات ومسالك جديدة للتفكير. وتستحضر هنا الباحثة كل من محمد عابد الجابري وعبد الكبير الخطيبي باعتبارهما مفكرين مغربيين عمدا إلى البحث في ماضي الحضارة من أجل إعادة اكتشاف الذات العربية. ويؤكد الجابري، مثلا، على الحضور القوي للمتدين والإمام في نطاق الانتاج الفكري، وحضور الماضي كمعطى مقدس يوجه الفعل السياسي، فكان بذلك عصر التدوين منطلقا لممارسة الرقابة. إذ أن عصر التدوين يشكل الإطار المرجعي للفكر العربي⁴، حيث يفرض نفسه تاريخيا كإطار مرجعي لما قبله وما بعده⁵. ومن

¹ المرنيسي فاطمة، مرجع سبق ذكره، ص21.

² Mernissi, Fatema. 2010, ibid,p23.

³ الجابري محمد عابد، نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2006، ص16.

⁴ الجابري محمد عابد، نقد العقل العربي(1)، تكوين العقل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2009، ص56.

⁵ الجابري محمد عابد، المرجع السابق، ص61.

خلال المقارنة نفسها، يتضح أن الزمن في الغرب يلعب الدور الأساس في مختلف مناحي الحياة، إذ صار مقياس للأشياء والأنشطة. بل إن سيطرة وحظوة الحضارة الغربية ترجع في جزء كبير منها إلى تعاملها وتحكمها الجيد في الزمن، بل إن فرض سيادة الحضارة الغربية وقيمتها يتم، من خلال، وبالساعة؛ من خلال رقابة الزمن بدل الهيمنة العسكرية التي لم يعد لها في غالب الأحيان حضور ولا جدوى. هذه الأفكار التي تعود لموسكوفيتش والتي اقتبستها المرنيسي تؤكد على جانب مهم أصبح اليوم أكثر وضوحاً؛ علاقة المسلم والمجتمعات الإسلامية والعربية بالخصوص غير المنتظمة وغير المحكمة مع الزمان تساهم بشكل كبير في تخلفه عن تحقيق التنمية. فكثيراً ما يلاحظ الاستخفاف بأهمية الدقائق والساعات داخل الإدارات والمرافق العامة، وهذا التصور للعمل والزمن الذي يحمله الفرد-الموظف في المغرب يضاف إليه استخفاف ممنهج بأهمية حضور المرأة في مختلف الأنشطة والفعل السياسي، مما يزيد من توسيع هامش تفويت الفرصة على المجتمع المغربي كي يكون في مصاف المجتمعات التي قطعت طريقاً ليس بالقصير من أجل بلوغ مجتمع الديمقراطية والتنمية والعدالة الاجتماعية. وقد نجد اليوم في المغرب خير مثال على ما ذكرنا أعلاه. إذ أن مفهوم الاستثمار نفسه يخفي وراءه مجموعة من علاقات السيطرة والسيادة، باعتباره مفهوم مرتبط أيضاً بالزمن ويجسد الامبريالية الجديدة التي لم تعد مرئية ومعروفة أنها إمبريالية. هنا تبرز أهمية استدعاء الماضي، ماضي المجتمعات العربية الذي قد يحوي داخله ما يمكن أن يساعدها على النهوض من مرضها الذي طال واستطال، ولكن هذا الاستدعاء للماضي يجب ألا يكون بنية جعل الماضي يحمل رحيله ليستقر في الحاضر ويسير مع المجتمع الآن كما كان يسير في رحلاته الطويلة عبر قوافل تجوب الأمصار العربية طيلة أيام وسنوات!

تواصل الباحثة مقارنتها المقارنة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية لترتبط المقارنة هذه المرة بسؤال الموت والماضي. فإذا كانت الموت مصير البشرية، فإن الغرب أنساه المستقبل بفكرة الموت وجعله مفتتت بالإمكانات التي توفرها الحياة، مما جعله يحرق طاقاته الخلاقة ويرى الماضي كالحلوى التي تستعمل لخلق السعادة لدى الأطفال في لحظات معينة. أما المسلمين فاختاروا العودة إلى الماضي باعتباره الصحن الرئيسي والكأس الذي لا يمكن الشرب من غيره، فاختاروا بذلك الموت قبل أن يعيشوا¹. هي دعوة إذا إلى ضرورة وحتمية التفكير في الحاضر من أجل المستقبل فقط، وليس من أجل الاستمرار في جر أذيال الماضي في الحاضر من أجل أن يستمر في المستقبل، في الوقت الذي يجب أن يكون الماضي مجرد وسيلة من الوسائل المتاحة التي يمكن أن تساعد على السير نحو المستقبل بعزيمة وثبات وعقلانية. وتستحضر الباحثة مرة أخرى الجابري الذي يؤكد أن بحثنا المرضي عن الماضي يمنعنا من قراءته. بل إننا غير مؤهلين لقراءة هذا الماضي لأننا منشغلون بوضع همومنا الحالية على صفحاته. يتبين أن المرنيسي إلى حد الآن تقوم بنوع من التأسيس النظري لموضوعها بالأساس- إن صح القول، يساعدها في التأسيس لما ستأتي عليه من أفكار وتفصيلات، من خلال طرح بعض الأفكار التي تبرز أهمية الموضوع، وهنا نفسر استدعاء كل من موسكوفيتش وكذلك الجابري بالخصوص. إذ أنها تنتقل مباشرة إلى تحديد المعنى الإجرائي لعبارة "نحن المسلمين"، وهي عبارة تشير إلى انتماء الفرد إلى جماعة تعتنق الدين الإسلامي كدين جماعي، مثلما يعتنق المناضلون التقدميون الأفكار والمبادئ الماركسية. أي أنها تتحدث عن الإسلام كقانون، وليس كعقيدة، وخيار شخصي. وتؤكد أن الخلط بينهما كان سبباً لفشل الحركات الماركسية في العالم الإسلامي. وهذا الخلط أيضاً كان وراء إبعاد المرأة عن السياسة كذلك. وفي لحظة فارقة في

¹ المرنيسي فاطمة، مرجع سبق ذكره، ص32.

تاريخ البلدان الإسلامية- بما فيها المغرب- وجدت هذه البلدان نفسها بعد الاستقلال مضطرة إلى أن تعيد تعريف مواطنيها، أي أنه لم يعد ممكن للدول الإسلامية المستقلة حديثاً أن تنخرط في المجتمع الدولي دون أن تعيد النظر في القوانين التي تحدد هوية ومكانة المواطنين والمواطنات. بهذا تلقت الهيمنة الذكورية ضربة قوية في أهم ركائزها؛ القانون والأعراف الرسمية التي تقر بنوع من القيم والهوية الخاصة بالجنسين¹. غير أن استمرار وجود جماعات إسلامية ترفض دخول المرأة إلى المجال السياسي، وكذلك وجود مكونات عدة لا يخدمها ولوج النساء إلى مجال لطلما كن مقصيات منه، جعل مشكلة المرأة وإثارها تسمح باستمرار بالتصدي للتغيرات الكونية للسلطة دون تسميتها. فلقد برزت المنظمات الأممية والدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية كهيئات تعمل، كما هو مسطر في قوانينها، على نشر حقوق الإنسان والديمقراطية وحماية الأقليات... ومن ثم كانت الدول التابعة عموماً ملزمة بإقرار المساواة الاجتماعية والجنسية وغيرها. كما أن الفكر نفسه لا يخرج عن هذا السياق باعتباره حركة عقلية لا تجري في التاريخ مستقلة، أي لا يمكن أن يجري الفكر في معزل عن الحركات الاجتماعية التي تنشط من كل جانب². إن استحضار السياق الدولي في تحليل التغيرات التي ستطرأ على وضع المرأة من طرف الباحثة ينم عن نظرة وأفق للتحليل يدمج البعد العالمي الذي يؤثر على الثقافات والمجتمعات المحلية، والبعد المحلي الذي يتميز بنوع من الاستقرار والثبات من حيث القيم والسلوكيات، من أجل مقارنة أكثر شمولاً لوضع معقد تتداخل عدة عوامل في تشكيله. وهو وضع ازادت الأسئلة حوله طرحاً في خضم ما ترتب عن خروج الاستعمار وما لحق بوضعية المرأة من تغيير؛ حيث أصبحت بعض النساء تعملن وتتلقين أجوراً وتنافس الرجال في العمل.

2- النبي والحديث:

في هذا الجزء تتساءل المرنيسي بداية عن السبب الذي جعل "رجل أمي عرقي يتمكن من نشر رسالته في مختلف الأمصار، وهل لهذا النجاح معنى كاف خارج المعنى القصصي"³. فني الإسلام ولد في وسط شعب متخلف (التخلف نقصد به المعنى اللغوي للكلمة، أي التخلف عن ركب المجتمعات القوية.. وليس بالمعنى الإيديولوجي للمفهوم) بالمقارنة مع الحضارات التي كانت سائدة حينها، وكذلك تابعا ومنعزلاً نظراً لضعفه العسكري. وهنا تربط الكاتبة بين من ينادون بإحياء الإسلام وتوظيفه كما كان في مرحلة بداياته بشبه الجزيرة العربية من أجل حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها المجتمعات الإسلامية، وبين المرحلة التي ظهر فيها الإسلام حيث اتصف بالقوة والعزم على إعلاء كعب قوم مهمشون، والانتصارات التي حققت حينها بناء على قيادة نبي طموح. هذا الاستحضار تبغي الكاتبة من ورائه لفت الانتباه لما صار الآن معروفاً في العلوم الاجتماعية؛ كون معالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في كل مجتمع تتم وفقاً لفحص الشروط المحلية التي أنتجتها والبحث في الحاضر من أجل إيجاد حلول لها، وهذا البحث يغنى من خلال استحضار الأبعاد والمقاربات الأخرى، مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة تأطير الموضوع تاريخياً من أجل فهم دقيق للموضوع. ثم تعرج الباحثة بشيء من الاستفاضة على سياق لقاء وزواج نبي الإسلام محمد (ص) بالتاجرة خديجة، ونزول أول آية قرآنية تدعو إلى القراءة سنة 610م، واعتناق الإسلام من طرف خديجة

¹ المرنيسي فاطمة، مرجع سبق ذكره، ص34.

² فروج عمر، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، بيروت، دار العلم للملايين، 1972، ص7.

³ المرنيسي فاطمة، مرجع سبق ذكره، ص39.

كأول إنسان يعتنقه. كما أن الإسلام ولد بالمدينة، وهو ما يثير إشكالية وصم التخلف الذي يلصق بالمجتمعات الإسلامية كونها طبيعياً كذلك. وبعد موت الرسول (ص) فرضت مسألة الحديث نفسها بقوة إلى يومنا هذا. فيموت الرسول (ص)، لم يعد ممكناً البحث عن الأجوبة المقدمة من طرف الله عن طريق نبيه للمسلمين، وبذلك مضى الخبراء يبحثون عن تطوير نظرية الخلافة السياسية؛ ماهي صفات وطرق تعيين الخليفة الذي يقود المسلمين؟ ومن هؤلاء الخبراء ومدارسهم ومنظريهم انبثق أدب كامل. ونشأ الفقه كعلم ديني يرتكز على الشريعة. فكان اختيار الرئيس السياسي العادل وعدم الخطأ في تفسير الشريعة المستخلصة من القرآن والسنة المحوران اللذان حركا التاريخ الإسلامي. ولفهم مكانة كتابة النص المقدس واستعماله على مستوى رقعة الشطرنج السياسي بالأمس واليوم، تعود الكتابة إلى الأيام التي تلت وفاة الرسول، وخاصة تعيين الخلفاء الأربعة المعترفون أصوليين. حيث نشب الخلاف حول قرار تعيين خليفة النبي الذي استقر في النهاية على أبي بكر، ثم عمر ثم عثمان الذي أعتيل وعين علي مكانه لتبدأ الفتن السياسية، والتي تعمقت مع محاربة عائشة لعلي في موقعة الجمل واغتيال علي بعدها، والتي ستنقش في ذاكرة التاريخ الإسلامي إلى اليوم. فكانت بداية تجميع الحديث مقتزنة بالخوف من الإرهاب والعنف السياسي؛ ماذا قال الرسول بشأن الحرب الأهلية؟ ما هو الطريق الذي على المسلمين أن يسلكوه في هذه الحالة؟ هل يجوز قبول خليفة ظالم شريطة أن يضمن السلام؟ هذه الأسئلة وغيرها شكلت السياق الذي فيه تلون ونشأ الحديث. وعلم الحديث يقدم للقارئ مضمون معين يحمله الحديث، كما يقدم كذلك معلومات عن ناقله من خلال قاعدة الإسناد¹. وتنبه الباحثة القارئ إلى أن الإسلام في قرونه الأولى كان دين الفرد المسؤول العاقل القادر على التمييز بين الحقيقي والكاذب، غير أنه عُمل على مر القرون على تغييب المسلم العاقل وإبداله بأخر خانع مراقب شاكر أكثر. وهذا ما يحيل على العمل الإيديولوجي الذي رافق تدوين الحديث في عصر كان الحديث فيه وسيلة أساسية للاستمرار في الحكم وضبط الفرد، وذلك بعد أن تمزق العالم الإسلامي بالفتن. وهنا يمكن ماثلة وضع استغلال الحديث لتثبيت الحكم، بالوضع الذي عرفته المجتمعات الإسلامية المعاصرة من استغلال الحديث كذلك لإبعاد المرأة عن المجال العام، وهو ليس أمر جديد بقدر ما أنه استمرار لوضع وأسلوب قديم أخذ يتبع في مجتمع وسياق مختلف. ومن نتائج الصراع حول السلطة، الذي انطلق حين كان النبي في غرفته ميتاً مغطى بعباءته والجماعة تبحث عن الخليفة المناسب، تلك الفتن التي اندلعت منذ اغتيال عثمان بن عفان، إذ أن المسلمين انقسموا إلى سنة وشيعة، فأصبحت كتابة الأحاديث التي تبرر إيديولوجية كل طرف عملية نشطة جداً. وبعد اشتعال الفتنة وانتصار علي في موقعة الجمل، روي الحديث الذي ستقوم الباحثة بفحصه وتمحيصه وهو: "إنه لم يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة". وهو حديث جاء قبيل تعيين معاوية خليفة وبداية عهد نوع جديد من الأرستقراطية القبلية التي لطالما عمل النبي على تجنبها، وهو ظاهرة الأسرة الحاكمة الاستبدادية (La dynastie) التي ستطبع التاريخ الإسلامي اللاحق. وهنا تقوم الباحثة برصد تاريخي للسياق الذي كتب فيه البخاري الحديث باعتباره أحد أهم الرموز المدونة للأحاديث. حيث اعتمد في تدوينه على روايات متعددة لأفراد كثير. غير أنه واجه مشكلة مدى صحة الروايات بعد حوالي مائتي سنة على وفاة الرسول! حيث انتشرت الأحاديث الكاذبة التي تنسب إلى الرسول، والتي تكون إما عن قصد، وإما يكون التلاعب بها على مستوى الرواية، وإما يكون قول أحاديث لم يسمع بها الراوي أبداً. فكانت كتابة الحديث عملية أساسية تخدم ضمان الولاء، كما تخدم الرمزية الدينية اليوم الانتخابات. يتبين إذا

¹ المرزيسي فاطمة، مرجع سبق ذكره، ص 50.

أن الباحثة قامت هنا بنوع من التأسيس المنهجي والإبستيمي الذي يجعل العملية التي ستقوم بها في الفقرات الموالية أمراً مشروعاً علمياً ومقبولاً في الأوساط الدينية. لتختتم هذا المحور بالإشارة مع شيء من التفصيل إلى الدراسة التي قام بها طه حسين للشعر الجاهلي، والتي انتهت فيها إلى التشكيك في صحة هذا الشعر الذي يعتبر أحد أعمدة المعرفة العربية¹.

3- بحث حول حديث ضد النساء وحول منشئه أبو بكر:

حسب حديث البخاري، فإن أبي بكر هو الذي سمع الرسول يقول: "لم يفلح قوم ولو أمرهم امرأة". وللتأكد من صحته قامت الباحثة ببحث تاريخي ومنهجي وذلك بصفتها امرأة مسلمة. وتبدأ هذا البحث من خلال الأسئلة الأساسية التي يتضمنها المنهج التاريخي، متسائلة؛ من كتب الحديث؟ ومتى؟ ولماذا؟ وأين؟ لتقوم الباحثة بتقص تاريخي لسياق رواية هذا الحديث وروايه مستعينة بكتاب فتح الباري لابن حجر. فأبو بكر تذكر هذا الحديث بعد حوالي ربع قرن من موت النبي، وهذا يتطلب ذاكرة أسطورية، إذ أنه روى الحديث إبان هزيمة عائشة في موقعة الجمل. وقاد التمحيص الذي قادته المرنيسي إلى كشف مجموعة من الحقائق التاريخية حول أبو بكر، من قبيل أنه تغيب سيرة مفصلة عنه في كتب الإسناد والكتب المخصصة لسير الصحابة. وكذلك كون أبو بكر كان مضطرب التبرئة نفسه بعدما تخلف عن المشاركة في المعركة إلى جانب جيش علي بعد أن هزم جيش عائشة. وكذلك الشكوك التي أثرت حول صدق رواياته بعد أن اكتشف أنه روى عدة أحاديث في سياقات تخدم أحد الأطراف المتنازعة حول السلطة، كما حصل مع حديث؛ "إن الحسن بن علي سوف يكون رجل المصالحات"². وبهذا تضع المرنيسي الحديث في سياقه التاريخي متبعة ما تتيحه منهجية الفقه في التحقيق من قواعد. وقد بين هذا المنظور الذي يعتبر الدين كعلم يجب التأكد من كل شيء يقال داخله، أن عديد من الرواة كانوا غير مؤهلين وغير جديرين بالثقة. إذ صار الاهتمام بسلوك الفرد في الحياة اليومية ومدى استقامته، وهنا نجد أن أبي بكر قد أدين من طرف عمر وأجلد³. هذا التقصي والتمحيص للحديث الذي يقصي المرأة من الحياة السياسية، بل ويجعل من المرأة علامة للشرف والفضل إذا ما دخلت مجال الحكم، توصلت من خلاله الباحثة إلى عدة خلاصات. وأولى الخلاصات التي يسوقها لنا، هي أن الحديث ليس بتلك القدسية والصدقية التي تروج له والتي نقشت في الذاكرة الإسلامية عبر التاريخ، بل إنه محط استخدام إيديولوجي لتحقيق المصالح السياسية بالأساس. بهذا المعنى نجد أنفسنا مدعوين للتفكير في مختلف المؤسسات والسلوكات والقواعد وكل ما يستمد شرعيته من هذا التراث الديني الإسلامي، كما هو الشأن مع استبعاد المرأة الذي تعالجه المرنيسي.

4- البحث عن أحاديث أخرى معادية للنساء:

تعود مرة أخرى الباحثة إلى سرد مجموعة من ذكريات الطفولة، ولكن ليس بهدف إضفاء طابع جمالي على البحث، ولكن تماشياً مع منهجها السوسيو تاريخي المفكك للأحاديث المنسوبة إلى النبي خدمة لمبتغى تأويلي جديد، فتستحضر تلك اللحظات التي تفيد في فهم وتحليل المعطيات التاريخية وكيف اشتغلت ولا زالت تشتغل في المخيال الجمعي. فكلام للاياسمينه؛ "يجب

¹ المرنيسي فاطمة، مرجع سبق ذكره، ص 62.

² المرنيسي فاطمة، مرجع سبق ذكره، ص 76.

³ المرنيسي فاطمة، مرجع سبق ذكره، ص 77.

قراءة القرآن كما نزل من السماء¹ يسمح لنا بتصور ومعرفة بعض ملامح العقلية الفقهية التي كانت سائدة- ولا يمكن الجزم أنها انتفت- بالمجتمع المغربي. ومرة أخرى ستضع الباحثة الحديث الذي ورد في صحيح البخاري؛ "الكلب والحمار والمرأة تقطع الصلاة إذا مرت أمام المؤمن، فاصلة بينه، وبين القبلة" موضع البحث. وتعرض في بحثها أولاً على تعريف القبلة التي هي اتجاه مكة (بعد أن كانت توجه نحو القدس) حيث توجد الكعبة، التي تعطي للصلاة المسلم بعدها الكوني. ثم أن الكاتبة تقدم تحليلاً واستعراضاً للشروط الاجتماعية التي رافقت ظهور الإسلام، في علاقتها بالعوامل والاضواء السوسيواقتصادية التي كانت تعيشها المجتمعات العربية، وكذلك الجماعات الدينية والاثنية. وتستخلص أن الإسلام دين توجه إلى كل الناس؛ لأن جامع محمد، خلافاً للأديان الأخرى، ليس بناء وإنشاء، وإنما أفق. والجامع هو كل مكان، يكفي المؤمن للصلاة أن يعدل اتجاهه صوب مكة وأن يضع أمامه شيئاً يمثل رمزية القبر المقدس. وإبعاد النساء عن القبلة هو إبعادهن عن كل شيء. وحشر المرأة مع حيوانين داجنين كونها تحدث اضطراب بين المصلي والجوهر الالهي، "هو تأكيد للتعارض بين جوهرها والجوهر الالهي"². وتعود مرة أخرى إلى سيرة أبي هريرة، حيث أن له مشكلة مع النساء تعود وتحضر في لقبه نفسه، كما تعود إلى أيام اشتغاله في بيت النبي. وتعرض بعد ذلك حديث؛ "سمعت أبا هريرة يروي أن من يفاجئه الفجر وهو جنب لا يمكنه أن يصوم" الذي نفته أم سلمة وعائشة. وقد تراجع عن هذا الحديث قبل موته. فقد كان الجنس والمرأة الحائض في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام رمزا للقدارة والتدنيس. هكذا، وتبعاً للمبادئ التي حددها علم الاسناد للتأكد من صدق الأحاديث المنسوبة للنبي، يتبين أن أبا هريرة لم يكن من النوع الذي يمكن الوثوق في روايته كما يوضح الطبري. وبالتالي اعتبار المرأة ك"نجاسة" أو كمفسد للصلاة لا يملك سنداً دينياً أكيداً.

خلاصة تركيبية:

لقد اهتمت الباحثة بسؤال مشاركة المرأة في الحياة السياسية خصوصاً، والحياة الاجتماعية عموماً، ليس من أجل إنجاز بحث أكاديمي يتميز بالجدية والراهنية فقط، بل إن بحثها ينطلق من إشكالية ومشكلة اجتماعية عاشتها الباحثة، وأثارت مخيلتها وفكرها النقدي الذي قادها إلى إنجاز هذا البحث. فانطلقت من الواقع الاجتماعي المغربي الذي يتميز بحصار ومراقبة صارمة مفروضة على المرأة، وهي مراقبة تتفاعل مع استبعاد المرأة من الحياة السياسية والحياة الاجتماعية في المجال العام لتغييبها بشكل شبه نهائي عن التمتع بحقوقها المختلفة كإنسان، لتبحث عن مدى مطابقة المبادئ والأفكار التي يقوم عليها هذا الفكر المستند للسنة النبوية والقرآن لروح الإسلام الحقيقية- أو إن شئنا تدقيق القول؛ مقاصد الإسلام، وإلى ما جاء به نبي الإسلام نقلاً، وتجسيداً؛ سواء في سلوكه أو في أفكاره وتوجهاته. وهكذا، لجأت إلى علم الاسناد للتأكد من الحديث الذي رواه أبو بكر في أنه لا يصلح لقوم أن تحكمهم امرأة. وهو حديث يتهاوى أمام قوة الحقائق التاريخية التي تؤكد وجود عائشة، مثلاً، في ساحة الصراع السياسي الذي عقب وفاة عثمان مقتولاً. هذا الحدث سوف يشكل، من بين الأحداث الأخرى، بداية انقسام وتآزم للحياة السياسية في المجتمع الإسلامي. بل إن نتائجه سوف تتسرب إلى بنية التفكير في العقل العربي الذي أصبح أرثودوكسياً جداً في القرون اللاحقة. ومن هذا أن التفكير في المشاكل التي يعيشها الإنسان العربي أصبح يتم في اتجاه استدعاء

¹ المرنيسي فاطمة، مرجع سبق ذكره، ص 84.

² المرنيسي فاطمة، مرجع سبق ذكره، ص 90.

الماضي والنكوص إلى الذكريات السعيدة التي تحملها فترة الفتوحات الإسلامية؛ فصار التفكير في الحاضر يتم من خلال الاستكناة إلى الماضي والترجي أمام بابه كي يقدم الحلول للواقع الحالي المتأزم. صحيح أن الإسلام حقق إنجازات كبيرة في فترات تاريخية معينة، خاصة الفترة التي كان العالم الإسلامي تحت قيادة رجل متبصر يقدر دور المرأة والأفراد عموماً ويستشير من شأنه أن يفيد في حسن تدبير أمور المسلمين، غير أن هذه النجاحات تمت في فترة زمنية محددة وفق شروط سوسيو تاريخية محددة كذلك، وبالتالي محاولة إحياء ذلك وإعادة تشييد نموذج مماثل في واقع مختلف هو أمر لا يملك أي سند علمي أو منطقي. دون أن يعني هذا أن التراث الديني الإسلامي يجب القطع معه نهائياً، بل- كما تؤكد المرنيسي- يجب فقط فحصه واكتشاف ما لحق به من تحوير وتشويه لمبادئه الرئيسية، وهذا بغية إيجاد ما يمكن أن يفيد في حل صعوبات ومشاكل الحاضر. فالباحثة تتبنى رؤية تقوم على اعتبار أن الإسلام دين يتضمن ما من شأنه أن يساهم في إقامة مجتمع تسوده العدالة وينعم أفرادها بحياة كريمة وفي شروط متكافئة بين مختلف مكوناته. غير أنه يجب مراجعة وتمحيص التراث الديني الذي تم تضمينه أشياء تتنافى مع ما أمر به الله عن طريق رسوله. ومن ذلك مثلاً حديث أبو بكر الذي يجسد نموذجاً لاستغلال الدين مقابل تحقيق مصالح معينة، أو لإشباع نزوات شخصية. بل كما نجد في كتاب "صحيح البخاري، نهاية أسطورة" لرشيد أيلال أن أحد أهم المصادر التي يقوم عليها هذا التراث أصبحت مجرد "أسطورة". هذا التوظيف الإيديولوجي، إذا، للدين وما استتبعه من خلق لأحاديث جديدة نسبت للنبي دون أن يكون قد قالها مطلقاً، ترسخ في الحياة الاجتماعية وفي التقاليد كما يبين المثال الذي ساقته المرنيسي؛ فالأستاذ المحاضر الذي يتحدث عن أن الرسول قال أن المرأة والكلب.. يفسدان صلاة المؤمن إذا مروا أمامه.. لم يثر فيه أي ريبة أو تساؤل حول واقعية هذا الحديث، وهذا يعود، من بين ما يعود إليه، إلى النظرة المقدسة التي تم إصباغها على التراث الديني. وبالتالي فالمرنيسي لم تكشف فقط عن زيف الدعاوى والتصورات التي تذهب إلى ضرورة إبعاد المرأة عن المجال العام وعن الشأن السياسي، بل كشفت عن ثغرات وجوانب مزيفة في التراث الديني الإسلامي، وهو كشف، بالإضافة إلى ذلك الذي قاده الجابري وغيره، جعل القول بقدسية هذا التراث يفقد مصداقيته. كما أن كتابها بين على أن ثنائيات؛ أنثى/ذكر، عربي/غربي.. لا زالت تحكم نمط التفكير لدى العديد من مكونات العالم الإسلامي العربي. يمكننا القول أن العقل العربي صار، بدل أن يفكر في قضاياها بغية حلها، يفكر في كيفية إثبات أشياء من الماضي من خلال الحاضر. وبالنتيجة، فقراءة ومساءلة المرنيسي يجب ألا تغفل المنطلق المنهجي للمرنيسي، كي يكون النقد والقراءة واقعيين ومستوفيين للشرط العلمي.

قائمة المراجع:

1. أبي نادر نايلة، التراث والمنهج: بين أركون والجابري، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2006.
2. الجابري محمد عابد، نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2006.
3. الجابري محمد عابد، نقد العقل العربي (1)، تكوين العقل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2009.
4. المرنيسي فاطمة، الحريم السياسي: النبي والنساء، ترجمة عبد الهادي عباس، دمشق، دار الحصاد.
5. بلقزيز عبد الاله، نهاية الداعية: الممكن والممتنع في أدوار المثقفين، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2010.
6. فروج عمر، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، بيروت، دار العلم للملايين، 1972.

7. La sociologie au Maroc, Hassan RAchik et RahmaBourqia, 2011 :
<http://journals.openedition.org/sociologies/3719>

8. Mernissi Fatéma, Le harem politique : Le prophète et les femmes, Casablanca, Le Fennec, 2017.

9. Mernissi Fatema, Le harem politique : Le prophète et les femmes, Paris, Albin Michel, 2010.

مفهوم الإرادة لدى أرثور شوبنهاور

"Arthur Schopenhauer's concept of will"

عبد الكريم لمباركي/جامعة محمد الخامس المغرب

Mohamed V university Morocco/ABDELKARIM LEMBARKI Researcher student

Abstract:

Interest in the concept of will is due philosophically to the ancient Greek era, as it is one of the most prominent concepts that man dealt with, consciously or unconsciously, and this concept was closely related to freedom, and stoic philosophy is perhaps the most important philosophy that took care of this problem due everything to action, despite the fact that In their view, the act is only done With bodies, it is the will that influences. The logic of the Stoics says, "Everything is physical, and everything is only accomplished by will"

However, Stoicism necessarily knows coercion, and their will is subject to these imperatives, yet they consider will the essence of man. It is this perception that the philosopher Arthur Schopenhauer will say later.

However, this issue with Schopenhauer in the modern era will go beyond the conception of the Stoics, since the entire universe in Schopenhauer's view is based on the will, and from the nature of the will it is the inner driving force and component of the person, therefore it is necessary in order to understand the Schopenhauer's philosophy to also exclude the perceptions common to most People about the meaning of will :Will - as people usually perceive it - is the will of consciousness guided by reason, while will - as Schopenhauer understands it - is the will of life that expresses itself as a blind rather than rational defense of life, for will means that we want and desire ... and then the will is Desires, impulses and inclinations of every kind.

Thus, in this paper, we will attempt to clarify Schopenhauer's concept of will in order to remove some of the ambiguities associated with this problem.

Key words: will - reproduction - mind - nature - life - death - world - simulation - the thing in itself - desire - blind will.

ملخص:

يرجع الاهتمام بمفهوم الإرادة فلسفياً إلى العصر اليوناني القديم، فهو أحد أبرز المفاهيم التي تعامل معها الإنسان، بوعي منه أو بدون وعي، وكان هذا المفهوم مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالحرية، ولعل الفلسفة الرواقية أهم فلسفة اهتمت بهذا الإشكال مُرجعة كل شيء إلى الفعل، وبالرغم من أن الفعل في نظرهم لا يتم إلا بالأجسام، فإن الإرادة هي التي تؤثر، فمنطق الرواقيين يقول "إن كل شيء جسماني، وإن كل شيء لا يتم إلا بالإرادة".

غير أن الرواقية تعرف بالضرورة والإكراه، والإرادة عندهم خاضعة لهذه الحتميات، رغم ذلك فإنهم يعتبرون الإرادة جوهر الإنسان. هذا التصور هو الذي سيقول به الفيلسوف "أرثور شوبنهاور" فيما بعد.

إلا أن هذا الموضوع مع شوبنهاور في العصر الحديث سيذهب إلى أبعد من تصور الرواقيين، إذ أن الكون كله في نظر شوبنهاور أساسه الإرادة، ومن طبيعة الإرادة أنها القوة الداخلية المحركة والمكونة للشخص، لهذا فمن الضروري لكي نفهم فلسفة شوبنهاور أن نستبعد أيضاً التصورات الشائعة لدى معظم الناس عن معنى الإرادة: فالإرادة - كما يتصورها الناس عادة - هي إرادة الوعي تسترشد بالعقل، في حين أن الإرادة - كما يفهما شوبنهاور - هي إرادة الحياة التي تعبر عن نفسها كاندفاع أعنى لا عاقل نحو الحياة، فالإرادة تعني أن نريد وأن نرغب...، ومن ثم فالإرادة هي الرغبات والاندفاعات والميول من كل نوع.

وبالتالي سنحاول في هذا البحث توضيح مفهوم الإرادة لدى شوبنهاور لكي نزيل بعض الغموض الذي يرتبط بهذا الإشكال.

الكلمات المفتاحية: الإرادة- التناسل - العقل - الطبيعة - الحياة - الموت - العالم - التمثل - الشيء في ذاته- الرغبة - الإرادة العمياء.

مقدمة:

دشن القرن التاسع عشر ارتفاع أصوات التشاؤم داخل أوروبا، وكان الشعراء في بريطانيا أهم من أعلنوا هذا الشعار وقتئذ، و أبرزهم "اللورد بايرون" (1788)، وهي السنة ذاتها التي إزداد فيها "أرثور شوبنهاور" (1788) وكان حظه مع أمه مثل حظ شوبنهاور، إضافة إلى مجموعة من الموسيقيين والمفكرين من فرنسا وروسيا الذين رفعوا نفس الشعار، بيد أن شوبنهاور الألماني طغى على هؤلاء جميعاً في روح التشاؤم التي طبعت حياته وفلسفته، لهذا فسعادة الإنسان حسب شوبنهاور تتوقف على الإنسان نفسه أكثر مما تتوقف على الظروف الخارجية، فروح فلسفته مستمدة من عزلته ووحدته، مما نتج عنه الملل القاتم، والألام والأحزان التي كانت تسود عصره،¹ فظهور كتابه الأساسي "العالم كإرادة وتمثلاً" في عام (1988) جاء إبان اتحاد أوروبا ضد نابليون وهزيمته في معركة "واترلو". فيما بعد تم القضاء على الثورة الفرنسية من طرف نابليون، لكن تم إبعاد هذا الأخير إلى صحرة سانت هيلانة، لهذا فإن تمجيد شوبنهاور للإرادة يعود إلى تأثيره بنابليون، كما أن جزءاً من يأسه وتشاؤمه يعود إلى

- رفيق غريزي، شوبنهاور وفلسفة التشاؤم، دار الفرابي، الطبعة الأولى 2008، ص: 151

تأثره بخاتمة نابليون المحزنة.¹ إنَّ النظرية الأساسية داخل كتاب شوبنهاور، هي أن العالم إرادة، ووفقا لذلك يكون العالم كفاحا، ويترتب على الكفاح بؤس وشقاء.

لطالما اتفق العلماء والفلاسفة جميعا بغير استثناء على أن جوهر العقل هو الفكر والإدراك، والإنسان بالنسبة إليهم حيوان عاقل، بيد أن شوبنهاور عزم على نبذ هذا التصور وطرحه جانبا، لأن الإدراك في آخر المطاف مجرد قشرة سطحية لعقولنا، ونحن لا نعي شيئا عما في داخل هذه القشرة السطحية، لأنه تحت هذا العقل الواعي إرادة واعية أو لا واعية، وهي قوة حيوية مكافحة ملحة وفاعلية تلقائية، إرادة ذات رغبة أمرية.²

وهذا المنطق فسلطة العقل على الإرادة لا يبقى لها أي وجود، بل يصبح العقل خادما يقوده سيده، وبالتالي فالإرادة هي الرجل الأعشى القوي الذي يحمل العقل على كتفيه باعتباره رجلا أعرجا ومبصرًا، فنحن لا نريد شيئا لأننا وجدنا أسبابا له، ولكن نجد أسبابا له لأننا نريده، أو كما يقول الفيلسوف الهولندي دو الأصول البرتغالية، باروخ إسبينوزا "لا نرغب في الأشياء لأنها طيبة، بل نعتبرها طيبة لأننا نرغب فيها."³

فنحن إذن أمام إرادة بأبعاد معرفية تختلف والتي سبقتها، فهي لا تنشأ بأصلها من الإنسان وإنما توجد لديه، وتنساب فيه. وهي كما قلنا تسبق العقل وتتقدم عليه، وغير خاضعة لتحديدات الزمان والمكان، لأنها واحدة ومستقلة وهي فوق ذلك حرة بمعنى أنها لا تخضع لقانون الحتمية، لذا فهي إرادة كونية عمياء خالية من القصدية والغائية، فلا تشبه بوجه من الأوجه ما يسمى روح العالم أو إرادة الإله، ثم إنها تتجسد في الواقع وتظهر في حلل موضوعية مختلفة، وهي مراحل الطبيعة ومراتبها.

يتأسس هذا البحث على نسق من التساؤلات الفرعية أبرزها:

ما هي أبرز العوامل التي ساهمت في بلورة فكر شوبنهاور؟

وما هو موقفه من العالم والإرادة؟

وما خصائص وتجليات هذه الإرادة؟

1 - الحضور الكانطي في فلسفة شوبنهاور

يعتبر إيمانويل كانط النقطة الأساسية التي تنطلق منها فلسفة شوبنهاور، لقد أثر الحكيم العالمي مؤسس الفلسفة النقدية في فكر شوبنهاور، لدرجة قول هذا الأخير "يبقى الشخص طفلا إلى أن يقرأ كانط"⁴. فلقد أسس شوبنهاور تصوره للمعرفة على أساس كانطي، بل تجاوز هذا الحد، لدرجة إعتبار شوبنهاور متمم فلسفة كانط، من قبل جل الباحثين، تعرف شوبنهاور عن كانط بواسطة أستاذه "شولته" الناقد الماهر لفلسفة كانط وبالخصوص فكرة "الشيء في ذاته"، هذه الفكرة هي التي أخضعها

2- ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف لبنان، الطبعة الأولى 2004، ص: 235.

- المرجع نفسه، ص: 244².

⁴- الرغبة من حيث هي جوهر الإنسان وماهيته، ومن حيث هي جهد تبدله الطبيعة الإنسانية للإستمرار في الزمان داخل الوجود، "كوناتوس"، "بتصرف"

- قول متصرف فيه.⁴

شوبنهاور لنقد عنيف منذ أول وهلة، فلا يكاد يذكرها في كتبه دون أن يضعها تحت مجهر النقد والتساؤل، إذ إن كانط في نظر شوبنهاور يناقض ذاته في الوقت الذي جعل مصدر الإحساس الشيء في ذاته، ثم قال من بعد "إن ما ينطبق على التجربة من صور وقوانين لا ينطبق على الأشياء في ذاتها" وهكذا أنكر انطباق العلية على الشيء في ذاته، في الوقت الذي أقر به في قوله الأول¹. في مقابل ذلك يرى شوبنهاور أنه من المستحيل أن توجد فكرة الشيء في ذاته خارج التجربة، وعلى الرغم من اتفاهه مع كانط في عدم معرفة الشيء في ذاته لأن المرء لا يمكن أن ينتقل من هنا إلى هناك، أي من العالم الظاهري إلى العالم النومي، إلا أنه يؤكد أنه بإمكاننا أن نحس بهذا الشيء في ذاته، فانطلاقاً من ملاحظة ذاتنا على سبيل المثال لا الحصر، نتعرف فيها على الإرادة وأشياء كثيرة أخرى، بيد أنه وراء هذا الوعي يوجد الشيء في ذاته باعتباره متجاوزاً للغرائز الإنسانية والحيوانية، بل الأدهى أنه علة نفسه ولا يخضع للقوانين الطبيعية².

لكن سرعان ما سيتحول هذا النقد إلى تأثير، لأن اهتمام شوبنهاور "بنقد العقل الخالص" لم يكن من باب الهدم والتنقيص، بل من باب الإكمال والتصحيح، فشوبنهاور كان يعتبر نفسه الوارث الشرعي الوحيد لفلسفة كانط، لهذا حملَ هم تصحيح هذه الفلسفة وتقديمها في الصورة التي تليق بها³. إذ يقول بصدد هذا "... إن فلسفة كانط هي الفلسفة الوحيدة التي تفترض وبطريقة مباشرة المعرفة التامة بها..." ويظهر هذا التأثير بجلاء من خلال التفرقة التي أسسها كانط بين عالم الظواهر وعالم الأشياء في ذاتها، هذه النظرية التي نجد أصولها في الفكر الأفلاطوني، فكل من كانط وأفلاطون أثرًا في فلسفة شوبنهاور، لدرجة تبيّن هذا الأخير نفس التصور الذي قاله به، وبهذا انتقلت عدوى التفرقة إلى فلسفته، ففرق بين العالم كتمثل (عالم الظواهر) والعالم كإرادة (العالم كحقيقة)⁴.

نلاحظ إذن تماهيا بين هذه التصورات الفلسفية، فعالم التمثل أو التمثلات عند شوبنهاور يناظر عالم المحسوسات عند أفلاطون، وكذا عالم الظواهر عند كانط. أما فيما يخص الإرادة فهي تناظر (المثل) عند أفلاطون و(الشيء في ذاته) عند كانط. لكن رغم هذا التأثير فشوبنهاور رفض أن يكون مجرد محاور لكانط، فبدل من أن يكون عقلايا هو الآخر، تجرأ على تحطيم العقل مؤسساً بذلك تيار اللاعقل، وكل ذلك كما قلنا أنفاً كان في سبيل تصحيح هذه الفلسفة من بعض الأخطاء والبرهنة على أخطائها حتى يتمكن من إكمالها على أحسن وجه، فلقد اختلف شوبنهاور مع كانط في عدد المقولات، مختصراً بذلك المذهب الترنسندنتالي إلى ثلاث مقولات فقط، وهي (الزمان والمكان والعلية)⁵.

نستنتج مما سبق أن شوبنهاور تأثر بشكل كبير بفلسفة كانط من خلال عالم الظواهر والشيء في ذاته، لكنه يختلف معه في عدد المقولات الترنسندنتالية التي تعطي الانسجام لما ندركه بالحواس، وإن حافظ على مقولتي الزمان والمكان إلا أنه يرفضهما في سياق حديثه عن الإرادة، لأن هذه الأخيرة شاملة ومعبرة على جميع أفعال الجسم، فمن خلال فكرة كانط التي تقول

- عبدالرحمان بدوي: خلاصة الفكر الأوروبي شوبنهاور، دار القلم لبنان، ص: 61-62

- أرتور شوبنهاور: نقد الفلسفة الكانطية، تعريب وتقديم: حميد لشهب، جداول للنشر والترجمة، الطبعة الأولى 2014، ص: 472

- يقول شوبنهاور في هذا الصدد، "لم يذهب كانط في تفكيره إلى مدهاء الأقصى وما قمت به هو فقط إتمام هذا الفكر"، المصدر نفسه، ص: 44

- سعيد محمد توفيق: ميتافيزيقا الفن عند شوبنهاور، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1983، ص: 334

- المرجع نفسه، ص: 24-25

باستحالة معرفة العالم خارج إطار حواسنا وإدراكاتنا، ربط شوبنهاور الإرادة بالجسد، فكل فعل حقيقي أصيل ومباشر من أفعال الإرادة يكون في نفس الآن وبطريقة مباشرة فعلا مرئيا من أفعال الجسد، الأمر الذي يصرح به شوبنهاور قائلا: " إن الإرادة هي معرفة الجسم بطريقة قبلية، وأن الجسم هو معرفة الإرادة بطريقة بعدية"¹. وكل مطلع على فلسفة كانط سيلاحظ أن مفهومي القبلي والبعدي، يشكلان أساس الصرح الفلسفي الكانطي.

2- العالم كامثال

ينظر شوبنهاور إلى العالم بقدر ما يكون تمثلا، هذه حقيقة تصدق على كل كائن يحيا ويدرك، على الرغم من أن الإنسان هو الوحيد الذي يمكنه أن يتمثل هذه الحقيقة بوعيه المجرد والتأملي، بيد أنه لا يفعل ذلك، وإذا فعله فمن الواضح أنه لا يعرف العالم في صيغته المادية، وإنما سيدرك فقط أن له عينا ترى الشمس، وله يد تحس الأرض، وهذا العالم الذي يحيط به إنما هو قائم هناك بوصفه تمثلا فحسب، أي تمثلا بالنسبة للذات التي تتمثله، وهو الشخص نفسه، لذلك وجب أن نعي هذه الحقيقة التي تفرض ذاتها على الحقائق الأخرى، ألا وهي أن هذا العالم ككل هو مجرد موضوع للذات أي هو من إدراك مدرك، والتي يلخصها شوبنهاور في كلمة (تمثلا)، وهناك جانب من هذا العالم نستخلص منه الصور المجردة، وهو الإرادة، وهذه هي الغاية التي يتغيا شوبنهاور توضيحها من خلال كتابه "العالم كإرادة وتمثلا"، فهذه الإرادة تشكل الوجه الآخر للعالم، لأن العالم يمثل جانبيين: فهو من جهة تمثل مطلقا، ومن جهة أخرى إرادة مطلقة.²

وبالتالي فالعالم لا يوصف حسب شوبنهاور إلا في ارتباطه بصفة الإرادة، ولكي ندرك هذه النواة وجب أولا أن نتمثل العالم الذي تنتمي إليه في صورة الذات المدركة التي تتمثل العالم كموضوع، وهكذا نصل إلى الإرادة عن طريق العالم بوصفه تمثلا، ومنه "فالعالم تمثلي" " إن العالم بوصفه تمثلا- هو الجانب الذي تتمثله بمفرده ها هنا- يتألف من نصفين جوهرين ضروريين متلازمين. والنصف الأول هو الموضوع، وهو خاضع لصورتي المكان والزمان اللذين تنشأ من خلالهما الكثرة. أما النصف الآخر- وهو الذات- فلا يقع في إطار الزمان والمكان"³.

فعالم التجربة الحسية إذن هو عالم الظواهر و عالم التمثلات في نفس الآن، فهو الذي يكون موضوعا بالنسبة للذات العارفة والمدركة، بيد أنه لا يوجد أي موضوع يمكن أن تتمثله بمعزل عن الذات، بمعنى أن هناك قوانين وعلل ثابتة تحكم كل تمثلي يتصل بتمثلي آخر، والعلاقات التي تربط بين كل هذه التمثلات تسمى صور مبدأ "العلة الكافية"⁴، إن العالم الذي يحيط بالإنسان إنما يوجد كتمثل فحسب، معنى ذلك أنه يوجد فقط بالنسبة لشيء آخر ملازم له هو الوعي الذي يمثله الشخص، أي وجوده متوقف علينا كذوات مدركة، لأن الوجود إدراك كما أكد ذلك الفيلسوف التجريبي "بيركلي"، ومن خلال عبارة

- أرتور شوبنهاور، العالم إرادة وتمثلا، ترجمة: سعيد توفيق، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى 2006، ص: 195¹

- أرتور شوبنهاور، العالم إرادة وتمثلا، المصدر نفسه، ص: 55-57²

- المصدر نفسه، ص: 58³

9- مبدأ العلة الكافية: أشهر نسق في فلسفة لايبنتز، وضعه هذا الأخير كمبدأ أساسي للمعرفة والوجود، ومعناه: أنه لا تكون هناك واقعة حقيقية أو صادقة، ما لم تكن هناك علة كافية لأن تكون هكذا لا شيء آخر.

"العالم تمثلي" التي تعني أن كل ما هو موجود فهو موضوع بالنسبة للذات، فإن ذلك يوضح تمام الوضوح أن الذات والموضوع هما نصفان متلازمان في مفهوم العالم كتمثل ومعرفة.¹

إن ثنائية الذات والموضوع هي السمة الأساسية للفلسفة الحديثة، وفلسفة ديكارت أول فلسفة أعلنت عن هذا المفهوم بكل وضوح، مغيرة بذلك منحى الميتافيزيقا من معناها الأنطولوجي إلى معناها الإبيستيمولوجي، معلنا سيادة الذات على الموضوع لأنها تدركه وتقرره، وإن جعلهما شوبنهاور متلازمين في العالم، فهذا لا ينفي قيمة ديكارت داخل تاريخ الفلسفة كمؤسس للثنائية فلسفيا، هذه الثنائية التي سيقضي عليه النسق الإيتولوجي الذي يمثله اسبينوزا، مما يؤكد أن اسبينوزا أكبر مراجعي المذهب الديكارتي عكس ما يروج، لكن هذا موضوع آخر سنخصص له بحثا من أجل توضيح الحدود الفاصلة بين ديكارت واسبينوزا.

عودا على بدء، فمن خلال تحليل عبارة (العالم من تمثلي) تبين لنا مما معناه أن كل وجود خارجي يرجع في واقع الأمر إلى الذات، ومن هذا المنطلق فمذهب شوبنهاور في فلسفة المعرفة، كان مذهب الذاتية، بما أن العالم من تمثلي الذات، فليس باستطاعة المرء إذن أن يدرك العالم على هيئته الحقيقية، إذا ما كان هناك عالم آخر خارج عالم التمثيل، وفي حالة ما حصل ذلك التمثيل للعالم المزعوم، فإنه يكون من خلال جهاز العقل وحسب طبيعة هذا الجهاز ستخلق طبيعة صورة ذلك العالم، نظرا لأنه بيننا وبين الأشياء يوجد عقل دائما وبإستمرار، ولهذا لا يمكن إدراكها بحسب ما عساها أن تكون عليه في ذاتها.²

هناك إذن قانون قبلي، أي موجود في طبيعة العقل والذات وليس مستمدا من التجربة، ذلك لأن كل عالم خارجي مزعوم فهو من الذات أو يسير حسب جهازها، هذا القانون هو الكفيل بتسيير الوجود والفكر على حد سواء، إنه قانون العلة الكافية الذي تطرقنا له من قبل، فكل تمثلاتنا مرتبة فيما بينها، بحيث لا يمكن أن تفصل عن بعضها البعض، وهو ارتباط يمكننا أن نعاينه قبليا. بمعنى قبل التجربة. لكونه متركزا في طبيعة الذات، ورغم ذلك فإنه من الأيسر علينا نعاين قانون العلة الكافية بطريقة بعدية، من خلال التطرق لمضمون التجربة وتمييز موضوعاتها. يستدعي إتباعنا لهذا المنهج حسب شوبنهاور الوصول إلى أربعة أنواع من التمثلات أو الموضوعات، وهي على التوالي: التأثيرات الحسية، التصورات، العيانات المجردة (الزمان والمكان)، وفي الأخير المشيئات. أما فيما يخص التأثيرات الحسية فهي خاضعة لمبدأ الصيرورة أو المبدأ الفيزيائي، أي العلية بالمعنى العادي،³ فلو كانت هناك حقيقة يمكن أن نعبر عنها أوليا، حسب شوبنهاور فهي أن الذات هي التي تتمثل العالم، هذه الحقيقة تعبر عن صورة كل تجربة يمكننا أن نتصورها بأكثر عمومية من الصور الأخرى، أي من الزمان والمكان والعلية، فليس هناك حقيقة أكثر يقينا من هذه الحقيقة، أعني أن كل شيء يوجد للمعرفة، أي العالم كله لا يكون موضوعا إلا بالنسبة للذات ولا إدراكا إلا بالنسبة للمدرك، باختصار العالم لا بد أن يكون تمثلا، فكل شيء ينتهي إلى العالم يتوقف على شرط أساسي، ألا وهو الذات ولا يوجد إلا من أجل الذات.⁴

- سعيد محمد توفيق: ميتافيزيقا الفن عند شوبنهاور، ص: 49¹

- عبدالرحمان بدوي: خلاصة الفكر الأوروبي شوبنهاور، المرجع نفسه، ص: 77-78²

- المرجع نفسه، ص: 79-80³

- فؤاد زكريا، آفاق الفلسفة، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1988، ص: 202⁴

وهكذا فالإرادة تنكشف بوضوح لشوبنهاور في اللحظة التي ينظر إلى نفسه فردا تمتد جذوره في هذا العالم الذي يتمثله، وهي الكفيلة بإعطائه مفتاح الوجود وتكشف له دلالاته، وبالتالي فالعالم وسيلة من أجل الوصول إلى الإرادة، لكونهما مرتبطان فيما بينهما¹، لأن الشرط الأساسي لكل معرفة يقتضي كما قلنا من قبل وجود ذات كمدرك وموضوع كمدرك من طرفها، وموضوع تلك المعرفة في الإرادة ذاتها، من رغبات ويأس وحب وبغض وألم، بحيث أن اللذة هي كل ما يوافق إرادتنا ويلائمها، أما الألم فهو كل ما يعارضها ويحول دون تحقيق مقاصدها² فهذا شوبنهاور يقول بهذا الصدد "علينا أن نبحث في الإرادة عن المعلوم الوحيد القابل لأن يكون المفتاح لأية معرفة أخرى، ومنها يبدأ الطريق الوحيد الضيق الذي يمكن أن يفرض بنا إلى الحقيقة. ومن أجل هذا، يجب أن نبدأ من ذاتنا لأجل إدراك الطبيعة وفهمها لا العكس، فلا يجب أن ننشد معرفتنا لأنفسنا في معرفة الطبيعة."³

3- العالم كإرادة

إن المعنى الذي يبحث عنه شوبنهاور لهذا العالم الذي يتمثل أمامه باعتباره تمثلا فحسب، هو الانتقال منه لأنه مجرد تمثّل للذات العارفة للوصول إلى شيء آخر يكونه هذا العالم بجانب كونه تمثلا، ألا وهو الإرادة التي ترتبط مع ذلك العالم الخارجي، إنها إرادة باطنة تكشف للإنسان هذا الوجود بأكمله، ولعل الجسم أكبر تعبير عن المواضيع الخارجية التي ترتبط بإرادتنا وبطريقة سببية⁴، إذ يقول شوبنهاور في هذا الصدد "فالإرادة، والإرادة وحدها، هي ما يمكن أن يمنحه مفتاح تفسير ظاهرة وجوده الخاص، ويكشف له مغزى وجوده، ويبين له الآلية الباطنة الكامنة وراء وجوده وأفعاله وحركاته."⁵

لهذا فجوهر الوجود والذات الإنسانية هي الإرادة، لا الفكر كما أقر كانط، لأن الإرادة هي الشيء في ذاته والحقيقة المطلقة، فالعالم ليس فقط تصورا خالصا ومحضا، بل هو إرادة تسكن الإنسان وتسبق العقل وتتقدم عليه وغير خاضعة لمقولتي الزمان والمكان، كونها مستقلة وغير خاضعة لقوانين الطبيعة ولا لمبدأ العقل الذي تسبقه وتحدده.⁶

نلاحظ إذن أن الإرادة تمثل كل فعل نقوم به حتى وإن كان جزئيا فهو يعبر عنها، لأنها هي الطبيعة الباطنة التي تسكن الذات والتي يستطيع من خلالها الفرد فهم ذاته وفهم العالم بكل تجلياته لأنها توجد في ذاته كجوهر وماهية غير خاضعة لقوانين العالم الحسي، أما العقل فما هو إلا خادم لها، فحينما نشعر بالجوع على سبيل المثال؛ وتكون لنا إرادة في الأكل فإن العقل يبدأ بالتفكير في كيفية تحضير الأكل، ومن هنا فهو الوسيلة التي تحقق رغبة الإرادة.

- أمل مبروك، الفلسفة الحديثة، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2011، ص: 275¹

- وفيق غريزي، شوبنهاور وفلسفة التشاؤم، الطبعة الأولى 2008، ص: 69²

- عبدالرحمان بدوي: خلاصة الفكر الأوروبي لشوبنهاور، ص: 189³

¹⁷- يقول شوبنهاور في كتابه "العالم كإرادة وتمثلا"، ص: (194) "فكل فعل من أفعال إرادتنا يعد أيضا في نفس الوقت وحتمًا حركة من حركات جسمه"

- أرتور شوبنهاور، العالم كإرادة وتمثلا، المصدر نفسه، ص: 194⁵

- عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الطبعة الأولى 1986، ص: 119⁶

ومنه فالإرادة وحدها هي العلة الكاملة للمشئنة، بمعنى أنها هي أصل كل فعل، وليس المعرفة أو العقل، لا ننكر أن أفعالنا تتوقف إلى حد كبير على المعرفة، أي أننا نريد شيئاً لأننا نعرفه، بيد أنه يجب أن نلاحظ في نفس الآن أننا إذا كنا نعرف هذا الشيء دون الآخر فما ذلك إلا لأن إرادتنا قد شاءته دون الآخر، وهكذا ففعل الإرادة سابق حتى على فعل التعقل، لأن الإرادة باعتبارها جوهرًا ونواة ثابتة فإنها تتحمل مسؤولية التصميم والعزم، فالإنسان في آخر المطاف كائن مريد.¹

لهذا أقول وبصريح العبارة أنه من العيب قراءة الإرادة عند شوبنهاور بخلفية ديكرتية، ومن يفعل ذلك فإنه يعبر عن قصور فلسفي عميق، فالجوهر عند ديكرت هو العقل، لهذا فالإرادة تعتمد عليه اعتماداً تاماً في اتخاذ قراراتها، لأن العقل هو الذي ينيّر لها الطريق، وإن كان ديكرت في نصوص أخرى يصور لنا الإرادة بأنها منبهة للعقل، وباعثة للتفكير، فإن هذا القول محكوم بشروط كرونولوجية تحدده، لأن الرجل أقرّ بصريح العبارة بجوهرية العقل وماهويته، والكوجيطو أكبر دليل عن ذلك، أي نعي ما نريد لأننا نعقل إرادتنا. لكن شوبنهاور - كما تفضلنا من قبل - يصر على أن الجوهر المحدد لكل فعل نقوم به هو الإرادة، لأنها توجد في ذاتها ويمكننا الإحساس بها دون أي وعي، أي إرادة عمياء وغير واعية محكومة باللاشعور، أما العقل فهو عبد لها، وهذا واضح وبديهي بالنسبة لفيلسوف حطم العقل بلغة جورج لوكاش.

فالإرادة الكلية تظهر واضحة في عالم الأحياء، ذلك لأن الكائن الحي يتكون من باطن، ويعمل من باطن، بمعنى أن الإرادة الكلية هي التي تصور أعضائه وتلائم بينها وبين البيئة، وأنها هي التي تعمل فيه أثناء اليقظة والنوم بدون انقطاع، وهنا تصبح العلية كمؤثر أو دافع، ويبدو المعلول محتويًا على أكثر ما في العلة، والإرادة هي علاقة هذه العلية، وبالتالي فالمعرفة نفسها ما هي في واقع الحال إلا وسيلة للإرادة تتوخى منها صوراً للحياة، والعقل هو الآخر يعتبر أعلى تجليات الإرادة،² "إن العقل آلة للحياة أكثر إحكاماً وتنوعاً مما للحيوان من آلات، ذلك أن آلات الحيوان ظاهرة وغاياتها معروفة محددة، أما العقل فباطن يخفي غايةً ويستخدم ما يشاء من آلات مصنوعة."³

ومن هنا فإن هذا التنوع في الصور الطبيعية صادر عما في الإرادة الكلية من حب البقاء وميل للتحقق إلى أقصى حد، وهذا التنوع هو أصل تعارض الموجودات وتصارعها، لأن الإرادة تسكن كل الكائنات الحية وبموجبها يخلق الانسجام بين الكائن ووجوده لأنها توجد في باطنه وأي فعل قام به الكائن الحي فهو معبر بالضرورة عن تلك الإرادة العمياء التي تسيره داخل العالم.

4- إرادة الحياة

لقد شكلت الإرادة اللبنة الأساس التي انبنت عليها فلسفة شوبنهاور ككل، وذلك منذ ظهور كتابه الرئيسي المعنون "بالعالم كإرادة وتمثلاً" وضمنه نجد مفهوماً آخر مغايراً للمعنى العادي لمفهوم "إرادة"، فنحن نفهم من الإرادة أنها قوة نفسية تصدر في أفعالنا عن بواعث يملها العقل بأحكامه، ونريد شيئاً معيناً بكل ما نملك من وعي، لكن شوبنهاور كسر هذا المنطق العقلي معرفاً الإرادة باعتبارها الجوهر والنواة التي تحدد أي فعل نقوم به داخل العالم، وهي إرادة عمياء وغير عاقلة، أو أن العقل

- عبدالرحمان بدوي: خلاصة الفكر الأوروبي شوبنهاور، المرجع نفسه، ص: 106¹

- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، كلمات عربية للنشر والترجمة، ص: 303²

- المقصود بالعقل الأول، عقل الحيوان، والعقل الثاني عقل الإنسان، فهذا الأخير يخدم الإرادة بطريقة أكثر إحكاماً من الأول.³

ثانوي بالنسبة إليها، تسكننا وتوجهنا دون أي وعي وشعور منا، وما قيامنا بأفعال معينة، إلا خدمة لهذه الماهية التي توجد في ذاتها، وعليه فأنا أظن بأن فرويد كان شديد الاطلاع على شوبنهاور أثناء تأسيسه للاشعور.

وعليه فالفرد لا يمكن أن يعرف إرادته بكليتها، ولا أن يعرفها في وحدتها، بل الأدهى من ذلك هو أنه لا يعرفها تماما في جوهرها، فهي لا تتبدى له إلا في أفعالها المنعزلة، ولا يمكنه أن يتمثلها دون تدخل الجسد وباقي الأشياء داخل العالم، أي من بين شروط الإحساس بها هو جعل العالم تمثلا، وبالتالي: "فالإرادة هي جوهر وجود الفرد، ففيها يجد بالتأمل الباطن المباشر الجوهر الحقيقي لوجوده الذي لا يمكن أن ينفي، وبالجملة فإن الإرادة هي (الشيء في ذاته) وهي الجوهر الخالد غير القابل للفناء عند الإنسان ومبدأ الحياة فيه."¹

وبالتالي فالإرادة هي مجموع الأفعال التي يقوم بها الفرد من أجل معرفة العالم وفهم الطبيعة الباطنة للأشياء، هذه الطبيعة الباطنة التي تسكننا هي التي تسعى فينا إلى بلوغ غايات كبرى انطلاقا من الاعتماد على المعرفة، وإن كانت في هذه الحال تظهر في أضعف تجلياتها ساعية سعيا أعنى بأسلوب باهت، وبطريقة واحدة، فإنها في كلتا الحالتين تحمل اسم الإرادة "ذلك أن الإرادة تشير إلى ما يكون وجودا في ذاته (أي الطبيعة الباطنة) بالنسبة لكل شيء في العالم، واللب الوحيد لكل ظاهرة."²

باختصار فإنه بالرغم من التحولات التي تطرأ على الإنسان، يبقى فيه شيء ثابت لا يتغير، لدرجة أنه يمكننا أن نتعرف على الشخص وأن نجدّه على حاله، رغم مرور مدة طويلة، ورغم تغير جسده، الأمر الذي ينطبق على ذاتنا كذلك، فقد نهرم ولكننا نشعر في أعماقنا إننا مازلنا كما كنا في شبابنا وطفولتنا. هذا العنصر الثابت الذي يظل دائما في هوية مع نفسه دون أن يشيخ أبدا، هو نفسه نواة وجودنا الذي ليس في الزمان، وبالتالي فالشخص وهويته لا يتوقفان على الشعور، بل يتوقفان على الإرادة باعتبارها نواة وجودنا. إذن نتأكد مع شوبنهاور وبدون أي ريب أن الإرادة هي معقل الفردية.³ فشخصية الإنسان تكمن في إرادته، وليس في عقله، وحتى الجسم نفسه فهو من إنتاج الإرادة، فالدم الذي تدفعه تلك الإرادة التي نسميها بغموض الحياة، يدشن أوعيته التي يجري فيها بشق أجنبية في جسم الجنين وتزداد هذه الأجنبية عمقا وتتعلق وتصبح عروفا وشرائينا، إرادة الإنسان أن يعرف تبني المخ، مثلما أن إرادته في القبض على الأشياء تكون بالأيدي، وإرادته ليأكل تتطور بالجهاز الهضمي،⁴ إذن هناك علاقة ترابطية بين الإرادة والجسد كما عبرنا عن ذلك من قبل.

فكل ما نلاحظه في الطبيعة من صراع وتناوب وإنحصار، فهو جوهرى بالنسبة للإرادة، لأنها تعبر عن الحياة في العالم، فكل الكائنات بمختلف أصنافها تسعى إلى إرادة الحياة، والطبيعة ذاتها لا يمكن أن توجد إلا في ظل هذا الصراع، فبدونه لكانت الأشياء على شاكلة واحدة دون أي تمايز، يقول شوبنهاور بهذا الصدد " إن هذا الصراع الكوني ذاته إنما هو فحسب تجل لتنازع الإرادة مع ذاتها الذي يعد جوهريا بالنسبة لها. وهذا الصراع يشاهد على اوضح نحو في المملكة الحيوانية."⁵

- أمل مبروك، الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص: 275¹

- أرتور شوبنهاور، العالم كإرادة وتمثلا، المصدر نفسه، ص: 121-122²

- أرتور شوبنهاور، العالم كإرادة وتمثلا، المصدر نفسه، ص: 52-33³

- ول ديورنت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ص: 245⁴

- أرتور شوبنهاور، العالم كإرادة وتمثلا، المصدر نفسه، ص: 261⁵

وهكذا إرادة الحياة تفترس ذاتها بوجه عام، وهي بشكل عام تتغدى على نفسها، فالكائن الحي يسعى إليها عن طريق الصراع عليها، إن الحيوانات تتخذ المملكة النباتية مصدرا لغذائها، والحيوانات ذاتها تعيش عن طريق أكل بعضها البعض، بمعنى أن استمرار الحيوان داخل الحياة وتأكيد وجوده مقابل ذلك، رهين بإزالة وجود حيوان آخر، وفي آخر المطاف تخضع كل إرادات الكائنات الأخرى لإرادة الكائن البشري ويحولها لذاته، بيد أنه على حين غرة سيكشف هو الآخر عن تطاحن حول إرادة الحياة وبموجبه سيصبح الإنسان ذئبا للإنسان.

ومن هنا ينكشف لنا أن كل هذه الأفعال هي أفعال غريزية، وليست نتيجة لمنطق أو تفكير، فهي ليست تعبيراً للعقل، بل هي تعبر عن إرادة بلوغ حد أعلى من الحياة، كما أنها غريزة هذه الحياة بالنسبة إلى جميع المخلوقات الحية،¹ فهي لا تمثل غير هذه الإرادة، وما الموت إلا مظهر من مظاهرها العرضية، الزائلة ولا يمكنه إصابة إرادة الحياة، التي هي إرادة عمياء غير عاقلة، لا تفسير لها إلا أن جوهرنا وكياننا كله إرادة الحياة الخالصة، وأن الحياة - تبعاً لهذا - يمكن أن تعد الخير الأسمى مهما يكن من مرارتها وقصرها واضطرابها، ومن هنا يدعونا شوبنهاور إلى "التأمل ببصرنا موضوعياً في الطبيعة بجميع درجاتها فسئرى وقتئذ في الطبيعة كلها آلية واحدة هي حفظ النوع"²

نخلص في النهاية إلى أن إرادة الحياة ليست جانباً بسيطاً من جوانب المطلق، أو الشئ في ذاته، بل هي مطلق ذاته، وهي التي تحدد جميع الكائنات، باعتبارها العامل المهم لدى الحيوانات والبشر على حد سواء، وما ذكاء الكائن البشري إلا عنصر ثانوي طارئ وعارض، فهو أداة في خدمة الإرادة، أداة تختلف درجة تعقدها بين قلة وكثرة استناداً إلى ظروف أدائها هذه الخدمة، فماهية الإرادة موجودة حتى لدى أضعف الحشرات، وبالتالي فالفرق بين إرادة باقي المخلوقات وإرادة الإنسان، هو فرق في الفحوى الذي يصدر عن التصور والذكاء فقط،³ "إن الإرادة هي الشئ المطلق. وهي دعامة الأشياء كلها."⁴ إن الإرادة عند شوبنهاور لها تجليات عدة سنحاول التركيز في مقالنا هذا على أهم هذه التجليات، ومنه نطرح التساؤل التالي: أين تتجلى إرادة الحياة؟

1.4. الإرادة في الطبيعة

إن صور الطبيعة ككل ترتبط وتتكيف إحداها بالأخرى في مجال الوجود الظاهري للإرادة الواحدة، وهذا التوافق الإجماعي الطبيعي نراه في كل مكان، وعليه فكل نبات يكون متكيفاً تماماً مع تربته ومناخه، وكل حيوان له مجاله الخاص ومع الفريسة التي تلائم غذائه، وتلك الفريسة بدورها تكون مزودة بحماية إلى حد ما ضد مطاردتها الطبيعيين، والعين تكون متكيفة تماماً مع الضوء وقابليته للانكسار، والرئتان والدم مع الهواء وزعانف الأسماك مع الماء... إلخ. إذن فكل هذه الحالات تتلاءم و الطبيعة حسب شوبنهاور، والإرادة التي تتجسد في هذا العالم بأسره هي نفس الإرادة الواحدة التي لا تخضع للزمان، فهي الكفيلة

- الشيخ كامل محمد عوضة، شوبنهاور بين الفلسفة والأدب، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1993، ص: 78-79

- أمل مبروك، الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص: 275-276

- عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، المرجع نفسه، ص: 600-601³

- التعبير عن فحوى الإرادة عند شوبنهاور، "مع التصرف"⁴

بتكليف كل كائن مع الطبيعة.¹ "إن التربة قد كيفت نفسها لتلائم تغذية النباتات، والنباتات كيفت نفسها لتلائم تغذية الحيوان، والحيوان كيف نفسه لتلائم تغذية حيوانات أخرى، تماما مثلما أن هذه الموجودات ككل قد كيفت نفسها لتلائم مع التربة".² و كأننا أمام عود أبدي بلغة "نيتشه"، فكل أجزاء الطبيعة تكيف بعضها مع بعض، إذ أن نفس الإرادة هي التي تظهر فيها جميعا.

هكذا فكل الكائنات تسعى إلى حفظ نوعها داخل الطبيعة، انطلاقا من تلك القوة الكامنة داخلها والتي لا تعيها أبدا، فهي التي تضمن له الانسجام مع الوجود، فقوى الطبيعة اللاعضوية تمثل درجة أولى من درجات تلك الإرادة، إذ تظهر فيها هذه الأخيرة بشكل غامض أولي يخلو من المعرفة الفردية تماما، ولعل الترتيب الذي تطرقنا له من قبل خير دليل على ذلك، فالنبات يشكل درجة ثانية، والحيوان درجة ثالثة، وهكذا تسلسل حتى نصل إلى الإنسان الذي تظهر فيه الإرادة بوضوح.³ فبموجبها تسير الطبيعة ككل وتنسجم الكائنات مع بعضها البعض، إنها النواة التي تحرك الشيء من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل لأنها توجد في ذاتها داخل كل الكائنات، وبالتالي فالعقل مجرد خادم أمين ومخلص لها، بحيث لا يصبح له أي دور جوهري في المنظومة الوجودية، فقط كونه ملبيا لرغبة إرادة الحياة، باعتبارها مصدر العلل ككل دون خضوعها هي عينها لأية علة، فهي السبب والمسبب في الآن ذاته.

أما فيما يخص هذا الصراع القائم في الطبيعة فما هو في آخر المطاف إلا تعبير عن مشقة الإرادة مع نفسها، ويبدو في أشد تجلياته عنفا في العالم اللاعضوي، حيث يصبح حينئذ نزوعا أعى، وغامضا بعيدا كل البعد عن كل شعور وفردية مباشرين وواضحين، ومنه تظل الإرادة تسمو في درجات تحققها حتى يظهر العقل كضرورة من الضرورات الحيوية التي يحتاج إليها الإنسان في حفظ النوع داخل الطبيعة،⁴ هذه الأخيرة هي التي تضمن للإرادة خلودها حيث يضحي الموت لا أثر له عليها، وذلك عن طريق أداة قوية تلعب الدور الأوفر في الحياة العضوية، هذه الأداة هي الغريزة الجنسية، ففيها يتجلى بأبهى الصور مظهر من أوضاع وأعنف مظاهر توكيد إرادة الحياة نفسها، لأن معنى هذه الأداة هو أن الطبيعة مهمومة بحفظ النوع واستمراره. علاوة على أن شدة هذه الغريزة بكونها أقوى الغرائز، يدل بوضوح، على أن تأكيد إرادة الحياة هو السر في الطبيعة.⁵

الإرادة إذن خلقت العقل لكي يحافظ على بقاء إحدى درجات تحققها داخل الطبيعة، والذي يتجلى في الصورة الإنسانية كصورة تحس بالشيء في ذاته، فجعلها واعية بنفسها مدركة لها، بعد أن كانت في درجات التحقق السفلي عمياء صماء لا يخالطها التفكير أو الشعور، بعبارة أصح نستطيع القول إنها أصبحت موضوعا لنفسها أو تمثلا بعد لم تكن، فالعقل تابع للإرادة خلقتة لكي تشعر بوجودها، وهو دائما في خدمتها في أي وقت طلبت منه ذلك.

- أرتور شوبنهاور، العالم كإرادة وتمثلا، المصدر نفسه، ص: 278-279¹

- المصدر نفسه، "مع التصرف"، ص: 280²

- سعيد محمد توفيق: ميتافيزيقا الفن عند شوبنهاور، المرجع السابق ص: 72³

- فؤاد كمال، الفرد في فلسفة شوبنهاور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991، ص: 224⁴

- أمل مبروك، الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص: 177-178⁵

2.4. إرادة التناسل

إن التناسل هو الذروة العليا التي يهوي منها الفرد بعد تحقيقه إياها بطريقة سريعة، وفي الوقت ذاته تؤكد هذه الحياة الجديدة بقاء النوع في الطبيعة، عن طريق الغريزة الجنسية التي تمثل شجرة النوع الداخلية التي تتأسس عليها حياة الفرد، فهذا الأخير نوعه كالورقة التي تتغذى من الشجرة، وهذا هو السرُّ وراء قوة الغريزة الجنسية، علاوة على أنها تنبع من أعماق طبيعتنا في الوقت الذي نقوم بإخصاء فرد معين، فإنه بإخصائنا إياه قد نزيله من شجرة النوع التي ينمو عليها مما يتسبب في ذوبله ووهنه، ذلك لأن¹ "النسل هو الغرض النهائي لكل كائن عضوي، وهو أقوى الغرائز، وهو الوسيلة الوحيدة التي تمكن الإرادة من قهر الموت، ومن أجل تحقيق هذه الغاية المنشودة فقد تعمدت ألا تضع إرادة التناسل تحت رقابة العقل أو المعرفة والتأمل."² فبفضل التناسل تهزم الإرادة الموت، إذ أن كل كائن عضوي يسارع إلى التضحية من أجل التناسل إذا بلغ ذروة كبيرة من النضج، فمن الممكن أن نصل لدرجة الموت من أجل محاربة الموت والبقاء في الحياة، نستحضر كمثال على هذا، العنكبوت الذي تلتهمه أنثاه بمجرد تلقيحه إياها. إذن فكل الكائنات تضحي من أجل التناسل،³ "حيث أن كل فرد ينشأ من شبيهه من خلال التوالد، وهي عملية تحدث في كل مكان على نحو غامض وهناك من يحاول دون معرفتها بوضوح حتى الآن."⁴ أي أن النسل هو الغرض النهائي لكل الكائنات العضوية، وهو أقوى الغرائز، كونه الوسيلة الوحيدة التي تستطيع من خلالها الإرادة مواجهة الموت.

هذا التنوع الذي تظهر به الإرادة ما هو إلا صورة من صور حب البقاء والميل للتحقق، بغية حفظ النوع بالتناسل، فشيطان النوع هذا يهيج في الفرد أقوى غريزة ويدفعه إلى إرضائها، وما هو في آخر المطاف إلا وسيلة للإرادة الكلية التي تتوق للبقاء في النوع،⁵ هي إرادة تتمظهر في مظاهر الطبيعة البشرية ككل، فحياة الكائن البشري هي سلسلة من رغبات لا تهدأ، وكفاح مستمر من أجل الحياة وتوفير القوت، والإبقاء على النوع، ومن أجل ذلك فمركز الإرادة في البدن يقع في الأعضاء التناسلية، فهي الآلية الوحيدة لحفظ الحياة والإبقاء على النوع،⁶ "إن أجزاء البدن يجب أن تناظرها تماما الرغبات الأساسية التي من خلالها تكشف الإرادة عن نفسها، فهذه الأجزاء هي ضرورة بمثابة التعبير المرئي عن هذه الرغبات، فالإنسان والبلعوم والأمعاء هي جوع متجسد، وأعضاء التناسل هي رغبة جنسية متجسدة، والأيدي المتشعبة والأقدام المسرعة تناظر رغبات الإرادة المباشرة التي تعبر عنها"⁷ فإرادة التناسل في نظر شوبنهاور هي التي تجعل الكائن الحي مستمرا في الطبيعة، وفي سبيل تحقيقها يصل بنفسه إلى درجة الموت.

- شوبنهاور وفلسفة التشاؤم، المرجع السابق، 124-125¹

38- إرادة التناسل هي الأخرى غير خاضعة لقبضة العقل لأنها مجرد تجلي تابع للإرادة الأصل، "إرادة الحياة"، المرجع نفسه، مع التصرف ص: 125

- ول ديورنت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، المرجع السابق، ص: 248³

- أرتور شوبنهاور، العالم كإرادة وتمثلا، المصدر نفسه، ص: 189⁴

- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، المرجع نفسه، ص: 304⁵

- سعيد محمد توفيق: ميتافيزيقا الفن عند شوبنهاور، ص: 59⁶

- المرجع نفسه، ص: 58⁷

إن الزواج وإعطاء عهد البقاء في السراء والضراء ورغبتهما في الاتحاد حتى الفناء في شخص واحد حتى آخر المطاف، ما هو إلا رغبة من الطرفين إلى إتمام نسلهما، وبالمقابل بقاء هذا النسل مستمرا في حفظ وجوده داخل الطبيعة، وهنا تحضرني قولة شوبنهاور " الحب مجرد خدعة من أجل تلبية الرغبات الجنسية"¹ لأن الوجود الغرامي في جوهره يتجه إلى شيء واحد وهو الولادة والحفاظ على النسل.

وإذا كنا نرى في الحب إثارا، فما ذلك في نظر شوبنهاور إلا فعل الطبيعة التي تهدف إلى التضحية بالفرد في سبيل النوع، فنتوهم بأن هناك فائدة من وراء الحب تعود على الشخص، بينما هو في الواقع تضحية وإيثار قصد به حفظ النوع، فيخيل للفرد أنه يسعى نحو غاية فردية، بيد أنه مجرد وسيلة لتحقيق غاية تفوقه، ألا وهي غاية حفظ النوع، وهذا الوهم أصله غريزة جنسية مصحوبة بمتعة عظمى.²

ومن هنا فإن ميتافيزيقا الحب عند شوبنهاور تتأسس حول تبعية الأب للأم والوالد لولده، أو الفرد للنوع وقانون الجنسية أولا وقبل كل شيء، هو أن يختار الوليف مهما كان اختياره لا شعوريا يتقرر إلى مدى كبير بحيث يتلاءم الوليفان لإنتاج النسل.

3.4. الإرادة والأخلاق:

يرى شوبنهاور أن هناك ضروب عدة بمثابة علاج وتحرير للإنسان من رقبة الحياة، وفي الوقت ذاته إنقاذه من أزمة الوجود، فهناك طريق الفن وطريق التقشف واللا اشتها، ثم طريق الأخلاق. الفن علاج مؤقت، أما الأخلاق فهي العلاج الدائم، وبالتالي فعلى المرء أن يعي بأن السعادة ليست هي هدف الحياة ومبتغاها، ذلك لأن الحياة لا هدف لها ولعل النوم هو اللحظة الوحيدة التي يحقق فيها الإنسان سعادته، وبما أنا الحياة أليمة لهذه الدرجة فوجب اعتبار الدافع لكل فعل أخلاقي وجب أن يكون هو الشعور باتحادنا مع المعذيين المتألمين، " إن قيمة الرحمة والشعور بها، هو العاطفة الأخلاقية الأولى."³

لهذا فإنه بالرغم من كل هذه (التشاؤمية) اللا معقولة التي يتميز بها العالم، فهناك طريقا للخلاص، هذا الطريق له مرحلتان: مرحلة مؤقتة، ومرحلة نهائية، وهما معا تتميزان بمحاولة قمع أصل شر العالم.

ولعل المرحلة النهائية والأهم للخلاص من قبضة الإرادة، هي مرحلة الأخلاق، إذ يتم الخلاص الكامل في مجال الأخلاق، في اللحظة التي يدرك فيها الإنسان أن جميع الموجودات تكون وجودا واحدا، أو كما يقول "هيراكليطس" الحكمة هي معرفة أن الكل هو الواحد.⁴ فإذا كان نقاش هيراكليطس يضم الوجود ككل بما في ذلك الإنسان، فإن شوبنهاور بهذا الصدد سيركز على الفعل الإنساني كفعل أخلاقي، فالوحدة التي يقصدها الرجل هنا هي وحدة البيئذاتية التي لا تموضع الآخر وتنظر له كذات مستقلة عن الأنا، وإنما التوحد به حدسيا حتى يصبح هو أنا وأنا هو،⁵ ثم الغيرية باعتبارها نكرانا للذات وتضحية من أجل الغير، هي

- هذا القول متصرف فيه.¹

- عبدالرحمان بدوي: خلاصة الفكر الأوروبي شوبنهاور، المرجع نفسه، ص: 249²

- عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، المرجع نفسه، ص: 121³

- هذا القول ضمن أحد الشذرات التي يعبر فيها "هيراكليطس" عن مبدأ الكون.⁴

- البيئذاتية: مفهوم مركزي في فلسفة "إدموند هوسرل" ومعناها إزالة الجدار الذي يفصل بين الأنا والغير.⁵

الكفيلة بتثبيت مشاعر التعاطف والمحبة بين الناس، فتجد الإنسانية غايتها الكبرى في نشر قيم التضامن في العالم.¹ ذلك لأن شعور كل فرد بفرديته هو مبعث الأنانية، وبالتالي مصدر الشرور جميعا، إذ يتصادم الأفراد مع بعضهم البعض، فتتجم عن ذلك الرذائل الأخلاقية كلها، من قبيل الكراهية والحسد والرغبة في القضاء على الخصم. بيد أنه سرعان ما يصل الإنسان إلى حقيقة مفادها أن تلك الكثرة وحب الآخر ماهي إلا خداع من طرف الغير، وحينها يرفع عن عينه هذا الوهم مكتشفا الأنانية السائدة، مما ينتج عنه انتشار العطف والشفقة، وهذا الشعور هو الذي يطغى على الأفراد بعدما كانت الأنانية تفرق بينهم، ولعل عقيدة الزهد عند الهنود أكبر دليل على ذلك، "إن عقيدة الزهد تمحي الإرادة، باعتبارها أساس الشرور، وفيها الخلاص الكامل من إرادة الحياة، وذلك في حالة (الزفاننا) أي محو الفردية تماما في حالة من الوحدة الكاملة مع الوجود في مجموعته".²

إذن فالعطف والشفقة والأخلاق هم الأساس الذي سيخلص الكائن البشري من تلك الإرادة العمياء التي تسكنه محاولا بذلك ضبطها، إذ "أن الفضيلة تقوم على توافق النفس مع ذاتها خلال الحياة في مجملها".³ إذن فغاية الأخلاق عند شوبنهاور كسائر الفلسفات الأخرى تجعل الواقع معقولا، وهي التي تحافظ على الفرد وتصونه من أنانية الآخرين، وإن كانت أخلاقا مبتدعة فهي الكفيلة بإعطاء وهم الحب للغير.

فانطلاقا من تأسيس أخلاق العبيد والشفقة نقضي نهائيا عن إرادة الحياة باعتبارها إرادة جوهريّة ونواة تسكن الإنسان وتحركه، ومن هنا نعثر عن التلمذة الفلسفية التي تلقاها نيتشه صاحب المطرقة على يد شوبنهاور، فقط استبدل إرادة الحياة ووضع مكانها إرادة القوة، فإذا كانت إرادة شوبنهاور إرادة لا شعورية تصنع الكائن وتوجهه، فإن الإرادة النيتشوية إرادة واعية تصلنا إلى الإنسان المتفوق⁴ القادر على تكسير القيم والتقاليد التي يتشبعها الإنسان من الدين والثقافة منذ نعومة أظفاره، فنيته نفسه بحق خليفة شوبنهاور، فأخلاق شوبنهاور الشرقية في نكران الذات تلوح بعيدة عن التناغم مع ميتافيزيقاه في القدرة الكلية للإرادة، والإرادة عند نيتشه أولية أخلاقية كما لها أولية ميتافيزيقية.

إن كانط لم يجد (الشيء في ذاته) في العقل وبالعقل، ووجده في المقابل في الفعل الأخلاقي الحر، مؤسسا بذلك المبدأ الإرادي في العصر الحديث. إلا أن شوبنهاور فاق كانط وشلنج في إقامة مذهبه في الوجود بأسره على أساس فكرة الإرادة، فاستحق بذلك اسم المؤسس الأول والحقيقي للمذهب الإرادي في العصر الحديث.⁵

خلاصة القول إن الإنسان حسب شوبنهاور وجد في الأخلاق المبتدعة الخلاص الذي ينقذه من الآلام، فعن طريق التأمل والعبقرية تتناسى الإرادة، وتتناسى فرديتها، ففي العبقرية يتغلب العقل على الإرادة تغلبا ظاهرا، ولما كانت الإرادة شرا، فمعنى ذلك أن شخصية العبقرية لها طابع أخلاقي، بمعنى أن العبقرية عند شوبنهاور هي القدرة على الرؤية الجمالية أو الميتافيزيقية،

- الغيرية: مصطلح نحتته الفيلسوف الوجودي "أوكست كونت".¹

- فؤاد زكريا، آفاق الفلسفة، ص: 200-201.²

- أرتور شوبنهاور، العالم كارادة وتمثلا، المصدر السابق، ص: 180.³

- الإنسان المتفوق: هو السوبرمان بلغة نيتشه و يمثل الرمز الحقيقي لإرادة القوة والمثل الأعلى للأخلاق.⁴

- عبدالرحمان بدوي: خلاصة الفكر الأوروبي شوبنهاور، المرجع نفسه، ص: 208.⁵

التي يستبعد المرء كل اهتماماته ورغباته، ليصبح ذاتا عارفة خالصة، أو رؤية موضوعية للعالم من خلال إدراك المثل، وبهذا يصبح العبقري مرآة واضحة للماهية الباطنة في العالم ألا وهي إرادة الحياة عينها، إذن ما العبقرية والعقل إلا اكتشاف للجوهر أو الشيء في ذاته في آخر المطاف.¹

خلاصات واستنتاجات:

واضح مما سبق أن طرح شوبنهاور حول مفهوم الإرادة، تنتج عنه العديد من الاستنتاجات المهمة، يمكن أن نذكر منها الآتي:

1- فلسفة شوبنهاور تقوم على الوجدان أو الحدس أو الرؤية، فهي ذات طابع صوفي وجداني، وهي فلسفة قائمة على التجربة، وهذا هو الاتجاه الذي نجده في الفلسفة الحديثة، فالمفكر ليس عقلا صرفا وليس ذهنيا صرفا، وإنما هو كائن حي يجب أن تتحد ملكاته جميعا في إنتاجه.

2- في فلسفة شوبنهاور نعثر على الطابع اللا عقلي، وهذه الجرأة سمحت له أن يكون أول من أدخل فكرة اللامعقول في الفلسفة إذ جعل الإرادة عمياء طائشة، محطما بذلك النزعة العقلية في تفسير تصرفات الإنسان إذ جعل الإرادة هي التي تملي هذه التصرفات لا العقل.

3- وجب ألا نفهم تشاؤم شوبنهاور بالمعنى السطحي، وإنما هو تشاؤم يتعلق بتحقيق الرغبة من عدم تحقيقها، ففي الوقت الذي تحقق فيه الرغبات نحصل على اللذة، وفي الوقت الذي لا تتحقق فيه الرغبات نحصل على الآلام، ومنه فشوبنهاور يتحدث عن التشاؤم بمعناها الميتافيزيقي التجريدي، لا بمعناه السطحي المحكوم بالحس المشترك. وفي الأخير أقول: إن الفلسفات التي يُستعصى علينا فهمها ننعثها بالتشاؤمية، لأنه كيف لرجل متشائم يجعل من الإرادة نواة الإنسان؟.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- رفيق غريزي، شوبنهاور وفلسفة التشاؤم، دار الفرابي، الطبعة الأولى، 2008
- 2- ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف لبنان، الطبعة الأولى، 2004
- 3- عبدالرحمان بدوي: خلاصة الفكر الأوروبي شوبنهاور، دار القلم لبنان
- 4- أرتور شوبنهاور: نقد الفلسفة الكانطية، تعريب وتقديم: حميد لشهب، جداول للنشر والترجمة، الطبعة الأولى، 2014
- 5- سعيد محمد توفيق: ميتافيزيقا الفن عند شوبنهاور، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1983
- 7- أرتور شوبنهاور، العالم إرادة وتمثلا، ترجمة: سعيد توفيق، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، 2006
- 8- فؤاد زكريا، آفاق الفلسفة، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1988

- 9- أمل مبروك، الفلسفة الحديثة، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2011
- 10- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، كلمات عربية للنشر والترجمة.
- 11- عادل العوا، العمدة في فلسفة القيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والتنشر، الطبعة الأولى، 1986
- 12- الشيخ كامل محمد محمد عوضة، شوبنهاور بين الفلسفة والأدب، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1993
- 13- فؤاد كمال، الفرد في فلسفة شوبنهاور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991

أثر الحمية الغذائية على المهارات الأدائية و اللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم
The effect of diet on performance, linguistic and social skills of autistic children from
the viewpoint of their parents

د. علي لطفي علي قشمر/ جامعة الاستقلال، فلسطين جيهان عبد الحافظ عبيد الأحمد/ عمان، الأردن

Dr. Ali Lutfe Ali Qashmar / Al-Al- Istqlal University

Amman Jordan Jahan Abdul Hafez Obaid Al-Ahmad / Jordanian Ministry of Education

Abstract:

Diet reduces the Autism symptoms for children. Diet with nutritional supplements, which autistic children needs, is one of the most important followed treatment methods to reduce the Autism symptoms. It is developed the performance, linguistic and social skills.

In order to reach the impact of diet on the performance skills, language and social child autism from the perspective of their parents, the researchers formulated the following questions:

- What is the effect of diet on the performance, language and social skills of the child of autism from the perspective of their parents?
- Are there statistically significant differences in the effect of diet on the performance, language and social skills of the autistic child from the point of view of their parents due to the following variables (gender of guardian, gender of autistic child, the social status of the guardian and the scientific qualification of the guardian)?

The study concluded a number of recommendations, including: test the food intolerance of autistic children, and follow-up nutritionist to approve the special diet for the autistic child, as they vary according to child case.

Key Words: Diet, Autism, nutritional supplements, treatment methods, performance skills, linguistic skills, social skills.

ملخص:

تساعد الحمية الغذائية لدى أطفال التوحد في التخفيف من أعراض التوحد. حيث تعتبر الحمية الغذائية المدعمة بالمكملات الغذائية "التي يحتاجها لدى أطفال التوحد" من أهم الأساليب العلاجية المتبعة لتخفيف حدة أعراض التوحد وزيادة المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لديهم.

ومن أجل الوصول إلى أثر الحمية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم، قام الباحثان بصياغة الأسئلة التالية:

- ما هو أثر الحمية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم.
- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في أثر الحمية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم تعزى لمتغيرات (النوع الاجتماعي لولي الأمر، والنوع الاجتماعي لطفل التوحد، والحالة الاجتماعية لولي الأمر، والمؤهل العلمي لولي الأمر).
- وقد خلصت الدراسة لمجموعة من التوصيات منها: عمل فحص عدم القدرة على التحمل الغذائي الخاص لدى أطفال التوحد، ومتابعة أخصائي التغذية لإقرار الحمية الخاصة لدى أطفال التوحد، حيث أنها تختلف من طفل لآخر.
- الكلمات المفتاحية: الحمية الغذائية، التوحد، مكملات غذائية، الأساليب العلاجية، المهارات اللغوية، المهارات الاجتماعية.

مقدمة:

لقد وجد الباحثون في بعض لدى أطفال التوحد أن تناول بعض الأطعمة مثل الحليب ومنتجاته والتي يطلق عليها كازيين والقمح ومنتجاته والتي يطلق عليها جلوتين لا تهضم بشكل جيد وتؤدي إلى تراكم مواد تسمى بيتايديز افينونية لها تأثير على الدماغ وتؤثر بشكل فعال على سلوكيات أطفال التوحد¹.

كما أوضحت بعض الدراسات أن بعض الأطفال تعاني من مشاكل سوء امتصاص الأطعمة ونقص في المواد الغذائية التي يحتاجها الطفل نتيجة لخلل في الأمعاء والتهاب مزمن في الجهاز الهضمي وفي عملية التمثيل الغذائي ككل².

مشكلة الدراسة:

يعاني معظم لدى أطفال التوحد من مشاكل هضمية يصعب تشخيصها تؤثر سلباً على الجهاز العصبي لديهم وتؤدي إلى ظهور أعراض و أنماط غير مرغوب بها ويعزى الأمر في هذا إلى عدة نظريات محتملة تسعى لتفسير نتائج التحاليل المخبرية منها عدم مقدرة جسم أطفال التوحد على هضم بعض البروتينات فتتحول إلى مواد أفيونية ضارة جداً تؤثر على أدمغتهم وأخرى تركز على الزيادة الهائلة في عدد البكتيريا الضارة " الكانديديا " ذات النوع الطامث في داخل أمعاء أطفال التوحد والذي يسبب طمئها تشكل سموم و ترشحات في أمعاء أطفال التوحد ويؤدي وصولها إلى دماغ الطفل عبر الدم إلى إتلاف بعض المناطق منه، ومن

¹ الشمالي، محمد وليد (2012). فاعلية البرنامج المنظم لبرنامج (TEACCH) في تحسين مهارات الحياة اليومية لدى أطفال التوحد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، سوريا.

² الصبي، عبد الله، (2003). التوحد وطيف التوحد، (ط1). الرياض، المملكة العربية السعودية. مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

هذه النظريات التي تركز على أسباب النقص المشترك عند أطفال التوحد ببعض العناصر والفيتامينات المفيدة وضرورة تزويدهم بها وكما توصي هذه النظريات بإعطاء نسب معينة من المكملات الغذائية التي أثبتت بعض الدراسات نجاحها بتخفيف حدة أعراض التوحد.

ومن خلال النظر إلى التحسن الملحوظ بمهارات أطفال التوحد الخاضعين لحميات غذائية خاصة عن نظرائهم قام الباحثان إلى إجراء الدراسة الحالية للتعرف على أثر الحماية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم.

ومن أجل الوصول إلى أثر الحماية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم، قام الباحثان بصياغة الأسئلة التالية:

- ما هو أثر الحماية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم.
- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في أثر الحماية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم تعزى لمتغيرات (النوع الاجتماعي لولي الأمر، والنوع الاجتماعي لطفل التوحد، والحالة الاجتماعية لولي الأمر، والمؤهل العلمي لولي الأمر).

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى:

- التعرف على أثر الحماية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم.
- معرفة فيما إذا كان هناك فروق في أثر الحماية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم تبعاً لمتغيرات (النوع الاجتماعي لولي الأمر، والنوع الاجتماعي لطفل التوحد، والحالة الاجتماعية لولي الأمر، والمؤهل العلمي لولي الأمر).
- إثارة الاهتمام لدى العاملين والمهتمين في أطفال التوحد إلى أثر الحماية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم.

فرضيات الدراسة:

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في أثر الحماية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم تعزى لمتغير النوع الاجتماعي لولي الأمر.
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في أثر الحماية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم تعزى لمتغير النوع الاجتماعي لطفل التوحد.
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في أثر الحماية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم تعزى للمؤهل العلمي لولي الأمر.
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في أثر الحماية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية لولي الأمر.

حدود الدراسة:

اقتصرت هذه الدراسة على المحدودات التالية:

محدود مكاني: أجريت هذه الدراسة في كل من فلسطين والأردن.

محدود بشري: أجريت هذه الدراسة على أولياء الأمور لأطفال التوحد.

محدود زمني: أجريت هذه الدراسة خلال الفصل الأول من العام الأكاديمي (2018/2019م).

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أنها تسعى للتعرف على أثر الحمية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم، حيث تتضح أهمية هذه الدراسة في قلة الدراسات التي تناولت موضوع أثر الحمية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم. كما من المتوقع أن تفيد نتائج هذه الدراسة في مساعدة أولياء الأمور على إتباع نظام غذائي محدد ومُدعّم بالمكملات الغذائية اللازمة للحد من أعراض التوحد لدى أطفالهم.

تُفيد نتائج هذه الدراسة في التعرف على العلاقة التي تربط مشاكل الجهاز الهضمي بأعراض التوحد، وبالتالي تسليط الضوء لدى المختصين وأولياء الأمور على ضرورة إتباع الحميات الغذائية الخاصة بأطفال التوحد ودعمها بالمكملات الغذائية اللازمة. كما أن هذه الدراسة تفتح المجال أمام الباحثين لإجراء العديد من الدراسات والأبحاث وتناول متغيرات أخرى لم يتناولها الباحثان.

مصطلحات الدراسة:

- الحمية الغذائية: ويقصد بها الحمية الغذائية الخاصة بأطفال التوحد وهي نظام غذائي خالي من الجلوتين (القمح) والكايزين (الحليب البقري) والسكريات المصنعة والمواد الحافظة والصبغات الغذائية المصنعة.
- التوحد: هو مرض عقلي وعضوي إلى حد ما، حيث أن الأعراض تكون نفسية وجسدية، ويستخدم بعض الكتاب كلمة التوحد عند الإشارة إلى مجموعة من اضطرابات طيف التوحد وهو اضطراب النمو العصبي الذي يتصف بضعف التفاعل الاجتماعي والتواصل اللفظي وغير اللفظي، وبأنماط سلوكية مقيدة ومتكررة. (DSM-5 News and updates Autism speaks, 2014)
- مكملات غذائية: هي مجموعة من الفيتامينات والعناصر الغذائية التي أظهرت نتائج التحليل الطبية نقصها عند معظم الأطفال الذين يعانون من التوحد أو تلك الفيتامينات والمعادن التي أظهرت نتائجها التجريبية على عينات من أطفال التوحد نجاحها في تخفيف حدة أعراض التوحد لديهم؛ مثل (فيتامين B6، فيتامين C، فيتامين D3، فيتامين E، فيتامين K، فيتامين أ، حمض الفوليك، ل كارنيتين، حمض الفوليك، والمغنيسيوم، الكالسيوم، الزنك، السيلينيوم، الريبوفلافين، أوميغا (3) و(9)¹.

¹الشريك، يوسف (2012). العناية الغذائية بالتوحد، الجمعية الليبية للشؤون الإنسانية.

- الأساليب العلاجية: تتوفر عدة أساليب لعلاج الأطفال المصابين بالتوحد منها العلاج النفسي، العلاج السلوكي والمهارات الاجتماعية، العلاج الطبي، العلاج الوظيفي، وعلى الرغم من عدم تمكن أيًا من هذه الأساليب من علاج التوحد بشكل نهائي إلا أنها أسهمت في تخفيف حدة أعراضه¹.

- المهارات اللغوية: هي القدرة على اكتساب واستخدام نسق معين من الإشارات والرموز الصوتية في نظام معقد بهدف التواصل، هناك نوعين من المهارات اللغوية التي يجب تنميتها عند لدى أطفال التوحد وهي اللغة الاستقبالية (مجموعة من المهارات التي تشمل سماع اللغة وفهمها واستخدامها)²، واللغة التعبيرية (القدرة على التعبير عن أفكارنا بكلمات منطوقة)³.

- المهارات الاجتماعية: الأنماط السلوكية التي يجب توافرها لدى الفرد؛ ليستطيع التعامل من خلال الوسائط اللفظية وغير اللفظية مع الآخرين وفقا لمعايير المجتمع فتعود بالفائدة عليه مثل: التفاعل الاجتماعي أو القبول الاجتماعي⁴.

- فلسطين: هي منطقة جغرافية مشكّلة الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام. تقع في قلب الشرق الأوسط وتصل بين غربي آسيا وشمال أفريقيا بوقوعها وشبه جزيرة سيناء عند نقطة التقاء القارتين. وهي تقاطع طرق للأديان والثقافات والتجارة والسياسة، ولذلك لكثير من مدنها أهمية تاريخية أو دينية، وعلى رأسها القدس.

- الأردن: تقع في جنوب غرب آسيا، تتوسط الشرق الأوسط بوقوعها في الجزء الجنوبي من منطقة بلاد الشام، والشمال لمنطقة شبه الجزيرة العربية. لها حدود مشتركة مع كل من سوريا من الشمال، فلسطين من الغرب، والعراق من الشرق، وتحدها شرقاً وجنوباً المملكة العربية السعودية، كما تطل على خليج العقبة في الجنوب الغربي، حيث تطل مدينة العقبة على البحر الأحمر، ويعتبر هذا المنفذ البحري الوحيد للأردن. سميت بالأردن نسبة إلى نهر الأردن الذي يمر على حدودها الغربية.

الإطار النظري:

تعريف التوحد

ترى الشامي⁵ أن التوحد مصطلح يشير إلى الانغلاق على النفس والاستغراق في التفكير وضعف القدرة على الانتباه وضعف القدرة على التواصل وإقامة علاقات اجتماعية مع الآخرين إلى جانب وجود النشاط الحركي المفرط. فالتوحد هو إعاقة متعلقة بالنمو وعادة ما تظهر خلال السنوات الثلاثة الأولى من عمر الطفل وهي تنتج عن اضطراب في الجهاز العصبي مما يؤثر على وظائف المخ. هناك تعريفات كثيرة للتوحد وتهدف هذه التعريفات إلى وصف فئة معينة تحمل نفس الصفات وهي فئة التوحد. ويعتبر العالم كانر (Kannar، 1943) أول من عرف التوحد الطفولي، حيث قام من خلال ملاحظته لإحدى عشر حالة بوصف السلوكيات والخصائص المميزة للتوحد والتي تشمل على عدم القدرة على تطوير علاقات مع الآخرين والتأخر في اكتساب الكلام واستعمال غير تواصلية للكلام ونشاطات لعب نمطية وتكرارية والمحافظة على التماثل وضعف التخيل والتحليل، ما زالت الكثير من التعريفات تستند إلى وصف كانر للتوحد حتى وقتنا الراهن⁶.

¹الإمام، محمد صالح (2007). السلوك الجنسي لدى أفراد التوحد، برنامج الندوة العلمية بمناسبة اليوم العالمي للتوحد. الأكاديمية الأردنية للتوحد، عمان/ الأردن، 11 ابريل.

²الفار، مصطفى، (2003). الدليل إلى صعوبات التعلم. عمان، دار يافا للطباعة والنشر.

³زريقات، إبراهيم، (2004). التوحد الخصائص والعلاج. عمان: دار وائل للنشر والتوزيع

⁴زريقات، إبراهيم، (2004). التوحد الخصائص والعلاج. عمان: دار وائل للنشر والتوزيع

⁵الشامي، وفاء (2004). سمات التوحد. جدّه: مركز جدّه للتوحد.

⁶الشامي، وفاء (2004). سمات التوحد. جدّه: مركز جدّه للتوحد.

أسباب التوحد

منذ أن انتبه العلماء للأعراض التي سموها فيما بعد باضطراب التوحد. مازالت الأسباب غير معروفة بصورة دقيقة وثابتة؛ وذلك لعدم وجود عرض معين. وإنما مجموعة من الأعراض تختلف من حيث الشدة والتنوع من طفل لآخر. حيث هناك فرضيات متعددة بحثت في أسباب التوحد ولكن سرعان ما تمهارة أمام الفرضيات الجدد¹.

1. الفرضية النفسية: وفي هذه الفرضية يتم الوالدان ببرود مشاعرهما اتجاه طفلهم وخاصة الأم².

2. الفرضية البيولوجية: فهناك من يفسر التوحد نتيجة للعوامل البيولوجية؛ وأسباب تبني هذا المنهج بسبب أن الإصابة تكون مصحوبة بأعراض عصبية أو إعاقة عقلية يمكن أن يعزى لها السبب³.

3. الفرضيات الوراثية والجينية: تفترض أن عنصر الوراثة كسبب يفسر اضطراب التوحد. وهذا يفسر إصابة أطفال التوحد بالاضطراب نفسه كما يشير بعض الباحثين إلى الخلل في الكروموسومات والجينات في مرحلة مبكرة من عمر الجنين تؤدي إلى الإصابة به⁴.

كما أشارت كثير من الدراسات والأبحاث العلمية الخاصة بأسباب التوحد إلى أن العامل الأساسي في الإصابة بهذه الإعاقة هو وجود عامل وراثي، فضلاً عن عوامل أخرى تؤثر على نمو دماغ الطفل قبل أو أثناء أو بعد الولادة مباشرة. وقد أمكن الإقلال من حدة هذه العوامل بالتغذية الصحية المدروسة لبعض المكونات الغذائية، والاندماج مع الآخرين⁵.

4. فرضية الفيروسات والتطعيم: اوجد العلماء علاقة بين إصابة الأم ببعض الالتهابات الفيروسية وإصابة التوحد ومن هذه الالتهابات هي الحصبة الألمانية وتضخم الخلايا الفيروسي والتهاب الخلايا الفيروسي. ويرى البعض أن التطعيم قد يؤدي إلى أعراض التوحد بسبب فشل الجهاز المناعي في إنتاج المضادات الكافية للقضاء على فيروسات اللقاح مما يجعلها قادرة على إحداث تشوهات في الدماغ. ولكن لم تعتمد هذه الفرضية من قبل المراكز العلمية⁶.

5. الفرضيات البيوكيميائية: وتفترض حدوث خلل في بعض النواقل العصبية مثل (السيروتونين والدوبامين والبيبتيدات العصبية) حيث أن الخلل البيوكيميائية في هذه النواقل من شأنه أن يؤدي إلى آثار سلبية في المزاج والذاكرة وإفراز الهرمونات وتنظيم حرارة الجسم وإدراك الألم⁷.

6. الفرضيات الأيضية: تشير هذه الفرضيات إلى أن عدم مقدرة أطفال التوحد على هضم البروتينات وخصوصاً بروتين الجلوتين الموجود في القمح والشعير ومشتقاتهما. وكذلك بروتين الكازين الموجود في الحليب. يؤدي إلى ظهور البيبتيد غير المهضوم والذي يصبح له تأثير تخديري يشبه تأثير الأفيون والمورفين. تعطي هذه البروتينات الحبوب خاصية اللزوجة والتمدد

¹ العمر، وليد (2017). الحمية الغذائية عند ذوي اضطراب التوحد. الجمعية السورية للتوحد.

² الفوزان، محمد (2013). التوحد المفهوم والتعليم والتدريب، ط2، الرياض.

³ الصبي، عبد الله، (2003). التوحد وطيف التوحد، (ط1). الرياض، المملكة العربية السعودية. مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

⁴ يحيى، خولة، (2000). الاضطرابات السلوكية والانفعالية، (ط1). عمان، الأردن، دار الفكر.

⁵ عمارة، ماجد السيد علي (2013). إعاقة التوحد، ط2، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

⁶ الفوزان، محمد (2013). التوحد المفهوم والتعليم والتدريب، ط2، الرياض.

⁷ Carter, A., Davis, N., Kiln, A. & Volkmar, F. (2005). Social development in autism. In: Fred R. Volkmar, Rhea Paul, Ami Kiln and Donald Cohen (eds.), Handbook of autism and pervasive developmental disorders: Diagnosis, development, neurobiology, and behavior, Volume 1 (p.312-334). New York: John Wiley & Sons, INC.

والانتفاخ للعينين؛ لذلك يعرف الجلوتين بالزلال النباتي الذي يعطي القوام للأصناف المخبوزة، إذ أنه أثناء عجن دقيق الحبوب يُكوّن الجلوتين عروقاً مطاطية طويلة¹.

7. فرضية التلوث البيئي: يفترض بعض الباحثين أن تعرض الطفل في مراحل نموه الحرجة إلى التلوث البيئي وما يحدث من تلف دماغي وتسمم في الدم (الزئبق والمادة الحافظة للمطاط والرصاص وأول أكسيد الكربون)².

أساليب التدخل العلاجي التأهيلي:

تعددت النظريات التي حاولت تفسير أسباب التوحد ومع تعدد هذه النظريات تعددت أيضاً الأساليب العلاجية المستخدمة في التخفيف من آثار التوحد العديدة والمتنوعة ومن هذه الأساليب³.

- أولاً: أساليب التدخل النفسي.

- ثانياً: أساليب التدخل السلوكي.

- ثالثاً: أساليب التدخل الطبي.

- رابعاً: أساليب العلاج بالفيتامينات والمكملات الغذائية.

- خامساً: أساليب العلاج بالحمية الغذائية.

وفي بحثنا هذا سنتطرق إلى أساليب العلاج بالحمية الغذائية والفيتامينات والمكملات الغذائية.

- الحمية الغذائية:

لقد وجد الباحثون المختصون بمتابعة أطفال التوحد أن تناول بعض الأطعمة مثل الحليب ومنتجاته والتي يطلق عليها كازيين والقمح ومنتجاته والتي يطلق عليها جلوتين لا تهضم بشكل جيد وتؤدي إلى تراكم مواد تسمى ببتايدز افيونية لها تأثير على الدماغ وتؤثر بشكل فعال على سلوكيات أطفال التوحد⁴.

والحمية الغذائية الخالية من الكازيين والجلوتين ثبتت فعاليتها في مساعدة أطفال التوحد، ذلك لأن عدم تحمل الطفل التوحدي لمادة الكازيين "الجبنين" والجلوتين "الغروين" هي إحدى النظريات التي تفسر التوحد وهي مرتبطة بنظريات أخرى ذات علاقة مؤثرة، خاصة ما حدث في اضطرابات داخل المعدة والدماغ لدى المصاب التوحدي وهذه النظريات هي:

- نظرية زيادة الأفيون المخدر لدى التوحد (Opioid Excess)

- نظرية منفذية أو تسريب الأمعاء (Intestinal Permeability)

- نظرية عملية الكبريتة (Free Sulphate)⁵.

¹ الشامي، وفاء، (2014). خفايا التوحد، أشكاله وأسبابه وتشخيصه. (ط2). جدة: مركز جدة للتوحد.

² الوزنة، طلعت حمزة (2014). التوحد بين التشخيص والعلاج، ط2، الرياض، السعودية.

³ الفار، مصطفى، (2003). الدليل إلى صعوبات التعلم. عمان، دار يافا للطباعة والنشر.

⁴ الزريقات، إبراهيم عبد الله (2014). التوحد الخصائص والعلاج، ط2، عمان، دار الفكر.

⁵Smith, D. (2007). Introduction to special education: Making a difference. Boston: Allyn & Bacon.

وهناك العديد من الدراسات التي توضح ارتباط هذه النظريات بالتوحد، فنظرية زيادة الأفيون المخدر لدى التوحدين هي إحدى النظريات المعقدة التي وضعها البروفيسور "جاك بانكسب" (Jack Pinesap) من جامعة جرين بولينج عام (1979)¹. ولقد أضاف كل من الدكتور ريتشيلد عام (1981) والدكتور بول شاتوك مدير وحدة أبحاث التوحد بجامعة سندرلاند في بريطانيا عام (1991) م إلى هذه النظريات نظرية جديدة وتبين هذه النظرية أن لدى التوحدين زيادة في مادة الأفيون المخدر "دون استخدام الأفيون !!!" ولإيضاح ذلك هناك ثلاث مستقبلات تتعامل مع المخدرات في المخ وهي "دلتا وميو وكابا" فإذا زاد المخدر عند الطفل تنتج عنه تصرفات لا تحمد عقباها. ولقد تمت دراسات خاصة بتحليل عينات بول (5000) حالة توحد. ووجد أن هناك مركبات مورفينية أو شبه أفيونية مخدرة لدى أكثر من (80%) من التوحد. ومصدر هذه المواد هما الحليب والحنطة وهذه المواد عبارة عن بروتينات نتجت عن عدم هضم الكازين و الجلوتين بطريقة فعالة لدى التوحد وبالتالي أصبحت ذات مفعول أفيوني مخدر وقد وجدت هذه المركبات في الدم و يفسر ذلك نظرية منفذية أو تسريب الأمعاء أو إصابة التوحد بمتلازمة الأمعاء المسربة وهو ما أجمع عليه الباحثون والعلماء، والعالم الين فريدمان من شركة جونسون أكد وجود هذه المواد الشبه مورفينية أو ذات الطابع الأفيوني، وهذه المواد تفوق قوتها الهيروين و المورفين المخدر ب (2000) مرة !!!، وحيث أن جميع هذه المواد الشبه مورفينية قد تسربت عن طريق الأمعاء المرشحة والتي يمكن أن يكون السبب وراء تسريب هذه الأمعاء هو قصور أو عجز في الأنزيمات والذي بدوره يضعف الطبقة المبطنه لجدار المعدة، وهذا يفسر نظرية عملية الكبرته لدى التوحد فتدخل هذه المركبات الأفيونية المخدرة إلى المخ وتخترق الحاجز الدموي الدماغي وتتعامل مع مستقبلات المخ فيصبح المصاب التوحدي مشبع بالأفيون المخدر، وهذا أيضا يفسر نظرية زيادة الأفيون لدى التوحد؛ حيث إن هذه المواد إما أنها تسبب التوحد أو تزيد من أعراض التوحد².

كما أوضحت بعض الدراسات أن بعض الأطفال تعاني من مشاكل سوء امتصاص الأطعمة ونقص في المواد الغذائية التي يحتاجها الطفل نتيجة لخلل في الأمعاء والتهاب مزمن في الجهاز الهضمي وفي عملية التمثيل الغذائي ككل. لذلك نجد مرضى التوحد يعانون من نقص في معدلات الفيتامينات الآتية: (أ، ب 1، ب 2، ب 6، ب 12) وبعض العناصر مثل البيوتين، السيلينيوم، الزنك والمغنيسيوم، وعلى الجانب الآخر يوصى بتجنب تناول الأطعمة التي تحتوي على النحاس ويعوض عنه بتناول الزنك لتنشيط الجهاز المناعي³.

كما توجد العديد من الدراسات التي توصي بتناول كميات كبيرة من الكالسيوم. ومن أكثر الفيتامينات شيوعاً في الاستخدام للعلاج هو (ب 6) يلعب دوراً كبيراً في خلق الإنزيمات التي يحتاجها المخ " والمغنيسيوم " يجعل فيتامين (ب 6) فعالاً ويحسن من حالات التوحد⁴.

¹ كوهين، سيمون وبولتن، باتريك (2000). حقائق عن التوحد، ترجمة عبد الله إبراهيم الحمدان، ط1، الرياض: أكاديمية التربية الخاصة.

² Heflin, L. & Alaimo, D. (2007). Students with autism spectrum disorders: Effective instructional practices. Upper Sandler River: Me mill & Prentice Hall.

³ الصبي، عبد الله، (2003). التوحد وطيف التوحد، (ط1). الرياض، المملكة العربية السعودية. مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

⁴ الصبي، عبد الله، (2003). التوحد وطيف التوحد، (ط1). الرياض، المملكة العربية السعودية. مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

كيف تكون البداية للعلاج بالحمية الغذائية؟
ويكون ذلك من خلال إتباع الخطوات التالية:

- تحليل بول الطفل التوحدي (فحص عدم القدرة على التحمل الغذائي الخاص بأطفال التوحد).
- عرض هذا التحليل على الأطباء المختصين.
- التنسيق مع أخصائي التغذية على النظام الذي سيتبع مع المصاب.
- إبلاغ البيئة المحيطة بأن الطفل التوحدي سيكون تحت نظام الحمية (الأسرة، الأصدقاء، المدرسة).
- البدء بتطبيق نظام الحمية
- مراقبة وقياس سلوكيات الطفل التوحدي أثناء الحمية¹.

الدراسات السابقة

الدراسات العربية:

دراسة مهدي²: تهدف هذه الدراسة إلى التعرف للمنظور الغذائي للتوحد ووصلته بالإصابة بالتوحد وأهم الآراء النظرية الغذائية في تفسير حدوثه، وأظهرت هذه الدراسة توافق جميع النظريات الغذائية على وجود خلل في الجهاز الهضمي عند لدى أطفال التوحد، وأوصت هذه الدراسة إلى ضرورة نشر ثقافة الوعي الغذائي لدى أطفال التوحد وضرورة إجراء تدخل مبكر للكشف عن مشكلات الجهاز الهضمي وتحديد الإصابة وإجراء محاضرات ونشرات ثقافية لتوعية الآباء والأمهات حول مخاطر الاضطرابات الهضمية.

دراسة ناصر، التميمي³: تهدف هذه الدراسة إلى بناء الوحم الشاذ لدى أطفال التوحد و التعرف على الوحم الشاذ لديهم والتعرف على الفروق في الوحم الشاذ لدى أطفال التوحد تبعاً لمتغير النوع الاجتماعي، لقد تم اختيار عينة البحث من معهد النبال و معهد رامي بعمر (6-12) سنة من كلا الجنسين بواقع (43) ذكر و (40) أنثى، وقد قام الباحثان ببناء مقياس اضطراب الوحم الشاذ لدى أطفال التوحد وتكون المقياس من (28) فقرة وضعت وفقاً لمعايير DSM-IV واستخرج له الصدق والثبات وقد أظهرت النتائج بأنه توجد فروق دالة في الوحم الشاذ لصالح عينة لدى أطفال التوحد ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط الذكور والإناث على مقياس اضطراب الوحم الشاذ.

دراسة اللهيبي، الزهراني⁴: هدفت الدراسة إلى التعرف على المشكلات الغذائية التي تواجه الأمهات والمشرفات في تغذية لدى أطفال التوحد ومدى معرفتهن بالأطعمة المناسبة لأطفالهن المصابين بالتوحد ومدى فاعلية برنامج إرشادي لتنمية الوعي الغذائي للأمهات ومشرفات لدى أطفال التوحد، ولهذا الغرض تم إعداد استبانة شملت على أربع محاور وهي البيانات العامة والممارسات والعادات الغذائية المتبعة عند تغذية لدى أطفال التوحد وأسئلة لمعرفة الوعي الغذائي والأغذية المفضلة لدى

¹ العمر، وليد (2017). الحمية الغذائية عند ذوي اضطراب التوحد. الجمعية السورية للتوحد.

² مهدي، عبد الله (2017). التوحد المنظور الغذائي وإمكانية الإصابة بالتوحد، العراق، الكتاب السنوي لمركز أبحاث الطفولة والأمومة/جامعة ديالى.

³ التميمي، ناصر (2017). الوحم الشاذ لدى أطفال التوحد، بغداد، العراق، المجلد السنوي لمركز أبحاث الطفولة والأمومة/ جامعة ديالى.

⁴ الزهراني، اللهيبي (2009). فاعلية برنامج إرشادي لتنمية الوعي الغذائي للأمهات ومشرفات أطفال التوحد، مكة المكرمة، السعودية.

أطفال التوحد، وأظهرت نتائج البحث أن الوعي الغذائي للأمهات و المشرفات مرتبط بالمستوى التعليمي لديهن ففي حين أظهر البرنامج فاعليته في رفع الوعي الغذائي من المنخفض إلى المتوسط وبفروق دالة إحصائية عند مستوى احتمالية أقل من (0.01). الدراسات الأجنبية:

دراسة جيمس، ادم¹:هدفت الدراسة لتحديد أفضل التدخلات الطبية العلاجية فاعلية في مساعدة الأشخاص الذين يعانون من التوحد عامة و متلازمة اسبرجر خاصة، وخلصت الدراسة إلى أن التدخلات الطبية العلاجية قد لا تكون ناجعة مع كل طفل توحدي ولكنها قد تساعد الآلاف منهم وقد بينت الدراسة أن الأطفال الأقل عمرا أكثر حظا في الاستفادة من التدخلات الطبية، وأظهرت الدراسة أن (65%) من أفراد العينة الذين خضعوا لحمية غذائية خالية من الجلوتين والكازين فقط من دون مكملات غذائية قد تحسنت مهاراتهم كافة بنسب متفاوتة وأن 32% منهم لم يطرأ عليهم أي تغيير و (3%) قد ساءت حالتهم، كما أظهرت الدراسة أن المهارات الأدائية والاجتماعية والسلوكية لدى أفراد العينة تحسنت بعد إعطاء جرعات عالية من والمغنيسيوم وفيتامين B6، وأن هناك تحسن في المهارات اللغوية و الاجتماعية عند إعطاء جرعات عالية جدًا من اوميغا (3) و(9) واختزال الأطعمة المحتوية على اوميغا (6) .

دراسة نيمشيك²: تهدف هذه الدراسة إلى عكس أعراض التوحد استنادا إلى نظرية وجود نسب عالية من فطريات الكانديديا في أمعاء لدى أطفال التوحد ، وخلصت هذه الدراسة إلى ضرورة إتباع ثلاث خطوات إجرائية تعمل على قلب أعراض التوحد لدرجة يصبح عندها الأشخاص التوحديون أقرب إلى الأشخاص السليمين وهذه الخطوات هي تناول مكملات غذائية (inline) الذي يساعد البكتيريا النافعة على النمو و التغلب على الضارة منها , تناول جرعات عالية من الأوميغا (3) و (9) والابتعاد تماما عن الأوميغا (6)، في مرحلة متقدمة الخضوع إلى جرعات عالية من مضادات البكتيريا والفطريات تحت إشراف طبي.

دراسة شن ونغ³:تهدف هذه الدراسة للكشف عن فاعلية التدخل الطبي في تخفيف حدة أطياف التوحد وتكونت عينة الدراسة من (62) طفل توحدي حصلوا على مجموعة من المكملات الغذائية من معادن وفيتامينات، وتوصلت الدراسة إلى نتائج عدة من أهمها أن هناك تحسن ملحوظ في التواصل البصري والمهارات الأدائية لدى أغلب أفراد العينة بتفاوت نسبي بينهم، وكما لوحظ تحسن لدى الأطفال التي أعمارهم دون السابعة من العمر في المهارات اللغوية والاجتماعية.

مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من أولياء الأمور لأطفال التوحد في كل من فلسطين والأردن خلال الفصل الأول للعام الأكاديمي (2019/2018).

¹James B. Adams, Ph.D., (2017). Pilot Study of a Moderate Dose Multivitamin/Mineral Supplement for Children with Autistic Spectrum Disorder. The journal of alternative and complementary medicine. Volume 10, Number 6.

²Nemechek, Patrick, (2017). The Nemechek Protocol for Autism and Developmental Disorders: A How- To Guide for Restoring Neurological Function, Autonomic Recovery, LLC. Powered by Shopify. London.

³Chun Wong. (2010) Randomized Controlled Trial of Acupuncture Versus Sham Acupuncture in Autism Spectrum. The journal of alternative and complementary medicine. Volume 16, Number 5.

عينة الدراسة:

أجريت الدراسة على عينة قوامها (76) من أولياء الأمور لأطفال التوحد في فلسطين والأردن خلال الفصل الأول للعام الأكاديمي (2018/2019). وتم اختيارهم بطريقة عشوائية والجدول (1)، (2)، (3)، (4) تبين توزيع عينة الدراسة تبعاً لمتغيراتها المستقلة.

جدول رقم (1): توزيع عينة الدراسة تبعاً لمتغير النوع الاجتماعي لولي الأمر

النوع الاجتماعي	التكرار	النسبة المئوية
ذكر	16	21%
أنثى	60	79%
المجموع	76	100%

جدول رقم (2): توزيع عينة الدراسة تبعاً لمتغير النوع الاجتماعي لطفل التوحد

النوع الاجتماعي	التكرار	النسبة المئوية
أنثى	44	58%
ذكر	32	42%
المجموع	76	100%

جدول رقم (3): توزيع عينة الدراسة تبعاً للمؤهل العلمي لولي الأمر

المؤهل العلمي للمعلم	التكرار	النسبة المئوية
بكالوريوس وأقل	56	76%
دراسات عليا	20	26%
المجموع	76	100%

جدول رقم (4): توزيع عينة الدراسة تبعاً للحالة الاجتماعية لولي الأمر

النسبة المئوية	التكرار	المؤهل العلمي للمعلم
%84	64	متزوج/متزوجة
%8	6	مطلق/مطلقة
%3	2	أرمل/أرملة
%5	4	منفصل/منفصلة
%100	76	المجموع

منهج الدراسة:

اتبع في هذه الدراسة المنهج الوصفي نظراً لملائمته طبيعتها حيث يتم في هذا المنهج جمع البيانات وإجراء التحليل الإحصائي لاستخراج النتائج المطلوبة.

أداة الدراسة:

اعتماداً على أدبيات البحث والدراسات السابقة واستشارة الخبراء تم بناء استبانة لجمع البيانات من عينة الدراسة اشتملت على (16) فقرة موزعة إلى أربعة أبعاد كما في الجدول رقم (5).

جدول رقم (5): فقرات الاستبانة تبعاً لمجالات الدراسة

#	المجال	عدد الفقرات	الفقرات
1	المشاكل الهضمية	2	1، 2
2	الحمية الغذائية	4	3، 4، 10، 13
3	المكملات الغذائية	4	5، 6، 7، 8
4	التحديات	6	9، 11، 12، 14، 15، 16
	المجموع الكلي	16	

صدق الأداة:

تم عرض أداة الدراسة على مجموعة من المختصين أعضاء هيئة التدريس في الجامعات ومشرفين تربويين في وزارتي التربية والتعليم العالي، وأوصوا بصلاحيتها بعد إجراء التعديلات، وقد تم إجراء تلك التعديلات وإخراج الاستبانة بصورتها النهائية.

ثبات الأداة:

للتحقق من ثبات الأداة استخدمت معادلة كرونباخ ألفا لاستخراج الثبات فبلغت نسبته الكلية على فقرات الاستبانة (0.88) وهي نسبة ثبات تؤكد إمكانية استخدام الأداة.

المعالجة الإحصائية:

بعد جمع البيانات تم إدخال بياناتها للحاسوب لتعالج بواسطة البرنامج الإحصائي للعلوم الاجتماعية (SPSS)، وقد استخدمت النسب المئوية والمتوسطات الحسابية الموزونة واختبار (ت).

نتائج الدراسة

أولاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الأول الذي نصه: ما هو أثر الحمية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم؟

من أجل الإجابة عن هذا السؤال، استخدمت المتوسطات الحسابية والنسب المئوية لكل فقرة من فقرات كل مجال من مجالات الاستبانة.

وقد أعطي للفقرات ذات المضمون الإيجابي (5) درجات عن كل إجابة (موافق جداً)، و(4) درجات عن كل إجابة (موافق)، و(3) درجات عن كل إجابة (محايد)، ودرجتان عن كل إجابة (معارض)، ودرجة واحدة عن كل إجابة (معارض جداً)، ومن أجل تفسير النتائج أعتمد الميزان الآتي للنسب المئوية للاستجابات:

جدول رقم (6): ميزان النسب المئوية للاستجابات

النسبة المئوية	درجة الاستجابات
أقل من 50%	منخفضة جداً
من 50%-59%	منخفضة
من 60%-69%	متوسطة
من 70%-79%	مرتفعة
من 80% فما فوق	مرتفعة جداً

وتبين الجداول (7)، (8)، (9)، (10) النتائج، وبين الجدول (11) خلاصة النتائج.

النتائج المتعلقة بالبعد الأول (المشاكل الهضمية)

جدول رقم (7): المتوسطات الحسابية والنسب المئوية للبعد الأول

#	الفقرات	متوسط الاستجابة*	النسبة المئوية	درجة الاستجابة
1	لدى أطفال التوحد يعانون من مشاكل هضمية	3.9	78%	مرتفعة
2	يعاني لدى أطفال التوحد من إسهال و إمساك في معظم الأوقات	3.9	78%	مرتفعة
	الدرجة الكلية	3.9	78%	مرتفعة

*أقصى درجة للفقرة (5) درجات

يتبين من الجدول رقم (7) السابق أثر الحمية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم على بعد (المشاكل الهضمية) كانت مرتفعة على كلا الفقرتين حيث كان مستوى الاستجابة عليهما بين (70%-79%)، وكانت النسبة المئوية للاستجابة على الدرجة الكلية مرتفعة بدلالة النسبة المئوية (78%).

ويسند الباحثان ذلك إلى ملاحظات أولياء الأمور للاضطرابات الهضمية التي يعاني منها أطفالهم حيث تتأرجح بين إسهالات إلى إمساكات شديدة و انتفاخات وغازات مستمرة بالبطن ووجود بعض الأطعمة غير المهضومة داخل براز أطفالهن، بالإضافة إلى الوهم الشاذ الذي يعاني منه بعض هؤلاء الأطفال، واختصار بعض هؤلاء الأطفال على أصناف محدودة من الأطعمة دون غيرها.

ومن خلال النظر إلى نتائج الدراسة نلاحظ إن استجابة عينة الدراسة كانت مرتفعة على بُعد الأسباب التي تعود للمشاكل الهضمية ويرى الباحثان أن هناك علاقة وثيقة بين المشاكل الهضمية والتوحد بدليل أن هناك العديد من الدراسات التي أكدت على ارتباط التأخر اللغوي والاضطرابات النفسية (تعتبران من سمات التوحد) بالاضطرابات الهضمية.

النتائج المتعلقة بالبعد الثاني (الحمية الغذائية)

جدول رقم (8): المتوسطات الحسابية والنسب المئوية للبعد الثاني

#	الفقرات	متوسط الاستجابة*	النسبة المئوية	درجة الاستجابة
3	يزيد تناول القمح و/أو الحليب البقري ومشتقاتهما من تشتت الانتباه وفرط الحركة لدى أطفال التوحد.	3.8	76%	مرتفعة
4	تساعد الأنظمة الغذائية الخالية من الجلوتين(القمح) والكازين(الحليب) في تحسن إدراك أطفال التوحد.	4.0	80%	مرتفعة جدًا
10	اعتماد نظام غذائي يساعد على نمو البكتيريا النافعة دون الضارة يساعد في تخفيف أعراض التوحد.	3.8	76%	مرتفعة
13	السكريات المصنعة والمواد الحافظة تزيد نشاط أطفال التوحد بشكل ملحوظ وتشتت انتباههم.	4.3	86%	مرتفعة جدًا
	الدرجة الكلية	4.0	80%	مرتفعة جدًا

*أقصى درجة للفقرة (5) درجات

يتبين من الجدول رقم (8) السابق أن أثر الحماية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم على بعد (الحماية الغذائية) كانت مرتفعة جدا على الفئتين (4, 13) حيث كان مستوى الاستجابة عليهما بين (80% - 89%) وكانت مرتفعة على الفئتين (3, 10) حيث كان مستوى الاستجابة عليهما بين (70%-79%)، وكانت النسبة المئوية للاستجابة على الدرجة الكلية مرتفعة جدا بدلالة النسبة المئوية (80%). ويرى الباحثان أن السبب في ذلك يعود إلى الفارق النسبي المحسوس في تطور مهارات أطفال التوحد الملاحظ لدى أولياء الأمور بالإضافة إلى التحسن البيولوجي في المشاكل الهضمية لدى أطفالهم وتقليل عدد مرات تكرار الأنماط الحركية لديهم وانتهاء الوهم الشاذ لديهم حول الأطعمة.

النتائج المتعلقة بالبعد الثالث (المكملات الغذائية)

جدول رقم (9): المتوسطات الحسابية والنسب المئوية للبعد الثالث

#	الفقرات	متوسط الاستجابة*	النسبة المئوية	درجة الاستجابة
5	تساعد المكملات الغذائية المضادة للأكسدة على تطور إدراك ومهارات طفل التوحد	3.5	70%	مرتفعة
6	إعطاء جرعات عالية من اوميغا(3) (زيت السمك) وأوميغا(9) (زيت الزيتون) والابتعاد عن اوميغا(6) (الزيوت المهدرجة) تزيد من قدرات طفل التوحد على التواصل الاجتماعي واكتساب اللغة وتوظيفها.	3.7	74%	مرتفعة
7	إعطاء طفل التوحد مضادات للبكتيريا والفطريات تقلل من الأنماط الحركية لدى طفل التوحد.	3.7	74%	مرتفعة
8	يعاني اغلب لدى أطفال التوحد من نقص فيتامين (D3)	3.6	72%	مرتفعة
	الدرجة الكلية	3.6	72%	مرتفعة

*أقصى درجة للفقرة (5) درجات

يتبين من الجدول رقم (9) السابق أن أثر الحماية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم على بعد (المكملات الغذائية) كانت مرتفعة على جميع الفقرات حيث كان مستوى الاستجابة عليهما بين (70%-79%)،

ويرى الباحثان أن المكملات الغذائية تساعد في الحد من أعراض التوحد من خلال دعم البكتيريا النافعة ومحاربة البكتيريا والفطريات الضارة داخل أمعائهم بالإضافة إلى ضرورة تزويدهم بمضادات للأكسدة لتقليل السموم داخل أجسامهم وبالتالي تخفيف التهابات قشرة الدماغ واضطرابات الجهاز العصبي كما أن لبعض المكملات الغذائية أثر على تحسين عمليات الإدراك

والتركيز وتنشيط مناطق النطق والذاكرة في أدمغتهم وتحسن في وظائف الكبد والكلى مما يعكس إيجاباً أيضاً على المشاكل الهضمية لديهم.

النتائج المتعلقة بالبعد الرابع (التحديات)

جدول رقم (10): المتوسطات الحسابية والنسب المئوية للبعد الرابع

#	الفقرات	متوسط الاستجابة*	النسبة المئوية	درجة الاستجابة
9	يصعب تطبيق حمية غذائية لدى أطفال التوحد بسبب قلة توفر البدائل الغذائية وارتفاع أسعارها.	4.0	80%	مرتفعة جداً
11	لا يوجد تصور واضح لدى أطباء الهضمية وأطباء الأعصاب عن تأثير كل من الجهازين ببعضهما وعلاقتهما بمرض التوحد	3.8	76%	مرتفعة
12	لا يوجد اهتمام فعلي من المؤسسات المعنية بالعناية بأطفالك التوحد بالحمية الغذائية.	4.4	88%	مرتفعة جداً
14	تقلل الحمية الغذائية من اختلاط طفل التوحد بالآخرين.	3.8	76%	مرتفعة
15	تؤثر سلبي الحمية الغذائية على نفسية لدى أطفال التوحد بسبب قساوتها وقلة البدائل الغذائية المتاحة.	4.0	80%	مرتفعة جداً
16	المزاج الحاد والعناد الشديد لدى أطفال التوحد يصعب المهمة على الأهلياتباع الحمية الغذائية.	4.2	84%	مرتفعة جداً
	الدرجة الكلية	4.0	80%	مرتفعة جداً

*أقصى درجة للفقرة (5) درجات

يبين الجدول رقم (9) السابق أثر الحمية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم على بعد (التحديات) كانت مرتفعة جداً على الفقرات (9، 12، 16، 15) حيث كان مستوى الاستجابة عليها بين (80% - 89%)، وكانت مرتفعة على الفقرات (11، 14) حيث كان مستوى الاستجابة عليها بين (70% - 79%)، وكانت النسبة المئوية للاستجابة على الدرجة الكلية مرتفعة جداً بدلالة النسبة المئوية (80%).

ويرى الباحثان أن السبب في ذلك يعود إلى عدة عوامل تشكل معوقات لإتباع الحمية الغذائية من مثل العبء المادي والجسدي والنفسي والاجتماعي المترتب على أولياء الأمور، بالإضافة إلى أن العديد من أطفال التوحد يقاومون بشدة التغيير في أنظمة غذائهم و الوهم الشاذ لأنواع محددة من الأطعمة التي قد تكون غير مناسبة (لاحتوائها على نسب عالية من الجلوتين والكايزين، أو احتوائها على مواد أفيونية أو مواد حافظة أو سكريات مصنعة أو قد تكون غير صالحة للغذاء البشري أصلاً)، كما أنه لا يوجد اهتمام فعلي من المؤسسات المعنية بأطفال التوحد والمجتمعات الطبية بالحمية الغذائية أو حتى أن هناك تعميم إعلامي

حولها مما يشكل ذلك عائقاً لأولياء الأمور ذوي المصادر المحدودة للتعرف على ما قد يفيد أطفالهم للتخفيف من حدة أعراض التوحد لديهم.

خلاصة النتائج وترتيب الأبعاد والدرجة الكلية للاستجابات:

جدول رقم (11): المتوسطات الحسابية والنسب المئوية للأبعاد والدرجة الكلية للاستجابات

#	المجال	متوسط الاستجابة*	النسبة المئوية	درجة الاستجابة
1	المشاكل الهضمية	3.9	78%	مرتفعة
2	الحمية الغذائية	4.0	80%	مرتفعة جداً
3	المكملات الغذائية	3.6	72%	مرتفعة
4	التحديات	4.0	80%	مرتفعة جداً
	الدرجة الكلية	3.9	78%	مرتفعة

*أقصى درجة للفقرة (5) درجات

يتبين من الجدول رقم (11) السابق أن أثر الحمية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم كانت مرتفعة على البعدين (1، 3) حيث كان مستوى الاستجابة عليها بين (70% - 79%)، وكانت مرتفعة جداً على البعدين (2، 4) حيث كان مستوى الاستجابة عليها بين (80% - 89%) وكانت النسبة المئوية للاستجابة على الدرجة الكلية مرتفعة بدلالة النسبة المئوية (78%).

ثانياً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني الذي نصه: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في أثر الحمية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم تعزى للمتغيرات التالية (النوع الاجتماعي لولي الأمر، والحالة الاجتماعية لولي الأمر، والمؤهل العلمي لولي الأمر، والنوع الاجتماعي لطفل التوحد)؟ وتتعلق بهذا السؤال فرضيات الدراسة، والجدول (12)، (13)، (14)، (15)، نتائج فحصها.

نتائج فحص الفرضية الأولى التي نصها: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في أثر الحمية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم تعزى لمتغير النوع الاجتماعي لولي الأمر.

لفحص الفرضية استخدام اختبار (t) والجدول رقم (12) يبين النتائج

جدول رقم (12) نتائج اختبار (ت) تبعاً لمتغير النوع الاجتماعي لولي الأمر

#	المجال	النوع الاجتماعي	المتوسط	الانحراف	ت	مستوى الدلالة*
1	البعد الأول	ذكر	3.7	.68441	1.140	.260
		أنثى	3.5	.69924		
2	البعد الثاني	ذكر	3.6	.69393	.918	.363
		أنثى	3.5	.75598		
3	البعد الثالث	ذكر	3.9	.71731	2.398	.021
		أنثى	3.5	.56618		
4	البعد الرابع	ذكر	3.9	.91391	2.363	.024
		أنثى	3.5	.57369		
	الدرجة الكلية	ذكر	3.8	.68483	1.885	.066
		أنثى	3.5	.59304		

*دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.05)

يتبين من الجدول رقم (12) السابق عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05 \geq \alpha$) في أثر الحمية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم تعزى لمتغير النوع الاجتماعي لولي الأمر على الدرجة الكلية وعلى البعد الأول والثاني حيث كان مستوى الدلالة لقيم (ت) عليها أكبر من (0.05) وبهذا تقبل الفرضية الصفرية. ووجدت فروق على البعد الثالث والرابع ويبدو من المتوسطات الحسابية أنها كانت لصالح الذكور.

يعزو الباحثان النتيجة إلى أن أثر الحمية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد واحدة لكلا الجنسين من أولياء أمور أطفال التوحد، ولهذا السبب لا توجد فروق عند المجال الأول (المشاكل الهضمية) والثاني (الحمية الغذائية)، وكانت الفروق في المجالين الثالث (المكملات الغذائية) والرابع (التحديات)، ويعود السبب أن الرجال لديهم المقدرة على التعامل مع المجتمع المحلي أكثر من الإناث، ولهذا السبب كان لصالح الذكور، ولكون طبيعة الإناث في مثل هذه الحالات وخاصة أمهات أطفال التوحد تتسم بالضعف.

نتائج فحص الفرضية الثانية التي نصها: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha < 0.05$) في أثر الحمية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم تعزى لمتغير النوع الاجتماعي لطفل التوحد.

لفحص الفرضية استخدام اختبار (t) والجدول رقم (13) يبين النتائج

جدول رقم (13) نتائج اختبار (ت) تبعاً لمتغير النوع الاجتماعي لطفل التوحد

#	المجال	النوع الاجتماعي لطفل التوحد	المتوسط	الانحراف	ت	مستوى الدلالة*
1	البعد الأول	أنثى	3.6	.70371	1.644	.281
		ذكر	3.2	.30305		
2	البعد الثاني	أنثى	3.6	.73651	1.347	.366
		ذكر	3.1	.40406		
3	البعد الثالث	أنثى	3.7	.67938	-.640-	.619
		ذكر	3.7	.40406		
4	البعد الرابع	أنثى	3.6	.78447	-.644-	.629
		ذكر	4.0	.80812		
	الدرجة الكلية	أنثى	3.6	.66533	.443	.678
		ذكر	3.5	.12627		

*دال إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05)

يتبين من الجدول رقم (13) السابق عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05 \geq \alpha$) في أثر الحماية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم تعزى لمتغير النوع الاجتماعي لطفل التوحد على الدرجة الكلية وعلى الأبعاد كافة حيث كان مستوى الدلالة لقيم (ت) عليها أكبر من (0.05) وبهذا تقبل الفرضية الصفرية.

يرى الباحثان النتيجة بسبب أن عينة الدراسة كانت الأكثرية منها في فئة الإناث، كما يعزوان السبب في ذلك إلى أن هناك وعياً على درجة واحدة مع أطفال التوحد من الأبناء بغض النظر عن جنس طفل التوحد سواء ذكر أو أنثى.

- نتائج فحص الفرضية الثالثة التي نصها: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في أثر الحماية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم تعزى لمتغير المؤهل العلمي لولي الأمر.

لفحص الفرضية استخدام اختبار (t) والجدول رقم (14) يبين النتائج

جدول رقم (13) نتائج اختبار (ت) تبعاً لمتغير المؤهل العلمي لولي الأمر.

#	المجال	المؤهل العلمي لولي الأمر	المتوسط	الانحراف	ت	مستوى الدلالة*
1	البعد الأول	بكالوريوس وأقل	3.6	.71392	-686-	.532
		دراسات عليا	3.7	.28571		
2	البعد الثاني	بكالوريوس وأقل	3.5	.74972	-203-	.847
		دراسات عليا	3.6	.24744		
3	البعد الثالث	بكالوريوس وأقل	3.6	.68028	-630-	.582
		دراسات عليا	3.9	.51508		
4	البعد الرابع	بكالوريوس وأقل	3.6	.78581	-1.067-	.383
		دراسات عليا	4.0	.67512		
	الدرجة الكلية	بكالوريوس وأقل	3.6	.66548	-777-	.499
		دراسات عليا	3.8	.41394		

*دال إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05)

يتبين من الجدول رقم (14) السابق عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05 \geq \alpha$) في أثر الحماية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم تعزى لمتغير المؤهل العلمي لولي الأمر على الدرجة الكلية وعلى الأبعاد كافة حيث كان مستوى الدلالة لقيم (ت) عليها أكبر من (0.05) وبهذا تقبل الفرضية الصفرية.

يعزو الباحثان النتيجة بأن البيئة التي يعيش فيها أولياء أمور طلبة أطفال التوحد هي بيئة واحدة ولا اختلاف في التعامل مع أطفال التوحد باختلاف المؤهل العملي لولي الأمر، كما أن هناك عامل إنساني في العامل مع الأبناء من أطفال التوحد، ولهذا السبب لا توجد فروق في هذه الفرضية.

نتائج فحص الفرضية الرابعة التي نصها: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في أثر الحماية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية لولي الأمر.

لفحص الفرضية استخدم تحليل التباين الأحادي (ANOVA) والجدول (15) يبين النتائج

جدول رقم (15) نتائج تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق في أثر الحماية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية لولي الأمر.

الأبعاد	مصدر التباين	مجموع مربعات الانحراف	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	مستوى الدلالة*
البعد الأول	بين المجموعات	.401	2	.201	.406	.669
	داخل المجموعات	23.257	47	.495		
	المجموع	23.659	49			
البعد الثاني	بين المجموعات	1.450	2	.725	1.389	.259
	داخل المجموعات	24.532	47	.522		
	المجموع	25.982	49			
البعد الثالث	بين المجموعات	1.184	2	.592	1.341	.271
	داخل المجموعات	20.744	47	.441		
	المجموع	21.929	49			
البعد الرابع	بين المجموعات	2.215	2	1.108	1.884	.163
	داخل المجموعات	27.631	47	.588		
	المجموع	29.847	49			
الدرجة الكلية	بين المجموعات	1.120	2	.560	1.335	.273
	داخل المجموعات	19.708	47	.419		
	المجموع	20.828	49			

*دال إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05)

يتبين من الجدول رقم (15) السابق عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05 \geq \alpha$) في أثر الحماية الغذائية على المهارات الأدائية واللغوية والاجتماعية لدى أطفال التوحد من وجهة نظر أولياء أمورهم تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية لولي الأمر على الأبعاد كافة وعلى الدرجة الكلية، حيث كان مستوى الدلالة لقيم (ف) عليها أكبر من (0.05) وبهذا تقبل الفرضية الصفرية.

يعزو الباحثان السبب في ذلك إلى اهتمام أولياء أمور أطفال التوحد لا يتأثر بالحالة الاجتماعية لولي الأمر، لأن كل ولي أمر يسعى إلى البحث عن سبل ووسائل للحد من أعراض التوحد لدى طفله التوحدي.

التوصيات :

- عمل فحص عدم القدرة على التحمل الغذائي الخاص بأطفال التوحد.
- متابعة أخصائي التغذية لإقرار الحماية الخاصة لدى أطفال التوحد، حيث أنها تختلف من طفل لآخر.

- الحزم والالتزام بالحمية وعدم الإحباط والتخلي عنها لان نتائجها تأتي بعد فترة من الزمن وليس آني.
 - لدى أطفال التوحد بحاجة إلى مكملات غذائية وفيتامينات ومعادن يجب تزويدهم بها وبجرعات عالية؛ حيث تساعد على الحد من أعراض التوحد.
 - ضرورة إجراء فحص لسموم الفيونوريا والمعادن الثقيلة والتخلص منها أن وجدت؛ لأنها تؤثر على كيميائية الدماغ والجهاز العصبي.

- الحمية الغذائية قد تكون لحد سن البلوغ لدى أطفال التوحد وقد تكون على مدى العمر، حسب حالة الطفل.
 - الحمية الغذائية والمكملات الغذائية يسهمان بشكل ايجابي وملحوظ في الحد من سمات التوحد ولكن ليس الشفاء التام.
 - تنخفض صعوبة تطبيق الحمية الغذائية مع الزمن ويعود السبب في ذلك إلى التلاشي التدريجي للوهم الشاذ نحو الأطعمة غير المناسبة لهم.

قائمة المراجع :

المراجع العربية

1. الإمام، محمد صالح (2007). السلوك الجنسي لدى أفراد التوحد، برنامج الندوة العلمية بمناسبة اليوم العالمي للتوحد. الأكاديمية الأردنية للتوحد، عمان/ الأردن، 11 ابريل.
2. التميمي، ناصر (2017). الوحم الشاذ لدى أطفال التوحد، بغداد، العراق، المجلد السنوي لمركز أبحاث الطفولة والأمومة/ جامعة ديالى.
3. الزريقات، ابراهيم عبد الله (2014). التوحد الخصائص والعلاج، ط2، عمان، دار الفكر.
4. زريقات، إبراهيم، (2004). التوحد الخصائص والعلاج. عمان: دار وائل للنشر والتوزيع.
5. الزهراني، اللهيبي (2009). فاعلية برنامج إرشادي لتنمية الوعي الغذائي لأمهات ومشرفات أطفال التوحد، مكة المكرمة، السعودية.
6. الشامي، وفاء (2004). سمات التوحد. جدّه: مركز جدّه للتوحد.
7. الشامي، وفاء، (2014). خفايا التوحد، أشكاله وأسبابه وتشخيصه. (ط2). جدة: مركز جدة للتوحد.
8. الشريك، يوسف (2012). العناية الغذائية بالتوحد، الجمعية الليبية للشؤون الإنسانية.
9. الشمالي، محمد وليد (2012). فاعلية البرنامج المنظم لبرنامج (TEACCH) في تحسين مهارات الحياة اليومية لدى أطفال التوحد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، سوريا.
10. الصبي، عبد الله، (2003). التوحد وطيف التوحد، (ط1). الرياض، المملكة العربية السعودية. مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
11. عمارة، ماجد السيد علي (2013). اعاقاة التوحد، ط2، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
12. العمر، وليد (2017). الحمية الغذائية عند ذوي اضطراب التوحد. الجمعية السورية للتوحد.
13. الفار، مصطفى، (2003). الدليل إلى صعوبات التعلم. عمان، دار يافا للطباعة والنشر.
14. الفوزان، محمد (2013). التوحد المفهوم والتعليم والتدريب، ط2، الرياض.
15. كوهين، سيمون وبولتن، باتريك (2000). حقائق عن التوحد، ترجمة عبد الله ابراهيم الحمدان، ط1، الرياض: أكاديمية التربية الخاصة.

16. مهدي، عبد الله (2017). التوحد المنظور الغذائي وإمكانية الإصابة بالتوحد، العراق، الكتاب السنوي لمركز أبحاث الطفولة والأمومة/جامعة ديالى.
17. الوزنة، طلعت حمزة (2014). التوحد بين التشخيص والعلاج، ط2، الرياض، السعودية.
18. يحيى، خولة، (2000). الاضطرابات السلوكية والانفعالية، (ط1). عمان، الأردن، دار الفكر.

المراجع الأجنبية

19. Carter, A., Davis, N., Kiln, A. & Volkmar, F. (2005). Social development in autism. In: Fred R. Volkmar, Rhea Paul, Ami Kiln and Donald Cohen (eds.), **Handbook of autism and pervasive developmental disorders: Diagnosis, development, neurobiology, and behavior**, Volume One (p.312-334). New York: John Wiley & Sons, INC.
20. Chun wong. (2010). **Randomized Controlled Trial of Acupuncture Versus Sham Acupuncture in Autism Spectrum**. The journal of alternative and complementary medicine. Volume 16, Number 5.
21. Heflin, L. & Alaimo, D. (2007). **Students with autism spectrum disorders: Effective instructional practices**. Upper Sandler River: Me mill & Prentice Hall.
22. James B. Adams, Ph.D., (2017). **Pilot Study of a Moderate Dose Multivitamin/Mineral Supplement for Children with Autistic Spectrum Disorder**. The journal of alternative and complementary medicine. Volume 10, Number 6.
23. Nemechek, Patrick, (2017). **The Nemechek Protocol for Autism and Developmental Disorders: A How-To Guide for Restoring Neurological Function**, Autonomic Recovery, LLC. Powered by Shopify. London.
24. Smith, D. (2007). **Introduction to special education: Making a difference**. Boston: Allyn & Bacon.

الذكاء العاطفي وعلاقته بالتوافق الزوجي لدى عينة من أساتذة جامعة الأغواط، الجزائر Emotional Intelligence and its Relationship with Marital Adjustment in a sample of professors of Laghouat university, Algeria.

د. سحيري زينب ♦ شارف هاجر/جامعة عمارتليجي الأغواط، الجزائر

Amar Telidji University, Laghouat, Algeria./Dr.Sehairi Zineb, Charef Hadjer

ملخص:

هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على العلاقة بين الذكاء العاطفي و التوافق الزوجي لدى أساتذة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الأغواط، إضافة إلى الكشف عن الفروق في كل من الذكاء العاطفي و التوافق الزوجي تبعا لمتغيرات الجنس، و التخصص، والفارق العمري بين الزوجين لدى أفراد العينة .

وتكونت عينة البحث من 50 أستاذا بكلية العلوم الاجتماعية الأغواط ،تم استخدام مقياس بار- أون للذكاء العاطفي، و مقياس التوافق الزوجي من إعداد بلمهوب كلتوم.

وقد أشارت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية بين الذكاء العاطفي والتوافق الزوجي لدى أفراد العينة الكلمات المفتاحية: التوافق الزوجي، الذكاء العاطفي.

Abstract :

The current study aimed to identify the relationship between emotional intelligence and marital Adjustment among professors of the Faculty of Social Sciences at the University of Laghouat, in addition to revealing the differences in both emotional intelligence and marital compatibility depending on gender, specialization, and age difference between the spouses of the sample members.

The research sample consisted of 50 professors specialized in Social Sciences of Laghouat. A Bar-On measure of emotional intelligence, and the marital compatibility scale was prepared by Belmihoub Kaltoum was used.

The results of the study indicated that there is a correlation between emotional intelligence and marital Adjustment among the sample members

Key words : emotional intelligence, marital Ajustement

مقدمة:

يعتبر النجاح في الزواج أهم المشروعات الاجتماعية الحياتية، ويقاس النجاح في الحياة الزوجية بمدى ما يتمتع به الزوجان من توافق زواجي وتفاعلات عاطفية ايجابية ناتجة عن الإشباع المتبادل للحاجات النفسية والاجتماعية بشكل سوي¹. فمستوى التوافق الزواجي يجعل من الزواج مصدرا للمساندة، والشعور بالسعادة، والتفاعل، والنجاح في الحياة فهو أحد المجالات الهامة للتوافق العام، والصحة النفسية، فالحياة الزوجية التي يسودها التوافق تعد حياة سعيدة يشعر فيها الزوجين بالراحة، والطمأنينة، والأمن، والاستقرار النفسي.

ولذلك يعدّ موضوع التوافق الزواجي من أهم المواضيع الراهنة، حيث تزايد اهتمام الباحثين بدراسة الحياة الانفعالية والنفسية للأزواج من جميع النواحي. وهذا ما يتجلّى في مختلف الأبحاث والدراسات التي يسعى العلماء والباحثون من خلالها إلى فهم الحياة الزوجية، ومعرفة خصائص وسمات التوافق الزواجي والأساليب المؤدية إليه.

إنّ قدرة الفرد على التكيف ومواجهة الحياة بنجاح تعتمد على التوظيف المتكامل لقدراته العقلية والانفعالية، والنجاح في العلاقات الشخصية يعتمد على تفكير الفرد في خبراته الانفعالية والمعلومات الانفعالية، والاستجابة بوسائل متوافقة انفعاليا².

حيث يمثل الذكاء العاطفي أحد العوامل التي تضمن لنا النجاح والاستقرار في علاقاتنا مع الآخرين وبالتالي يؤدي إلى تحقيق توافقه النفسي الذي يكون نتيجة التلاؤم الفكري، والعاطفي مع شريك الآخر، ولعلّ هذا ما دفعنا لدراسة موضوع الذكاء العاطفي والتوافق الزواجي لدى عينة من أساتذة التعليم العالي.

الاشكالية:

للعاطفة والانفعالات دور مهم في توجيه الفكر والسلوك الإنساني. والذكاء العاطفي يعد عاملا أساسيا لتجاوز الكثير من الضغوطات والصراعات لتوفره على مهارات عدة، تظهر في قدرة السيطرة على التوتر والانفعالات السلبية التي تصاحب هذه المشكلات والوعي بالانفعالات، والمشاعر، والتحكم بها وإدارتها على أكمل وجه، ومنها التحكم بالغضب والقلق وغير ذلك ...، وقراءة مشاعر الآخرين والتعاطف معها، مما يؤدي إلى تحقيق التوافق والتغلب على العقبات، فكلما زاد الذكاء الوجداني زادت القدرة على مواجهة ضغوط الحياة اليومية والتحديات التي يتعرض إليها الفرد مما ينعكس ايجابيا على مختلف مجالات حياته ولعل من بينهما علاقته مع شريكه وتحقيق توافق زواجي³.

¹ شيماء ، بيومي ، الذكاء الوجداني والتوافق الزواجي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الرقازيق، 2006، ص 02.

² سهاد ، المللي، الذكاء الانفعالي وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى عينة من المتفوقين والعاديين، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد 03، 2010، ص 138.

³ شيماء ، بيومي، مرجع سابق، 2006 : ص 45

ولعل أكثر مجال نحتاج فيه إلى الذكاء العاطفي هو الزواج. الذي يتطلب تفهما وادراك الاحتياجات الشريك. فقد تبين من خلال دراسة دراسة شيماء بيومي (2005)، على عينة بلغت 200 زوج وزوجة، طبق عليهم استبيان الذكاء الوجداني، إعداد رشا الديدي (2005)، ومقياس التوافق الزوجي أن هناك علاقة طردية بين الذكاء الوجداني والتوافق الزوجي.¹

وقد درس De-Silva, 2006 تأثير وأهمية الذكاء الوجداني في علاج الأزواج، وتبين أنه يفيد فقط في بعض الحالات الزوجية دون الأخرى، ويعطي مدخلا علاجيا للعمل مع الأزواج ومشكلات الاتصال بين الزوجين.²

وفي دراسة أقامها رضا فاروق (2002) على 240 زوجا وزوجة من مدينة المنيا أوضحت النتائج أن هناك انتشارا أكبر لبعض الأفكار اللاعقلانية بين الأزواج غير المتوافقين، وأن هناك علاقة ارتباطية سالبة بين تواجد الأفكار اللاعقلانية والتوافق الزوجي.

وقد حاول محمود عبد الله (2006) تحديد نوع علاقة التوافق الزوجي بكل من العوامل الخمسة الكبرى للشخصية والذكاء الوجداني، وتكونت العينة من 324 من المتزوجين من معلمين المرحلة الثانوية، واستخدم عليهم مقياس العوامل الشخصية الكبرى، ومقياس التوافق الزوجي ومقياس الذكاء الوجداني من إعداد الباحث، وكانت أبرز النتائج وجود علاقة موجبة بين الذكاء الوجداني والتوافق الزوجي.³

وهدف دراسة حسني وآخرون . Hasani, Et al (2012) إلى التعرف على دور الذكاء الوجداني في الرضا الزوجي بلغت عينة الدراسة 122، استخدمت مقياس Bar.On للذكاء الوجداني، ومقياس Enrich للرضا الزوجي وكانت أبرز نتائج الدراسة وجود علاقة بين الرضا الزوجي والذكاء الوجداني، 37% من الرضا الزوجي يمكن التنبؤ به من خلال الذكاء الوجداني، بالإضافة عدم وجود فروق في التوافق الزوجي والذكاء الوجداني تعزى لكل من الجنس والعمر.⁴

وبلغت عينة دراسة هابسريانتي وآخرون . Hapsariyanti, et al (2006) 50 زوجا وزوجة حديثي الزواج، وتبين أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين التوافق في الزواج والذكاء الوجداني لدى المتزوجين حديثا، حيث بلغ حجم مساهمة الذكاء الوجداني في التوافق بنسبة 43.3% بينما 56.7% كانت نتيجة تأثير عوامل أخرى.⁵

¹ المرجع السابق، 2006 : ص 257

²De-Silva, P : Review of emotional Intelligence in couples therapy, Peer-reviewed journal , United Kingdom 2006:p174

³محمود، عبد الحليم منسي، مناهج البحث، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006 : ص 60

⁴Hasani, Agha Mohammad. MR, Mokhtaree . R, Sayadi . M, Nazer . SA, Mosav: Study of Emotional Intelligence and Marital Satisfaction, J Psychol Psychother, Volume 2 ,Issue 2,2012,p.216.

⁵Hapsariyanti, Dian - Taganing, Ni Made - Psi, M.Psi. : Emotional Intelligence Relationship with Self Adjustment in Marriage to the Newly Married Couple for Three Years, Available at: <http://www.gunadarma.ac.id>, 2006, p.236.

في حين غيرت دراسة بسيوني (2006) الدراسات السابقة من خلال نتائج دراسته على 63 زوجة، تبين عدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين التوافق الزوجي والذكاء الوجداني، وكذا عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية باختلاف مدة الزواج على مقياسي البحث المستخدمة في التوافق الزوجي والذكاء الوجداني.¹

وكانت نتائج مماثلة لدراسة محمد عسليّة وأنور البنا (2011) على عينة من 200 زوج من العاملين ذوي درجة الدكتوراه. فكانت ابرز النتائج عدم وجود علاقة ارتباط بين الذكاء الوجداني والتوافق الزوجي، إضافة إلى عدم وجود دلالة إحصائية في التوافق الزوجي باختلاف النوع والعمر.²

ومن خلال الدراسات السابقة تبين لنا عدم اتفاق كل الدراسات في أهمية وتأثير الذكاء العاطفي على التوافق لدى الزوجين مما جعلنا نتساءل حول أهمية هذا المتغير خاصة لدى فئة لم تدرس من قبل هي فئة الأساتذة الجامعيين.

فاقترحنا دراسة الذكاء العاطفي وعلاقته بالتوافق الزوجي لدى عينة من أساتذة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة عمار ثليجي بالأغواط ،

وفي ضوء هذا يمكن تحديد مشكلة الدراسة الأساسية وهي كالآتي:

- هل توجد علاقة بين الذكاء العاطفي والتوافق الزوجي لدى عينة من أساتذة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة عمار ثليجي الأغواط ؟

- التساؤلات الفرعية للدراسة :

- هل هناك فروق في الذكاء العاطفي تعزى لمتغير الجنس " ذكر ، أنثى " لدى أساتذة كلية العلوم الاجتماعية بالأغواط ؟
- هل هناك فروق في التوافق الزوجي تعزى لمتغير الجنس " ذكر ، أنثى " لدى أساتذة كلية العلوم الاجتماعية بالأغواط ؟
- هل هناك فروق في الذكاء العاطفي تعزى لمتغير التخصص "علم اجتماع، علم النفس فلسفة" لدى أساتذة كلية العلوم الاجتماعية بالأغواط ؟
- هل هناك فروق في التوافق الزوجي تعزى لمتغير التخصص "علم اجتماع، علم النفس فلسفة" لدى أساتذة كلية العلوم الاجتماعية بالأغواط ؟
- هل هناك فروق في الذكاء العاطفي تعزى لمتغير الفارق العمري بين الزوجين لدى أساتذة كلية العلوم الاجتماعية بالأغواط ؟
- هل هناك فروق في التوافق الزوجي تعزى لمتغير الفارق العمري بين الزوجين لدى أساتذة كلية العلوم الاجتماعية بالأغواط ؟

أهمية الدراسة :

- أهمية الذكاء العاطفي في نجاح الفرد في مجالات حياته المختلفة وعلاقاته الاجتماعية وصحته النفسية .

¹فلاتة، محمود، (2008) ، التوافق الزوجي بين الوالدين وعلاقته بمفهوم الذات، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة طيبة، السعودية، 2008، ص.35.

²عسليّة، محمد؛ البنا، أنور ، (2011) ، الذكاء الانفعالي وعلاقته بالتوافق الزوجي لدى العاملين بجامعة الأقصى ،مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد 03، العدد 02، 2012، ص 235.

➤ أهمية التوافق الزوجي في استقرار الأسرة وحمايتها من الانزلاق في الخلافات والصراعات الأسرية، وفي الصحة النفسية للزوجين من خلال إحساسهما بكفاءتهما الزوجية وقدرتهما على مواجهة المشكلات، والعقبات، والشعور بالرضا، والسعادة والاستمتاع بالحياة، ولما له من مردود طيب على الأبناء وعلى حسن رعايتهم والاهتمام بهم، وتلبية حاجاتهم النفسية والاجتماعية.

➤ ندرة الدراسات التي تناولت العلاقة بين الذكاء العاطفي والتوافق الزوجي لدى أساتذة التعليم العالي بصفة خاصة مما يجعل لهذه الدراسة فريديتها.

➤ تعتبر دراسات الذكاء العاطفي ذات أهمية بالغة لأخصائي خدمة الفرد المشتغل مع حالات سوء التوافق الزوجي نظرا لضرورة ذلك في رفع كفاءة الأداء الاجتماعي للزوجين.
أهداف الدراسة :

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على طبيعة العلاقة بين مهارات الذكاء العاطفي ومستويات التوافق الزوجي لدى عينة من أساتذة التعليم العالي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بالأغواط، ويتفرع هذا الهدف الرئيسي إلى مجموعة من الأهداف وهي :

➤ درجة الذكاء العاطفي السائدة لدى عينة البحث .

➤ درجة التوافق الزوجي لدى أفراد عينة البحث .

➤ الفروق في مهارات الذكاء العاطفي تبعا لمتغير الجنس لدى عينة البحث .

➤ الفروق في مستويات التوافق الزوجي تبعا لمتغير الجنس لعينة البحث .

➤ الفروق في مهارات الذكاء العاطفي حسب نوع التخصص لدى عينة البحث .

➤ الفروق في مستويات التوافق الزوجي نوع التخصص لدى عينة البحث .

➤ الفروق في مهارات الذكاء العاطفي حسب الفارق العمري بين الزوجين لدى عينة البحث.

➤ الفروق في مستويات التوافق الزوجي الفارق العمري بين الزوجين لدى عينة البحث .

فرضيات الدراسة :

➤ توجد علاقة ارتباطية بين الذكاء العاطفي والتوافق الزوجي لدى أساتذة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الأغواط .

➤ توجد فروق في الذكاء العاطفي تعزى لمتغير الجنس " ذكر ، أنثى" لدى أساتذة كلية العلوم الاجتماعية بالأغواط .

➤ توجد فروق في التوافق الزوجي تعزى لمتغير الجنس " ذكر ، أنثى" لدى أساتذة كلية العلوم الاجتماعية بالأغواط .

➤ توجد فروق في الذكاء العاطفي تعزى لمتغير التخصص "علم اجتماع، علم النفس، فلسفة" لدى أساتذة كلية العلوم الاجتماعية بالأغواط .

➤ توجد فروق في التوافق الزوجي تعزى لمتغير التخصص "علم اجتماع، علم النفس، فلسفة" لدى أساتذة كلية العلوم الاجتماعية بالأغواط .

➤ توجد فروق في الذكاء العاطفي تعزى لمتغير الفارق العمري بين الزوجين لدى أساتذة كلية العلوم الاجتماعية بالأغواط .

➤ توجد فروق في التوافق الزوجي تعزى لمتغير الفارق العمري بين الزوجين لدى أساتذة كلية العلوم الاجتماعية بالأغواط .

مفاهيم الدراسة :

■ الذكاء العاطفي :

- تعريف بار-أون وباركر: هو قدرة الفرد على فهم ذاته، وفهم الآخرين من حوله وتقديره لمشاعرهم، وتكيفه ومرونته تجاه التغيرات المحيطة به، والتعامل بطريقة ايجابية مع المشكلات اليومية بما يمكنه من تحمل الضغوط النفسية التي يتعرض لها والتحكم في مشاعره، وإدارتها بكفاءة¹.

التعريف الإجرائي للذكاء العاطفي :

تتحصل عليه من خلال الدرجة الكلية التي يحصل عليها أفراد العينة في مقياس الذكاء العاطفي الذي أعده بار-أون .

■ التوافق الزوجي :

يعرفانه كل من فرج وعبد الله بأنه : " حالة وجدانية تشير إلى مدى تقبل العلاقة الزوجية، وتعد محصلة لطبيعة التفاعلات بين الزوجين في جوانب متنوعة منها: التعبير عن المشاعر الوجدانية للطرف الآخر واحترامه هو وأسرته، وإبداء الحرص على استمرار العلاقة معه، فضلا عن مقدار التشابه بينهما في القيم والأفكار والعادات، ومدى الاتفاق حول أساليب تنشئة الأطفال، وأوجه الاتفاق ميزانية الأسرة بالإضافة إلى الشعور بالإشباع الجنسي في العلاقة."²

- التعريف الإجرائي للتوافق الزوجي :

هو الدرجة التي يحصل عليها المبحوث من خلال تقديم إجابته عن الاستبانة المقدمة إليه والتي أعدتها بلممبوب كلتوم .

■ الأستاذ الجامعي :

هو شخص متحصل على إحدى الشهادات الجامعية مثل : الماجستير - الدكتوراه ، ويقدم دروسا في الجامعة حسب مختلف التخصصات بالعلوم الاجتماعية على أن يكون مرسما .

- الدراسة الاستطلاعية:

تعتبر الدراسة الاستطلاعية خطوة هامة في البحوث العلمية وهي أول خطوة يلجأ إليها الباحث للتعرف على ميدان دراسته، ولجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات حول موضوع البحث، إلى جانب التحقق من وجود العينة بجميع الخصائص المراد البحث فيها، والتحقق من سلامة وصلاحية أدوات جمع البيانات.

قد تم اختيار عينة الدراسة الاستطلاعية في كلية العلوم الاجتماعية جامعة الأغواط، وقد شملت 30 أستاذا .

اعتمدنا على العينة العشوائية على أساس أنها تحقق لنا أغراض الدراسة الاستطلاعية التي نسعى لتحقيق أهدافها المسطرة. حيث تكونت العينة من 30 استاذ واستاذة جامعية. طبق عليهما مقياسا الدراسة مع احتساب صدقهما وثباتهما.

Bar- on, R.: Emotional and social intelligence: insights from the Emotional Quotient Inventory (EQ-i). In R. Bar-On & J.D.A. Parker (eds.): Handbook of emotional intelligence, Jossey-Bass, San Francisco, 2000, p1.

² فرج ، طريف شوقي، محمد عبد الله ، توكيد الذات والتوافق الزوجي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، جامعة الكويت ، العدد 67، 1999، ص.26.

بعد عرض المقياسان على مجموعة من أساتذة علم النفس اتفق كل منهم على وضوح عبارات وتعليمات المقياسين وملاءمتها لموضوع الدراسة بإجماع الأساتذة.

أدوات القياس:

أ- مقياس الذكاء العاطفي (Bar-on& Parker):

في ضوء أهداف الدراسة تم الاعتماد على مقياس الذكاء العاطفي (Bar-on& Parker) لبار-اون وباركر، الذي يتكون من (60) فقرة بواقع (47) فقرة إيجابية و (13) فقرة سلبية ، أعدده (Bar-on& Parker)، وفقا لنموذج السمات أو النموذج المختلط، وهو من ضمن مقاييس التقرير الذاتي، أعد استنادا إلى الأبحاث التي أجراها (Bar-on) ، وهو مقياس متعدد الأبعاد، ولديه قدرة تخمينية عالية في مستوى مهارات الذكاء العاطفي المستقبلية لدى الفرد، ينطلق من النموذج المختلط للذكاء العاطفي ذي النظرة الشاملة لتكامل مهارات الفرد الفكرية، والانفعالية، والاجتماعية ترجم المقياس إلى العربية مرتان كانت المرة الأولى من طرف عجوة (2003) ، ونقل مرة أخرى من طرف رزق الله (2006).¹

ويتألف المقياس من (60) فقرة ذات تدرج رباعي موزعة على (06) أبعاد وهذه الأبعاد تتكون من (15) مهارة، والجدول الموالي يوضح أبعاد المقياس، وأرقام فقرات كل بعد:

جدول (01) يبين أبعاد مقياس الذكاء العاطفي (Bar-on& Parker) وأرقام الفقرات لكل بعد .

الرقم	الأبعاد	أرقام الفقرات
01	الكفاءة الشخصية	07-17-28* -31-43-53*
02	الكفاءة الاجتماعية	2-5-10-14-20-24-36-41-45-51-55-59
03	إدارة الضغوط النفسية	03-6*-11-15*-21*-26*-32*-35*-39-46*-49*-54*-58*
04	الكفاءة التكيفية	12-16-22-25-30-34-38-44-48-57
05	كفاءة المزاج الايجابي العام	1-4-9-13-19-23-29-32-37*-40-47-50-56-60
06	كفاءة الانطباع الايجابي	8-18-27-33-42-52

هذه الإشارة* تدل على العبارات ذات الاتجاه السالب.²

¹ رندا رندا سهيل ، رزق الله ، فاعلية برنامج تدريبي لتنمية مهارات الذكاء الوجداني ، سوريا دمشق: دراسة تجريبية في مدارس مدينة دمشق على عينة من تلاميذ الصف السادس من التعليم الأساسي، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف أملال أحمد، قسم علما لنفس، كلية التربية، 2006 : ص 158.

² نفس المرجع نفس الصفحة

- تطبيق الاختبار: يشتمل المقياس إضافة إلى لائحة الأسئلة، ورقة أولى تتضمن المعلومات ذات العلاقة بمتغيرات الدراسة، الجنس، السن، التخصص، مدة الزواج، الفارق العمري بين الزوجين كما تتضمن هذه الورقة التالي: فيما يلي مجموعة من العبارات التي تشير إلى شعور وسلوك الأستاذ الزوج أو الأستاذة الزوجة نحو بعض المواقف، المطلوب هنا أن يضعان علامة (X) مقابل العبارة التي يشعرون أنها تنطبق عليهما.

- طريقة تصحيح المقياس:

يعتمد المقياس على أربع بدائل هي: نادرا جدا - نادرا - أحيانا - غالبا، تعطى القيم (1-2-3-4) على التوالي في حالة الفقرات ذات الاتجاه الموجب، أما في حالة الفقرات ذات الاتجاه السالب يتم عكس الأوزان، باختيار وعند تحديد الأوزان للإجابة على فقرات المقياس فإن أعلى درجة يمكن الحصول عليها هي 240 (وأقل درجة هي) 60 (هذا وبلغ المتوسط الفرضي للمقياس) 150 درجة، واعتبر الوسط الفرضي نقطة القطع عند مقارنة الوسط التطبيقي مع الوسط الفرضي للحكم على عينة البحث فيما إذا كانت تتمتع بذلك عاطفي أم لا¹.

الخصائص السيكومترية للمقياس:

أ- صدق المقياس في الدراسة الحالية:

تم التحقق من صدق المقياس باستخدام الصدق التمييزي، بأسلوب المقارنة الطرفية، وتقوم هذه الطريقة على أحد مفاهيم الصدق، وهو قدرة الاستبيان على التمييز بين طرفي الخاصية التي يقيسها. حيث تم ترتيب درجات أفراد العينة على المقياس في توزيع تنازلي ثم تم سحب 33% من طرفي التوزيع، لنتحصل على (10) فردا من طرفي التوزيع، بمعنى صارت لدينا عينتان متطرفتان متساويتان، عدد أفراد كل مجموعة يساوي (10) أفراد تسمى إحداهما العينة العليا، والأخرى العينة الدنيا. بعدها تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل عينة، ثم حساب قيمة "ت" لدلالة الفروق بين المجموعتين المتطرفتين والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول رقم (02): دلالة الفروق بين متوسطي العينة العليا والعينة الدنيا في الذكاء العاطفي.

العينة المتغير	العينة العليا ن=10		العينة الدنيا ن=10		قيمة "ت"	الدلالة
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري		
الذكاء العاطفي	220.50	5.68	140.70	3.86	18.57	دالة عند مستوى الدلالة (α=0.05)

يتبين من الجدول رقم (02) أنّ قيمة "ت" لدلالة الفروق بين المتوسطين دالة إحصائياً عند مستوى ($\alpha=0.05$) لدلالة الطرفين، مما يشير إلى أن المقياس له القدرة على التمييز بين المجموعتين المتطرفتين، مما يدل على صدق الاستبيان .

ب- الثبات: بطريقة ألفا كرونباخ :

جدول رقم (03): يبين معامل ثبات مقياس الذكاء العاطفي باستخدام ألفا كرونباخ.

عدد البنود	60
معامل ألفا كرونباخ	0.841

يتضح من خلال الجدول رقم (03) أنّ معامل الثبات باستخدام معامل (ألفا كرونباخ) تساوي (0.84) وهي قيمة مقبولة جداً، وتشير إلى تمتع المقياس بثبات عالٍ.

ب- مقياس التوافق الزوجي (DAS) Dyadic Adjustment Scale:

- وصف المقياس :

ألفه غراهام سبانيه Graham spanier. وعربته الدكتور بلمهوب كلتوم (جامعة الجزائر) .

يتكون من 32 بنداً لمقياس نوعية العلاقة كما يدركها الأزواج ويخدم هذا المقياس عدة أغراض فيمكن استخدامه كمقياس عام للرضا عن العلاقات الحميمة باستخدام النقطة الكلية، ويمكن تكييف الاختبار لاستخدامه في المقابلة، كما يبين التحليل العاملي على تضمينه لأربعة عوامل تمثل أربع مظاهر للعلاقة الزوجية موضحة في الجدول الآتي:

الجدول (04) : توزيع بنود مقياس التوافق الزوجي حسب الأبعاد .

الأبعاد	البنود
الرضا بين الطرفين Dyadique satisfaction	32-31-23-22-21-20-19-18- 17-16
الانسجام بين الطرفين Dyadique cohésion	28-27-26-25-24
الإجماع بين الطرفين Dyadique consensus	من 1 إلى 15 ما عدا 4 و 6
التعبير عن العواطف Affectional expression	30-29-6-4

طريقة تصحيح المقياس: يطبق المقياس بصفة فردية، وتتبع بذلك التعليمات التالية: يشار بالعلامة (x) إلى الإجابة المناسبة، علماً بأن البنود الموضوعية من 1 إلى 32، ويجب الفرد حسب سلم متدرج مؤلف من عدة احتمالات متدرجة تعطى علامة لكل احتمال على النحو التالي :

الجدول رقم (05): سلم تنقيط مقياس التوافق الزوجي حسب مصمم المقياس .

احتمالات الأجوبة							البند
دائماً نتفقد	معظم الأوقات نتفقد	كثيراً ما نتفقد	أحياناً نتفقد	معظم الأوقات نتفقد	دائماً نتفقد		
00	01	02	03	04	05	من البند رقم 01 إلى البند رقم 15	
أبداً	نادراً	أحياناً	مرات كثيرة	معظم الوقت	كل الوقت		
05	04	03	02	01	00	البند رقم 22/21/20/17/16	
00	01	02	03	04	05	البندين رقم 18 و19	
	أبداً	نادراً	أحياناً	معظم الأيام	كل يوم		
	00	01	02	03	04	البند رقم 23	
	ولا واحدة منها	القليل جداً منها	البعض منها	معظمها	كلها		
	00	01	02	03	04	من البند رقم 24 إلى البند رقم 28	
	لا			نعم			
	03		01			البندين رقم 29 و30	
الكمال	منتهى السعادة	جد سعيد	سعيد	تعيس	تعيس قليلاً	منتهى التعاسة	
06	05	04	03	02	01	00	البند رقم 31
	الخيار السادس	الخيار الخامس	الخيار الرابع	الخيار الثالث	الخيار الثاني	الخيار الأول	
	00	01	02	03	04	05	البند رقم 32

الدرجة النهائية هي مجموع كل البنود التي تتراوح بين 0 و151 نقطة، الدرجات المرتفعة تدل على علاقة جيدة، كما تسفر الدرجة دون المائة (100 نقطة) على عدم التوافق الزوجي.¹

¹ المرجع السابق، ص، ص226.227

الخصائص السيكومترية المقياس :

أ- صدق المقياس في الدراسة الحالية :

تم التحقق من صدق الاستبيان باستخدام الصدق التمييزي، بأسلوب المقارنة الطرفية، والجدول التالي يوضح ذلك .

جدول رقم(06): دلالة الفروق بين متوسطي العينة العليا والعينة الدنيا في التوافق الزوجي .

الدلالة	قيمة "ت"	العينة الدنيا ن=10		العينة العليا ن=10		العينة المتغير
		الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	
دالة عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.05$)	16.87	15.33	62.27	7.75	132.10	التوافق الزوجي

يتبين من الجدول رقم(6) أنّ قيمة "ت" لدلالة الفروق بين المتوسطين دالة إحصائية عند مستوى ($\alpha=0.05$) لدلالة الطرفين، مما يشير إلى أن المقياس له القدرة على التمييز بين المجموعتين المتطرفتين، مما يدل على صدق المقياس

ب- الثبات : بطريقة ألفا كرونباخ :

جدول رقم(7): يبين معامل ثبات مقياس التوافق الزوجي باستخدام ألفا كرونباخ.

معامل الفا كرونباخ	عدد البنود	المقياس
0.792	32	التوافق الزوجي

يتضح من خلال الجدول رقم(7) أنّ معامل الثبات باستخدام معامل (ألفا كرونباخ) تساوي (0.79) وهي قيم مقبولة جدا، وتشير إلى تمتع المقياس بثبات عال.

عينة الدراسة الأساسية:

مجتمع الدراسة: يمثل مجتمع الدراسة كل اساتذة التعليم العالي في كلية العلوم الاجتماعية المتزوجين والمرسمين وعددهم 90 أستاذا وأستاذة.

حجم العينة :

قررنا القيام بدراسة عينة مسحية لكل الاساتذة الذين عددهم 90 أستاذ لكن تعذر الالتقاء ببعضهم وحذفت الاستمارات التي لم تكن بها اجابات . مما جعل العينة تستقر على 50 أستاذا من مختلف الجنسين.

خصائص العينة: تتمثل خصائص عينة الدراسة الأساسية في ما يلي :

جدول (8) : توزيع أفراد عينة الدراسة الأساسية

النسب المئوية %	التكرار	الفارق العمري بين الزوجين
24%	12	اقل من 04 سنوات
66%	33	من 04 سنوات إلى 10 سنوات
10%	05	أكثر من 10 سنوات
النسب المئوية %	التكرار	التخصص
44%	22	علم النفس
42%	21	علم الاجتماع
14%	07	الفلسفة
النسب المئوية %	التكرار	الجنس
52%	26	ذكر
48%	24	أنثى
100%	50	المجموع

كيفية تطبيق إجراءات الدراسة الأساسية :

بعد التأكد من سلامة وصلاحية أدوات الدراسة وتحديد عينة الدراسة الأساسية وطريقة اختيارها بشكل نهائي، توجهنا إلى ميدان الدراسة الأساسية أين التقينا بأفراد العينة بكلية العلوم الاجتماعية الأغواط، قد أبدى الأساتذة استعدادهم للمساعدة، حيث وزعنا عليهم المقياسين وشرحنا لهم موضوع الدراسة والغرض منها، وكذا طريقة الإجابة عليه، وبالرغم من استغراقنا لبعض الوقت في إجراء الدراسة الأساسية، إلا أننا لم نجد أي صعوبة في تطبيق المقياسين على أفراد العينة.

المناقشة:

1- الفرضية الأولى:

تنص هذه الفرضية على ما يلي:

- توجد علاقة إرتباطية ذات دلالة إحصائية بين الذكاء العاطفي والتوافق الزوجي لدى أفراد عينة الدراسة.

1-1 عرض نتائج الفرضية الأولى:

جدول رقم (9): قيمة معامل الارتباط بيرسون.

البيانات الإحصائية المتغيرات	العينة	قيمة "ر"	(قيمة الدلالة المحسوبة) مستوى المعنوية (sig)	مستوى الدلالة المعتمد	الدلالة
الذكاء العاطفي التوافق الزوجي	50	0.522	0.000	0.05	دالة

يُلاحظ من خلال الجدول رقم (9) أنّ قيمة معامل الارتباط بيرسون ($r=0.522$) وهي دالة إحصائية، لأنّ قيمة الدلالة المحسوبة تساوي (0.000)، وهي أصغر من مستوى الدلالة المعتمد لدينا ($\alpha=0.05$)، وهذا يعني أنّه توجد علاقة ارتباطية طردية بين الذكاء العاطفي والتوافق الزوجي لدى الأساتذة.

وتفق نتائجنا مع نتائج دراسة محمود عبد الله (2006)، التي هدفت دراسته إلى تحديد نوع علاقة التوافق الزوجي بكل من العوامل الخمسة الكبرى للشخصية والذكاء الوجداني، وتكونت العينة من 324 من المتزوجين من معلمين المرحلة الثانوية، وكانت أبرز النتائج وجود علاقة موجبة بين الذكاء الوجداني والتوافق الزوجي¹.

ودراسة جوشي وثينجويام. Joshi , Thingujan (2009)، التي هدفت إلى التعرف على العلاقة بين الذكاء الوجداني والتوافق الزوجي، وفحص دور الشخصية والرغبة الاجتماعية، بلغت العينة 60 ثنائي متزوج، تم تطبيق أربع مقاييس وهي: (NEO) للعوامل الخمسة للشخصية، Schtte للذكاء الوجداني، Marlowe-Growne للرغبة الاجتماعية، DeVised Dyadic Adjustment Scale للتوافق الزوجي)، أظهرت النتائج وجود علاقة بين مستويات التوافق الزوجي ومهارات الذكاء الوجداني ما عدا مهارة توظيف الانفعالات².

ويمكن تفسير ذلك إلى أن العلاقة الزوجية هي أكثر العلاقات التي يحتاج كل طرف فيها إلى أن يشعر بأن الطرف الآخر يهتم، ويعتني به، ويبادله نفس مشاعر الحب والاحترام والألفة، كما يتعاطف معه ويواسيه، خاصة عندما يتعرض للألم أو المعاناة مع تحمله أثناء لحظات تغيرات انفعالاته وتقلب مزاجه من غضب وانزعاج وحزن، وأكثر من ذلك فإن كل طرفي هذه العلاقة

¹ محمود، عبد الله ، التوافق الزوجي في علاقته ببعض عوامل الشخصية و الذكاء الانفعالي، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة ، العدد 62 ، 2006 ، ص 60

² Joshi, Suvarna & Thingujam, Nutankumar S. (2009): Perceived Emotional Intelligence and Marital Adjustment , Journal of the Indian Academy of Applied Psychology, Vol. 35, No.1, 2009, p86.

من الضروري أن يكونا قادران على التعبير عن مشاعرهما بالشكل الواضح والمناسب، وبالقدر الذي يكون في حاجة إلى أن يظهر للأخر مقدار أهميته عنده، لأنه بحاجة إلى أن يتوقع من الطرف الآخر الأمر عينه.

فالأفراد الذين يتمتعون بقدرة تساعد على التعبير عن مشاعرهم بدقة وفهم مشاعر الطرف الآخر، وإدارة ضغوطهم بفاعلية، والتمتع بروح من السعادة، والتفاؤل، والصدق والثقة، وإعطاء الحب تكون في اغلب الأحيان حياتهم الزوجية متوافقة وسعيدة، حيث مسؤوليات الحياة الزوجية كثيرة، ومتعددة وهي بحاجة لمثل هذه المهارات.

وكذلك كلما كانا الزوجان أحسن إدراكا، وأدق تعرفا، وأكثر تنظيما، وأحسن تعبيراً فيما يتعلق بالانفعالات والعواطف كلما كانت علاقتهم الزوجية أسعد وأنجح، وهذا ما يؤدي إلى تحقق استقراره العلاقة الزوجية بين الطرفين.

وبناءً على هذه النتيجة يتضح أن أصحاب الذكاء العاطفي يميلون إلى أن يكونوا أكثر توافقاً في علاقتهم الزوجية، فالذكاء العاطفي للشريك يساعد في فهم مشاعر الطرف والتعاطف معه، وبالتالي يقلل من حدة الصراعات بينهما، فالبيوت الزوجية التي يتصف كلا الطرفين فيها بذكاء عاطفي مرتفع تكون أفضل من حيث نوعية العلاقة داخل الأسرة وبالتالي ينعكس على توافقهما الزوجي والعكس.

2- عرض ومناقشة وتفسير نتائج الفرضية الثانية :

وتنص هذه الفرضية على ما يلي :

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية لأساتذة التعليم العالي في كلية العلوم الاجتماعية للذكاء العاطفي تبعاً لمتغير الجنس " ذكر ، أنثى " .

1-2 عرض نتائج الفرضية الثانية :

جدول رقم (10) : نتائج اختبار "ت" للفروق .

البيانات الإحصائية المتغيرات	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	قيمة الدلالة المحسوبة	مستوى الدلالة المعتمد	الدلالة
ذكر	24	180.37	20.83	0.163	0.871	0.05	غير دالة
أنثى	26	181.34	21.21				

يتضح من خلال الجدول رقم (10) أن قيمة (ت) وهي غير دالة إحصائياً، لأن قيمة الدلالة المحسوبة (0.871) أكبر من مستوى الدلالة المعتمد لدينا ($\alpha=0.05$). وهذا يعني أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في الذكاء العاطفي للأفراد عينة الدراسة.

يمكن تفسير ذلك بأن أساتذة التعليم العالي هم نخبة المجتمع فقدراتهم العقلية متقاربة، وهم من الطبقة المثقفة إضافة إلى مكان العمل الذي هو كلية العلوم الإجتماعية، وكذلك لتوفر الإمكانيات والحاجات التي تمكن من كل أستاذ التواصل الفكري والثقافي مع المحيطين به. فاعلمهم إن لم نقل كلهم لديهم معلومات وافرة وكافية عن الذكاء العاطفي وفوائده لذلك لم تظهر في النتائج اختلافات بين الأساتذة الاناث والذكور في مستوى ودرجة الذكاء العاطفي، ومن الممكن أن يعزى ذلك إلى ما يتميز به الأفراد من مهارات التواصل مع الآخرين مما يساعدهم في التواصل السريع مع الغير، وذلك في قدرتهم على تكييف انفعالاتهم وأفكارهم وسلوكهم مع المواقف المتغيرة والشروط المحيطة، وهذا الأمر الذي يمنحهم قدرة أعلى على إقامة علاقات تفاعلية مع الآخرين، ومهارة أعلى على تقبل الآخر، هذا ما قد ينعكس على قدرتهم في إقامة علاقات اجتماعية ذات طابع انفعالي أكثر من غيرهم ممن لا يمتلكون هذه المهارة، الأمر الذي قد يساعدهم في اختيارهم التواصل الايجابي مع محيطهم.

وقد يرجع لطبيعة البيئة النمطية التي أصبحت لا تفرق بين الذكر والأنثى، بمعنى آخر أن الجنسين يعيشان في نفس البيئة المحلية التي تتبع نفس العادات والتقاليد، وهما يتلقيان نفس المثبرات، ويتعرضان لنفس الأحداث، ويعانيان من نفس المشاكل خصوصاً صعوبات التعليم وضغوطه. مما يعني أنهم يتلقون نفس المناهج والاستراتيجيات إضافة إلى أن الأنثى أصبحت تتلقى اهتمام أكبر من السابق على أن لها حقوق وواجبات وأصبح التفريق بينها وبين الذكر أمر نادر الحدوث لا سيما في التعليم.

وتتفق نتائج الفرضية مع نتائج دراسة دراسة حسني وآخرون (Hasani Et al) (2012)، هدفت دراسته إلى التعرف على دور الذكاء الوجداني في الرضا الزوجي بلغت عينة الدراسة 122، استخدم مقياس Bar.On للذكاء الوجداني، ومقياس Enrich للرضا الزوجي وكانت ابرز نتائج الدراسة وجود علاقة بين الرضا الزوجي والذكاء الوجداني، 37% من الرضا الزوجي يمكن التنبؤ به من خلال الذكاء الوجداني، وعدم وجود فروق في التوافق الزوجي والذكاء الوجداني تعزى لكل من الجنس والعمر.¹

وكذلك تتفق نتائج الفرضية مع نتائج دراسة شيماء بيومي (2005)، التي هدفت الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين الذكاء الوجداني والتوافق الزوجي بلغت عينة الدراسة 200 زوج وزوجة، طبق عليهم استبيان الذكاء الوجداني، إعداد رشا الديدي (2005)، ومقياس التوافق الزوجي، إعداد الباحثة، أظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة بين الذكاء الوجداني والتوافق الزوجي، وعدم وجود فروق في الذكاء الوجداني والتوافق الزوجي تعزى لمتغير الجنس.²

3- عرض ومناقشة وتفسير نتائج الفرضية الثالثة :

وتنص هذه الفرضية على ما يلي :

— توجد فروق ذات دلالة إحصائية لأساتذة التعليم العالي في كلية العلوم الاجتماعية للتوافق الزوجي تبعاً لمتغير الجنس " ذكر ، أنثى " .

¹Hasani, Agha Mohammad. MR, Mokhtaree . R, Sayadi . M, Nazer . SA, Mosav: Study of Emotional Intelligence and Marital Satisfaction, J PsycholPsychother, Volume 2, Issue 2, 2012, p.216.

²شيماء ، بيومي ، الذكاء الوجداني و التوافق الزوجي ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، 2006، ص 257 .

1-3 عرض نتائج الفرضية الثالثة :

جدول رقم (11) : نتائج اختبار "ت" للفروق .

البيانات الإحصائية المتغيرات	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	قيمة الدلالة المحسوبة	مستوى الدلالة المعتمد	الدلالة
ذكر	24	118.41	18.97	2.06	0.044	0.05	دالة
أنثى	26	105.73	24.04				

يتضح من خلال الجدول رقم (11) أنّ قيمة (ت = 2.06) وهي دالة إحصائية؛ لأنّ قيمة الدلالة المحسوبة (0.04) اصغر من مستوى الدلالة المعتمد لدينا ($\alpha=0.05$) وهذا يعني أنّه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في التوافق الزوجي لدى أفراد عينة الدراسة. لصالح الذكور حيث بلغ متوسطهم الحسابي (188.41) مقارنة بمتوسط الإناث الذي بلغ (105.73) ومنه يمكننا القول أن فرضية بحثنا تحققت.

ويمكن تفسير هذه النتيجة أن الأساتذة الذكور أكثر تحقيق للتوافق الزوجي نظرا للمستوى العلمي والتخصص الذي يدرسه، ودرجة التفهم إضافة إلى الذكاء العاطفي الذي يتمتع به حيث تحقيقه لذاته وطموحاته ينعكس على زواجه، ومنه توافقه الزوجي بغض النظر عن مستوى الزوجة العلمي والثقافي سواء كانت ذات تعليم عالي أو غيره، أمّا بالنسبة للأستاذات الإناث فيظهر أنهن أقل توافقا زوجيا مقارنة بالذكور، وقد يعود ذلك إلى عدة عوامل خارج نطاق التعليم، وبعيدا عن مقر العمل فمنها عوامل نفسية ومنها عوامل أسرية وأخرى اجتماعية، فالأنثى غير المستقرة عاطفيا أكيد لا تستطيع إحداث توافق زوجي في علاقتها الزوجية مع شريك حياتها. وقد يكون السبب الرئيسي والأساسي هو الزوج في حد ذاته فإذا كان متفهما لطبيعة عمل زوجته، وطموحاتها وأهدافها القريبة والبعيدة سيساعدها ذلك على تحقيق توافق زوجي مرتفع، أمّا إذا لم يكن الزوج متفهم لطبيعة عمل زوجته كأستاذة للتعليم العالي وانشغالاتها فهنا يظهر المشكل، وهذا ينعكس على الأسرة عامة والتوافق الزوجي للزوجة خاصة، وكذلك عدم إظهار مشاعر الحب والشكر والعرفان بما تقدمه من خدمات للأسرة، أو عدم إنجاب الأطفال مما يؤدي إلى تدهور حالة نفسياتها وهذا عامل أكيد يؤثر بالسلب على العلاقة الزوجية، أو العكس ضغط الأطفال ومسؤوليتهم على عاتقها، وكذلك عدم التفاهم مع أهل الزوج، وعدم تسيير الشؤون المالية للأسرة أو تكفل بالشؤون المالية كاملة على عاتقها، وهذه كلها عوامل تفتح حيز الشك من خلال ما توصلنا له من نتائج الدراسة بأن الذكور أكثر توافقا زوجيا من الإناث. وتتفق نتائج الفرضية مع نتائج دراسة أرشاد وآخرون . Arched , et al (2015)، حيث هدفت دراسته إلى التعرف على العلاقة بين الذكاء الوجداني والتوافق الزوجي، بلغت العينة 322 زوج، وزوجة في باكستان استخدمت الدراسة مقياس Spanier

للتوافق الزوجي ومقياس Schutte للذكاء الوجداني، وانتهت الدراسة إلى وجود علاقة بين الذكاء الوجداني والتوافق الزوجي، وأن فروق في الذكاء الوجداني لصالح الإناث، إضافة لوجود الذكور كان لديهم توافق زوجي أكثر من الإناث.¹

4- عرض ومناقشة وتفسير نتائج الفرضية الرابعة :

وتنص هذه الفرضية على ما يلي :

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية لأساتذة التعليم العالي في كلية العلوم الاجتماعية للذكاء العاطفي حسب نوع التخصص " علم اجتماع، علم النفس، فلسفة." 1-4 عرض نتائج الفرضية الرابعة :

جدول رقم (12) يبين نتائج تحليل التباين الاحادي لدرجات أفراد العينة في مستوى الذكاء العاطفي تبعا للتخصص " علم اجتماع، علم النفس، فلسفة."

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف المحسوبة	مستوى الدلالة المحسوب	مستوى الدلالة المعتمد
بين المجموعات	1906,509	2	953,255	2,317	0.110	0.05
داخل المجموعات	19334,771	47	411,378			
المجموع	21241,280	49				

يتضح من خلال الجدول رقم (12) أن قيمة (ف=2.31) وهي غير دالة احصائياً، لأن قيمة الدلالة المحسوبة (0.110)، وهي أكبر من مستوى الدلالة المعتمد لدينا ($\alpha=0.05$) وهذا يشير الى عدم وجود فروق جوهرية بين درجات أفراد العينة في مستوى الذكاء الوجداني تبعا للتخصص " علم اجتماع، علم النفس، فلسفة."

ويمكن تفسير هذه النتيجة الى أن متغير التخصص لدى أفراد العينة ليس له تأثير على مستوى الذكاء العاطفي، وقد يعود السبب الى إنتماء كل أساتذة التخصصات الى ميولهم وشغفهم لهذه التخصصات العديدة كاختصاص "علم اجتماع، علم النفس، فلسفة."

¹Arshad, Muhammad. Abbas, Iram .Mahmood, Khalid (2015): Emotional Intelligence and Marital Adjustment among Professionals of different organizations, Research on Humanities and Social Sciences, Vol.5, No.1,2015, p133.

وكذلك الى الكلية نفسها فهم يختلطون ببعضهم البعض، فالإتصال بينهم واحد ويعملون في كلية واحدة وفي نفس الجامعة، وخاصة إذا كان من أهم ابعاد الذكاء العاطفي القدرة على بناء علاقات مع الآخرين، والإتصال الجدي بهم وفهم مشاعرهم وانفعالاتهم .

5- عرض ومناقشة وتفسير نتائج الفرضية الخامسة :

وتنص هذه الفرضية على ما يلي :

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية لأساتذة التعليم العالي في كلية العلوم الاجتماعية للتوافق الزوجي حسب نوع التخصص " علم اجتماع، علم النفس ، فلسفة . "

1-5 عرض نتائج الفرضية الخامسة :

جدول رقم (13) يبين نتائج تحليل التباين الاحادي لدرجات أفراد العينة في مستوى التوافق الزوجي تبعا للتخصص "علم اجتماع، علم النفس ، فلسفة"

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف المحسوبة	مستوى الدلالة المحسوب	مستوى الدلالة المعتمد
بين المجموعات	183,068	2	91,534	,1760	0.839	0.05
داخل المجموعات	24404,312	47	519,241			
المجموع	24587,380	49				

يتضح من خلال الجدول رقم (13) أن قيمة (ف=0.17) وهي غير دالة احصائياً؛ لأنّ قيمة الدلالة المحسوبة (0.839)، وهي أكبر من مستوى الدلالة المعتمد لدينا ($\alpha=0.05$) وهذا يشير الى عدم وجود فروق جوهرية بين درجات أفراد العينة في مستوى التوافق الزوجي تبعا للتخصص " علم اجتماع، علم النفس ، فلسفة . "

ويمكن تفسير هذه النتيجة الى أن متغير التخصص لدى أفراد العينة ليس له تأثير على مستوى التوافق الزوجي بل هناك عوامل أخرى قد يكون لها الاثر في وجود فروق جوهرية بين أفراد التخصصات الثلاثة في التوافق الزوجي.

6- عرض ومناقشة وتفسير نتائج الفرضية السادسة :

وتنص هذه الفرضية على ما يلي :

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية لدى أساتذة التعليم العالي في كلية العلوم الاجتماعية في الذكاء العاطفي حسب متغير الفارق العمري بين الزوجين .

1-6 عرض نتائج الفرضية السادسة :

جدول رقم (14) يبين نتائج تحليل التباين الاحادي لدرجات افراد العينة في مستوى الذكاء العاطفي لمتغير الفارق العمري بين الزوجين .

95

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف المحسوبة	مستوى الدلالة المحسوب	مستوى الدلالة المعتمد
بين المجموعات	2733,830	2	1366,915	3,471	0.039	0.05
داخل المجموعات	18507,450	47	393,776			
المجموع	21241,280	49				

يتضح من خلال الجدول رقم (14) أنّ قيمة (ف = 3.47) وهي دالة احصائياً؛ لأنّ قيمة الدلالة المحسوبة (0.03) أصغر من مستوى الدلالة المعتمد لدينا ($\alpha=0.05$) وهذا يشير الى وجود فروق جوهرية بين درجات أفراد العينة في مستوى الذكاء العاطفي لمتغير الفارق العمري بين الزوجين.

ولمعرفة اتجاه هذه الفروق تم استعمال اختبار (LSD) للمقارنة البعدية والميمنة نتائجها في الجدول التالي:

جدول رقم (15) يوضح نتائج اختبار (LSD) للمقارنة البعدية لمتوسطات درجات أفراد العينة في مستوى الذكاء العاطفي تبعا للفارق العمري بين الزوجين .

مستوى الدلالة المعتمد	مستوى الدلالة المحسوب	الفروق في المتوسطات	للفارق العمري بين الزوجين	
0.05	,1520	9,75000	من 4 - 10	أقل من 4
0.05	,0120	27,68333*	أكثر من 10	
0.05	,1520	-9,75000	أقل من 4	من 4 - 10
0.05	,0660	17,93333	أكثر من 10	
0.05	,0120	-27,68333*	أقل من 4	أكثر من 10
0.05	,0660	-17,93333	من 4 - 10	

يتضح من خلال نتائج الجدول السابق ما يلي:

وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات أفراد العينة في مستوى الذكاء العاطفي بين ذوي الفارق العمري بين الزوجين (أقل من 4 سنوات)، وذوي الفارق العمري بين الزوجين (أكثر من 10 سنوات)، وذلك في اتجاه ذوي الفارق العمري بين الزوجين (أقل من 4 سنوات) حيث بلغ متوسطهم الحسابي (190.08) مقارنة بمتوسط ذوي الفارق العمري بين الزوجين (أكثر من 10 سنوات) حيث بلغ متوسطهم الحسابي (162.40).

- عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات أفراد العينة في مستوى الذكاء العاطفي بين ذوي الفارق العمري بين الزوجين (أقل من 4 سنوات)، وذوي الفارق العمري بين الزوجين (من 4 - 10).

وبالتالي لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الذكاء الوجداني لدى أفراد العينة تبعا للفارق العمري بين الزوجين والفروق لصالح ذوي الفارق العمري بين الزوجين (أقل من 4 سنوات)، وعليه يمكننا القول أن فرضية بحثنا لم تحقق.

ويمكن تفسير ذلك إلى أن الفارق العمري بين الزوجين يلعب دورا في مستوى الذكاء العاطفي لدى أفراد العينة فكلما كان التقارب في السن كلما سهلت عملية الاتصال بين الزوجين، وسهل التفاهم حيث الفرق الكبير في السن يؤدي إلى نوع من الخوف والرغبة، وتقارب السن يؤدي إلى الألفة والتفاهم، والاتفاق بين الزوجين، ومنه حسن إدارة انفعالات الزوجين، وبناء علاقة طيبة يسودها الود والمحبة والعشرة الحسنة.

7- عرض ومناقشة وتفسير نتائج الفرضية السابعة :

وتنص هذه الفرضية على ما يلي :

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية لأساتذة التعليم العالي في كلية العلوم الاجتماعية للتوافق الزوجي حسب متغير الفارق العمري بين الزوجين.

جدول رقم (16) يبين نتائج تحليل التباين الاحادي لدرجات افراد العينة في مستوى التوافق الزوجي حسب متغير الفارق العمري بين الزوجين.

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف المحسوبة	مستوى الدلالة المحسوب	مستوى الدلالة المعتمد
بين المجموعات	627,869	2	313,935	,6160	0,544	0.05
داخل المجموعات	23959,511	47	509,777			
المجموع	24587,380	49				

يتضح من خلال الجدول رقم (16) أنّ قيمة (ف=0.61) وهي غير دالة احصائياً؛ لأنّ قيمة الدلالة المحسوبة (0.54)، وهي أكبر من مستوى الدلالة المعتمد لدينا ($\alpha=0.05$)، وهذا يشير الى عدم وجود فروق جوهرية بين درجات أفراد العينة في مستوى التوافق الزوجي تبعا للفارق العمري بين الزوجين.

يمكن تفسير هذه النتيجة إلى أن الفارق العمري بين الزوجين لدى أفراد العينة ليس له تأثير على مستوى التوافق الزوجي، لأن عينة الدراسة كانت من النخبة المثقفة في المجتمع التي لها ثقافة علمية واجتماعية، ورؤية منطقية، وتفكير عقلائي، ونظرة مسبقة حول معنى السن أو الفارق العمري بين أزواجهم وزوجاتهم.

ويعتبر الفارق العمري البسيط بين الأزواج مفضلا في تطور نمو العاطفة بين الزوجين وصلابة العلاقة الزوجية بينهما، وكذلك في قدرة التواصل الفكري والعاطفي بينهما، وأيضا التقارب في الأعمار يساعد الزوجين في تحديد نفس الأفكار لأنهم من نفس المستوى الفكري، وقد يكون الفارق العمري الأنسب بين الزوجين، هو من 4 إلى 10 سنوات ولكن هذا لا ينفى وجود علاقات زوجية ناجحة بفارق سن أقل أو أكثر من هذه السنوات ، ولهذا أظهرت النتائج المتحصل عليها أنه لا توجد فروق لدى أساتذة التعليم العالي حسب الفارق العمري للزوجين، بل هناك عوامل أخرى قد يكون لها الأثر في وجود فروق جوهرية بين الأفراد في التوافق الزوجي .

الخاتمة:

نستنتج من خلال هذه الدراسة أنّ الذكاء العاطفي والتوافق الزوجي متغيران مؤثران جدا على أساتذة التعليم العالي في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الأغواط، من حيث تحقيق الذات والاستقرار وتحقيق جودة الحياة الأسرية. وما يمكن أن نستخلصه من هذه الدراسة، أنّ متغير الذكاء العاطفي والتوافق الزوجي متغيران مهمان جدا في حياة أساتذة التعليم العالي، يتأثر بعوامل عديدة ومتشعبة، لذا يجب إجراء دراسات حول هذا الموضوع لكشف أهم المتغيرات والعوامل التي تؤثر في هذه المتغيرات.

قائمة المراجع:

1. رندا رندا سهيل ، رزق الله ، فاعلية برنامج تدريبي لتنمية مهارات الذكاء الوجداني ، سوريا دمشق :دراسة تجريبية في مدارس مدينة دمشق على عينة من تلاميذ الصف السادس من التعليم الأساسي، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف أمال أحمد، قسم علم النفس، كلية التربية، 2006.
2. سهاد ، المملي، الذكاء الانفعالي وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى عينة من المتفوقين والعاديين، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26 ، العدد 2010، 03.
3. شيماء ، بيومي ، الذكاء الوجداني والتوافق الزوجي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، 2006.
4. عسليّة، محمد؛ البنا، أنور ، (2011) ، الذكاء الانفعالي وعلاقته بالتوافق الزوجي لدى العاملين بجامعة الأقصى، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد 03 ، العدد 02 ، 2012.
5. فرج ، طريف شوقي، محمد عبد الله ، توكيد الذات والتوافق الزوجي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، جامعة الكويت ، العدد 1999، 67.
6. فلاتة، محمود، (2008) ، التوافق الزوجي بين الوالدين وعلاقته بمفهوم الذات، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة طيبة، السعودية، 2008.
7. كلتوم، بلمهوب، عوامل الإستقرار الزوجي دراسة مقارنة على عينة من الأزواج المضطربين وغير المضطربين زواجيا، مع اقتراح برنامج في العلاج المعرفي أطروحة 2 لنيل درجة الدكتوراه في علم النفس العيادي، قسم علم النفس، جامعة الجزائر، 2004.
8. محمود، عبد الحليم منسي، مناهج البحث، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006 .
9. محمود، عبد الله ، التوافق الزوجي في علاقته ببعض عوامل الشخصية والذكاء الانفعالي، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد 62 ، 2006 .
10. Arshad, Muhammad . Abbas, Iram .Mahmood, Khalid: **Emotional Intelligence and Marital Adjustment among Professionals of different organizations**, Research on Humanities and Social Sciences, Vol.5, No.1,2015.
11. Bar- on, R.:**Emotional and social intelligence: insights from the emotional Quotient Inventory (EQ-i)**. In R. Bar-On & J.D.A. Parker(eds.): Handbook of emotional intelligence, Jossey-Bass, San Francisco,2000.
12. De-Silva ,P : **Review of emotional Intelligence in couples therapy**, Peer-reviewed journal , United Kingdom,2006.

13. Hapsariyanti, Dian - Taganing, Ni Made - Psi, M.Psi. : **Emotional Intelligence Relationship with Self Adjustment in Marriage to the Newly Married Couple for Three Years**, Available at: <http://www.gunadarma.ac.id>, 2006.
14. Hasani, Agha Mohammad. MR, Mokhtaree . R, Sayadi . M, Nazer . SA, Mosav: **Study of Emotional Intelligence and Marital Satisfaction**, J Psychol Psychother, Volume 2 ,Issue 2, 2012.
15. Hasani, Agha Mohammad. MR, Mokhtaree . R, Sayadi . M, Nazer . SA, Mosav, **Study of Emotional Intelligence and Marital Satisfaction**, J Psychol Psychother, Volume 2 ,Issue 2, 2012.
16. Joshi, Suvarna & Thingujam, Nutankumar S.(2009): **Perceived Emotional Intelligence and Marital Adjustment**, Journal of the Indian Academy of Applied Psychology, Vol. 35, No.1, 2009.

الاتجاهاتُ التنمويّةُ للصحافة الاقتصادية في السّودان

Development Trends of Economic Journalism in Sudan

ط.د. حسام الدين صالح/ جامعة الأناضول، تركيا

Hussameldin Salih. Researcher in PhD / Anadolu University, Turkey

ملخص

تعتبر الصحافة الاقتصادية أحد أهم وسائل الإعلام التنمويّ؛ ونظرا لأهميتها، تسعى هذه الدراسة لاختبار قدرتها على القيام بدور الإعلام التنمويّ في السودان من خلال الكشف عن اتجاهات المحتوى الموجه نحو تناول ومعالجة قضايا التنمية. وتتساءل الدراسة عن المضامين والموضوعات التنمويّة الأساسية التي تتناولها الصحافة الاقتصادية في السودان وأوجه النجاح والقصور في توصيلها. كما تختبر الدراسة مواكبة الصحافة الاقتصادية في السودان للتطور الذي أحدثه الإعلام الجديد على مستوى الوسائط المتعددة، كما سعت الدراسة للكشف عن مدى نجاح الصحافة الاقتصادية في السودان في التعبير عن المفاهيم الحديثة للتنمية.

الكلمات المفتاحية: التنمية - الصحافة الاقتصادية - السودان

Abstract:

Economic journalism is considered one of the most important development media. Due to its importance, this study seeks to test its ability to play the role of development media in Sudan by revealing the trends of content oriented towards addressing development issues. The study wonders about the main developmental issues and topics addressed by the economic journalism in Sudan and the successes and shortcomings in their delivery. The study also examines the economic journalism in Sudan to keep pace with the development of new media at the level of multimedia. In addition, study also sought to reveal the extent of the success of the economic journalism in Sudan in the expression of modern concepts of development.

Keywords: Development, Economic Journalism, Sudan.

مقدمة

مع تطوّر وسائل الاتصال، أصبح الإعلام أحد أهم الوسائل المشجّعة على تحقيق أهداف التنمية في البلدان النامية، بل وتطوّر من مجرد وسيلة لتوصيل الخبر إلى قوة مؤثرة بشكل كبير في الجمهور بما يخولها للمساهمة في تشكيل المفاهيم وتوجيهها، وأدى الاهتمام المتزايد بالإعلام وعلاقته بمكونات المجتمع المتفاعلة إلى ظهور الكثير من التخصصات الإعلامية الجديدة مثل "الإعلام التنموي"، وبات هذا النوع من الإعلام يتجاوز أدواره المحلية ليتخذ بُعداً عالمياً. وبحسب الاتجاهات الجديدة للإعلام والتنمية فإن الهدف الكلي من الإعلام التنموي بات يتمخّور حول تعزيز وإطلاق قدرات وحرّيات أفراد المجتمع المحلي للمشاركة الإيجابية في عملية التنمية والتطور في المجتمع، بما يجعل مستقبل الخطط التنموية مرهوناً بصورة كبيرة بإمكانات واتجاهات الأدوات الإعلامية وأدوارها. وأصبح الإعلام أداة استراتيجية لدفع الاقتصاد، وعاملاً من عوامل التنمية الحقيقية في بلدان العالم كافة، حيث يحتل الاقتصاد مكانة كبيرة نظراً لتداخله مع العديد من المجالات؛ فالمعلومة الاقتصادية أساس كل الإنجازات التي يبني عليها الاقتصاد الوطني¹، وباتت الصحافة الاقتصادية المتخصصة هي السمة الغالبة للمجتمعات المتطورة التي تسعى بكل جهدها لمواكبة التطورات التي شملت الإعلام والحياة الاقتصادية على حدٍ سواء.

1. الإطار المنهجي

1.1. مشكلة الدراسة وأسئلتها

تطرح الدراسة سؤالاً أساسياً حول ماهية الاتجاهات التنموية للصحافة الاقتصادية في السودان. ويتفرع عن السؤال الأساسي للدراسة عدة أسئلة تساهم في الإجابة عليه وهي: ماهي المضامين والموضوعات التنموية الأساسية التي تتناولها الصحافة الاقتصادية في السودان وماهي أوجه النجاح والقصور في توصيلها؟ ما هو شكل التوزيع الجغرافي للموضوعات التنموية التي تتناولها الصحافة الاقتصادية وهل تتوزع بعدالة على مختلف ولايات السودان ومناطقها؟ كيف استطاعت الصحافة الاقتصادية في السودان تأدية الوظيفة التنموية للإعلام من خلال تناولها لقضايا التنمية عبر الأشكال التحريرية المتنوعة؟ ماهي المصادر التي تعتمد عليها الصحافة الاقتصادية في السودان، وهل ستسهم تلك المصادر في تعزيز جهود التنمية في المجتمع السوداني وكيف تؤثر المصادر في المحتوى التنموي الذي تقدمه الصحف الاقتصادية؟ ماهي القطاعات التنموية الحية التي يتركز عليها الخطاب الإعلامي الاقتصادي وهل تميل الاهتمامات لقطاع دون آخر؟ هل استطاعت الصحافة الاقتصادية في السودان تقديم نماذج تنموية ملهمة للجمهور متلقي الرسالة الإعلامية سواء كانت هذه النماذج لشخصيات أو مؤسسات أو دول؟ ماهي الأهداف التي تتبعها الصحافة الاقتصادية السودانية في النشر، وهل تتوافق هذه الأهداف مع متطلبات الإعلام التنموي؟ ماهي طبيعة المعالجة الإعلامية التي تنتهجها الصحافة الاقتصادية في السودان لقضايا التنمية، وهل تركز في معالجتها التحريرية على تحفيز الجمهور بأفكار ونظريات التنمية أم تكتفي بتسجيل ومتابعة إنجاز وتنفيذ الخطط والمشاريع التنموية؟ هل استطاعت الصحافة الاقتصادية في السودان أن تواكب التطور الذي أحدثه الإعلام الجديد على مستوى الوسائط المتعددة وطريقة عرض المعلومات وتقديم المادة الصحفية المعقدة عبر وسائط تبسيطية كالإنفوجرافيك

1 يسري أبو العلاء، استراتيجية الإعلام والتنمية، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، 2007م، ص 20

والرسوم التوضيحية والبيانية؟! ماهي مفاهيم التنمية التي ركزت عليها الصحافة الاقتصادية في السودان، وما هو مدى نجاحها في التعبير عن المفاهيم الحديثة للتنمية؟!

2.1. أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في كونها تتناول جانباً من الدور الكبير والمتعاظم الذي ظلت تقوم به وسائل الإعلام في التأثير على حياة الناس ومستقبل أوضاعهم المعيشية، خاصة فيما يتعلق بتسريع إنجاح خطط التنمية في بلدان العالم الثالث التي تتطلع للخروج من دوائر الفقر والتخلف إلى الاكتفاء الذاتي والتطور. كما تلي حاجة ملحة إلى دعم جهود التنمية الحكومية والشعبية بسند إعلامي يعزز من قدرات المواطنين على التغيير نحو الأحسن ويوجههم إلى غد أفضل.

3.1. محددات الدراسة: الإطار المكاني والزمني

انحصرت الدراسة في تحليل صحيفتين اقتصاديتين تصدران في الخرطوم العاصمة وتوزعان على مختلف أرجاء السودان وهما: صحيفة الأسواق وصحيفة إيلاف. وغطت الدراسة الفترة من يونيو 2012م حتى يونيو 2013م

4.1. منهجية الدراسة

للإجابة على إشكالية الدراسة اتُّبع المنهج الكمي من خلال الاعتماد على أدوات المنهج الوصفي التحليلي. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي باستخدام أداة وأسلوب تحليل المحتوى لأنه الأكثر تعبيراً عما ترمي إليه الدراسة من معرفة الكيفية التي تناولت بها الصحف موضوع الدراسة لقضايا التنمية. ويعد تحليل المضمون من أكثر أساليب المسح المتبعة في الدراسات الإعلامية، و"تكمن قيمة البحوث الإعلامية التي تعتمد هذا الأسلوب في واقعيها وارتباطها بموضوعات ومشكلات بحثية يعيشها الإنسان في حياته العملية، كما أن معلوماتها وبياناتها تجيء تعبيراً عن الواقع، ومصادر هذه المعلومات هي الواقع نفسه، وهذا ما يجعل لنتائجها قيمة علمية وعملية حيث يمكن الاستفادة منها في تطوير الواقع نحو الأفضل¹. واستندت الدراسة على عدد من النظريات الإعلامية المعروفة للاهتمام بها في تحقيق أهداف الدراسة والإجابة على أسئلتها، وهي: نظرية ترتيب الأولويات التي تؤكد على أن وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري هي التي تحدد الأولويات التي تتناولها الأخبار ما يجعلها تصبح هي الأهم والأولى في نظر الجمهور، ونظرية الاعتماد على وسائل الإعلام التي تركز على فعالية الجماهير والاعتماد المتبادل بينه وبين الإعلام، والنظرية التنموية التي تفترض دوراً مهماً ومؤثراً تؤديه وسائل الإعلام في توجيه المجتمعات المتخلفة نحو تحقيق التنمية.

5.1. مصطلحات الدراسة

اقتصرت هذه الدراسة على بعض المصطلحات البارزة، مكتفية بالمعنى الاصطلاحي فقط، حيث سترد هذه المصطلحات مفصلة عند الشروع في البحث.

1. السيد عمر، الإعلام المتخصص: دراسة وتطبيق، جامعة قاريونس، بنغازي، 2003م، ص214

1.5.1. التنمية

التنمية هي: "العمليات التي يمكن بها توحيد جهود المواطنين والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية، ولمساعدتها على الاندماج في حياة الأمة والمساهمة في تقدمها بأقصى قدر مستطاع" (هيئة الأمم المتحدة: 1956م) وقد تطور مفهوم التنمية ليصبح أكثر شمولاً في تعريف العالم الباكستاني مؤسس تقرير التنمية البشرية د. محبوب الحق ليعرفها بأنها: "عملية ترمي إلى توسيع نطاق خيارات الأفراد" (محبوب الحق: 1990م)، بجانب العالم الهندي أمارتيا صن الذي يعرفها بأنها: "عملية ترمي إلى توسيع الحريات الفعلية للأفراد" (أمارتيا صن: 2004م).

2.5.1. الصحافة الاقتصادية

الصحافة الاقتصادية هي: "الصحافة التي تهتم بالمضمون الاقتصادي بكل قضاياها الأساسية والفرعية وتركز عليه بشكل مباشر وعلى تأثيراته المختلفة على جوانب الحياة المتعددة وتتخطى الحدث إلى تحليله وتفسيره وربطه بغيره من الأحداث أو المسببات والنتائج" (إسماعيل ابراهيم 2000م)

2. الإطار النظري

1.2. مفهوم التنمية وتطوره التاريخي

تطور مفهوم التنمية عن معناه اللغوي، واكتسب بمرور الزمن الكثير من المدلولات الحديثة، وأصبح من المصطلحات العالمية منذ القرن العشرين، وتبع هذا التطور جدل متعاطم حول المفهوم، للدرجة التي جعلت البحث النظري حول إشكالية مصطلح «التنمية»، في القرن الماضي وأوائل هذا القرن، يأخذ حيزاً كبيراً ومساحة واسعة في الدراسات الفلسفية والمذهبية والاجتماعية والسياسية والثقافية؛ وما ذلك إلا لأن التنمية عملية شاملة تستدعي في رؤيتها وبنائها مجموعة من التخصصات في العلوم والشعب المعرفية، وإن لم يأخذ موقفاً على الأرض وفي الواقع، حتى كاد البحث في المصطلح والانفعال به والجدل حوله يحول دون الانخراط بالعمل التنموي، تخطيطاً وتنفيذاً¹

ولعل أول نقاط الجدل التي أثارها مفهوم التنمية هي علاقته بمفهوم النمو الاقتصادي " فالنمو يختلف عن التنمية، فهو يشير إلى عملية الزيادة الثابتة أو المستمرة التي تحدث في جانب معين من جوانب الحياة، أما التنمية فهي عبارة عن تحقيق زيادة سريعة تراكمية ودائمة عبر فترة من الزمن في الإنتاج والخدمات نتيجة استخدام الجهود العلمية لتنظيم الأنشطة المشتركة الحكومية والشعبية"²

يشير كثير من الباحثين إلى أن مفهوم التنمية اكتسب أهميته من أدواره ومستوياته، ومن تداخله مع العديد من المفاهيم الأخرى مثل النمو والتخطيط والإنتاج والتقدم والنهضة والتغيير، وقد ظهر مفهوم التنمية - كما يقول الدكتور نصر عارف - بصورة أساسية منذ الحرب العالمية الثانية، حيث لم يستعمل هذا المفهوم منذ ظهوره في عصر الاقتصاد البريطاني البارز

1 عمر عبيد حسنة، إشكالية التنمية ووسائل النهوض.. رؤية في الإصلاح، مجموعة من الباحثين، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2008م، ص 729

2 محمد منير حجاب، الإعلام والتنمية الشاملة، دار الفجر، القاهرة، ط7، 2010م، ص 33

"آدم سميث" في الربع الأخير من القرن الثامن عشر وحتى الحرب العالمية الثانية إلا على سبيل الاستثناء، فالمصطلحان اللذان استُخدِمَا للدلالة على حدوث التطور المشار إليه في المجتمع كانا التقدم المادي أو التقدم الإقتصادي حتى عندما أثبتت مسألة تطوير بعض اقتصاديات أوروبا الشرقية في القرن التاسع عشر كانت الاصطلاحات المستخدمة هي التحديث أو التصنيع¹ ويعرّف الدكتور إحسان الحسن التنمية بكونها "عملية متكاملة للتغير الحضاري، تتناول أفاقا واسعة من المشروعات، التي تهدف إلى خدمة الإنسان، وتوفير الحاجات المتصلة بعمله، ونشاطه، ورفع مستواه الثقافي، والصحي، والفكري، وهذه التنمية تعمل بصورة عامة على استخدام الطاقات البشرية من أجل رفع مستوى المعيشة وخدمة أهداف التنمية"².

ومع كثرة وتعدد تعريفات التنمية ازدادت الحاجة لتبني مفهوم موسع للتنمية، يستوعب أبعادا اجتماعية وسياسية وتكنولوجية وبيئية إلى جانب البعد الاقتصادي، فالتنمية هي عملية تحرر إنساني، تشمل تحرير الفرد من الفقر والقهر والاستغلال وتقييد الحرية، كما تشمل تحرير المجتمع من ذل الاعتماد على الخارج وتخليصه من قيود التبعية، بكل ما تحمله من استغلال وتقييد للإرادة الوطنية وهشاشة أمام الصدمات الخارجية³.

ويؤكد الباحث الدكتور علي عبد القادر علي أن إعادة اكتشاف القضايا الرئيسية لاقتصاديات التنمية في إطار النظرية التقليدية الحديثة أدت إلى "تطوير فهم عريض لعملية التنمية، وفي هذا الصدد يعد أمارتيا صن الحائز على جائزة نوبل للعلوم الاقتصادية لعام 1998م من أهم المنتقدين لنظرية الرفاه الاجتماعي التقليدية الحديثة التي ترى أن الرفاه يعتمد على المنفعة المترتبة على استهلاك السلع والخدمات، ولم تقف مساهماته في هذا المجال عند نقد أساسيات نظرية الرفاه فحسب، بل هدفت إلى إيجاد بديل فلسفي مقنع، وتتلخص الفكرة المحورية لمساهمات أمارتيا صن في النظر إلى التنمية على أنها عملية لتوسيع الحريات الحقيقية التي يتمتع بها البشر"⁴ ويمكن القول في مجمل الأمر أن مفهوم التنمية بدأ بالظهور اقتصاديا بالارتكاز على المدلول المادي للنمو الاقتصادي وانتهى به الأمر في القرن الحادي والعشرين إلى التوسع والشمول للتعبير عن حاجات الإنسان الكلية بتمثلائها المادية وغير المادية على حد سواء.

مرّ مفهوم التنمية بمراحل تاريخية عديدة قبل أن ينتهي إلى مدلولاته الحديثة، فقد ظهر مبكرا في منتصف القرن العشرين كمصطلح اقتصادي يقيس درجة التنمية أو التخلف بمؤشرين شائعين هما الدخل الفردي ومعدل النمو السنوي المتوسط في الدخل القومي، واستقر هذا المفهوم الاقتصادي للتنمية بشكل غير خاضع للنقاش تقريبا في البلدان المتقدمة والنامية على السواء، وفي الوكالات الدولية، حتى منتصف الستينات، ثم بدأ الناس بالتساؤل حول ما إذا كان مفهوم مجتمع الاستهلاك الجماهيري الواسع هو فعلا الغاية التي على الدول النامية إدراكها والنموذج الذي يجب استلهامه⁵.

1 د.نصر عارف، مفاهيم التنمية ومصطلحاتها، مجلة ديوان العرب، القاهرة، عدد حزيران 2008م

2 إحسان الحسن، موسوعة علم الاجتماع، الطبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1999م، ص 117

3 أنيسة الشين، إشكالية التنمية ووسائل النهوض.. رؤية في الإصلاح، مجموعة من الباحثين، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، 2008م، ص 693

4 علي عبد القادر علي، التطورات الحديثة في الفكر الاقتصادي التنموي، سلسلة جسر التنمية، الكويت، العدد 76، 2008م، ص 14

5 محمد عدنان وديع، مفهوم التنمية، سلسلة جسر التنمية، المركز العربي للتخطيط، الكويت، العدد الأول، ص 2

ولهذا كان "التعريف الشائع للبلدان النامية منذ أواخر الأربعينات حتى أواخر الستينات أنها البلدان التي ينخفض فيها مستوى الدخل الفردي كثيرا بالقياس إلى مستواه المتحقق في البلدان المتقدمة، وعرفت التنمية بأنها الزيادة السريعة والمستمرة في مستوى الدخل الفردي عبر الزمن"¹ وسرعان ما تبين خطأ اختزال عملية التنمية في النمو الاقتصادي لأن هناك بلدانا نامية عديدة، حققت معدلات نمو للدخل القومي قريبة من المعدل الذي حدده خبراء التنمية، غير أن مستويات المعيشة بها بقيت متردية، وظلت الكثير من قطاعاتها تتخبط في الفقر والجهل والمرض والتخلف. هذا الفهم الجديد للتنمية، لم يستبعد تماما بعد النمو الاقتصادي، لكنه أضاف إليه أبعادا أخرى، "بإبراز دور الجوانب المؤسسية والهيكلية والثقافية والسياسية"² وكان قد بدأ استخدام مفهوم التنمية البشرية في أدبيات التنمية والعلوم الاجتماعية على نطاق واسع منذ ظهور تقرير التنمية البشرية لسنة 1990 ثم جاءت بعده تقارير سنوية يصدرها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بتركيزها على دور الإنسان في عملية التنمية، حيث يقوم المفهوم على أن "البشر هم الثروة الحقيقية للأمم"³ وأن التنمية البشرية هي "عملية توسيع خيارات الناس وقدراتهم من خلال بناء رأس مال اجتماعي"⁴، بحيث تتم تلبية احتياجات الأجيال الحالية بأكبر قدر ممكن من الإنصاف دون المساس بحقوق الأجيال القادمة"⁵.

2.2. الصحافة الاقتصادية: مفهومها، وظائفها، وتطورها في السودان

منذ أن تشابكت مجالات الاقتصاد بالإعلام أصبح التطور هو السمة الغالبة للعلاقة بينهما، وازداد هذا التعقيد ترابطا بعد أن غدت (المعلومات) المبنية على (المعرفة) هي القاسم المشترك الذي يشتغل عليه الإعلام والاقتصاد على حد سواء في عالم اليوم الذي يوصف بعصر الإعلام والمعلومات والاتصالات، وفي الواقع. وقد وصف باحثون الإعلام في هذا العصر بأنه بات "محور اقتصاد الكبار وشرط أساسي لتنمية الصغار"⁶ هذا الارتباط الكبير والمتنامي بين الإعلام والاقتصاد أفسح مجالا واسعا لتطور الإعلام الاقتصادي المتخصص الذي تعد (الصحافة الاقتصادية) إحدى مجالاته وتجلياته المؤثرة في المجتمعات النامية والمتطورة.

وبنظرة سريعة إلى الماضي، سنكتشف أن الصحافة في بداياتها التاريخية كانت تدور حول شؤون المال والاقتصاد، فقد "بقي الإعلام الصحفي محدودا حتى القرن الثالث عشر الميلادي حين برز على شكل خبر، ففي بدايات هذا القرن برزت أهمية الخبر، لكن هذه الأهمية كانت للخبر المالي، فقد كان كبار التجار ورجال المصارف يُحاطون علما بأوضاع السوق بواسطة أوراق لها الصفة الصحفية، يحررها عملاء لدى هؤلاء التجار، وقد برزت هذه الظاهرة في إيطاليا وألمانيا. وتطور الإخبار المالي والإعلام التجاري مع القرن الخامس عشر الميلادي بدوافع حب معرفة الأحداث السياسية والاجتماعية والإمام مثل عصر النهضة

1 إبراهيم العيسوي، التنمية في عالم متغير، ص 13

2 المرجع السابق، ص 17

3 نادر فرجاني، عن غياب التنمية في الوطن العربي، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة، بيروت، 2002م، ص 26

4 مجيد مسعود، دليل المصطلحات التنموية، دار المدى، دمشق، 2000م، ص 27

5 محمد مصطفى الأسعد، التنمية ورسالة الجامعة في الألف الثالث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الإسكندرية، 2000م، ص 24

6 المرجع السابق: نفس الصفحة

ودعوة الإصلاح الديني¹ تُعرّف الصحافة الاقتصادية على أنها "الصحافة التي تعنى أساساً بمعالجة الأحداث والظواهر والتطورات في الحياة الاقتصادية بجوانبها المختلفة والهادفة إلى التأثير في مسارات التطور والتغيير في الحياة الاقتصادية"² ويعرّف الدكتور إسماعيل إبراهيم الصحافة الاقتصادية بأنها "تلك التي تهتم بالمضمون الاقتصادي بكل قضاياها الرئيسية والفرعية، وتركز عليه بشكل مباشر، وعلى تأثيراته المختلفة على جوانب الحياة المتعددة، وتتسم بأنها جادة تتعامل مع مضمون جاد، وتعتمد بشكل أساسي على المعلومات والبيانات والإحصاءات والأرقام، وهي تتخطى الحدث إلى تحليله وتفسيره وربطه بغيره من الأحداث أو المسببات والنتائج"³

3.2. وظائف الصحافة الاقتصادية

تكتسب الصحافة الاقتصادية أهميتها من الأدوار والمهام التي تؤديها للدفع بالاقتصادات المحلية وبالعملية التنموية ككل لتبلغ تمامها ونجاحها، فمن أهم أدوارها وأولها: "نشر الوعي والثقافة الاقتصادية في المجتمع كالتعريف بالقوانين والتشريعات والإجراءات حتى يستطيع الفرد أن يعرف حقوقه وواجباته، كما أن الوظيفة الاستراتيجية للصحافة الاقتصادية- خصوصاً في الدول النامية- تكمن في دورها بدفع عجلة التنمية الشاملة إلى الأمام وفي ربط رجال الأعمال والاقتصاد والمؤسسات بعضها ببعض وبالجمهور، فالوعي الاقتصادي والثقافة الاقتصادية هما ركيزتان لنجاح العملية الاقتصادية والتنمية المستدامة في المجتمع، لهذا كله فإن من وظائف الإعلام الاقتصادي والثقافة الاقتصادية هما ركيزتان لنجاح العملية الاقتصادية والتنمية المستدامة في وإقليمياً ودولياً، وطرح الأفكار والتحليلات والتفسيرات المبنية على أسس ومعلومات سليمة، كما أن من دورها أيضاً، كشف التجاوزات والأخطاء والمعوقات التي تعترض سبيل نجاح التنمية والتطوير من خلال تقديم رسالة إعلامية اقتصادية مبنية على المهنية والحرفية والاستقصاء والنقد العلمي"⁴

ومما سبق، يمكننا ملاحظة الارتباط الكبير بين الصحافة الاقتصادية وبين التنمية، وهو ارتباطٌ وتلازمٌ يؤكد على أن الصحافة الاقتصادية أداة متقدمة ومهمة من أدوات الإعلام التنموي المتعددة، التي تهدف إلى تغيير واقع المجتمعات المتخلفة لتسير على طريق التنمية.

4.2. الصحافة الاقتصادية في السودان

ارتبطت الصحافة في السودان منذ ظهورها لأول مرة بالشؤون الاقتصادية، ويمكن القول إن الصحافة الاقتصادية في السودان قد سبقت بقية الأنواع الصحفية، وليس ذلك حصراً على السودان فحسب، فقد "لوحظ أن للتطور الصحفي إيقاعاً

1 طلعت همام، مائة سؤال عن الصحافة، ط2، دار الفرقان، عمان، 1988م، ص15

2 أديب خضور، الإعلام المتخصص، 2005م، ط2، دمشق، ص91

3 إسماعيل إبراهيم، الصحفي المتخصص، دار الفجر، القاهرة، 2001م، ص275

4 محمد قيراط، الصحافة الاقتصادية الإماراتية بين الضغوط المهنية والتنظيمية وتحديات التنمية المستدامة"، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 6، العدد الأول، الشارقة، 2009م

محدد عبر التاريخ، فالصحافة تبدأ رسمية تتحدث باسم السلطات الحاكمة، ثم لا تلبث أن تتطور مع ظهور الطبقة البرجوازية لخدمة الأغراض المالية والاقتصادية الرأسمالية مباشرة"¹

ويتضح الاتجاه الاقتصادي للصحافة السودانية المبكرة في أول صحيفة تُطبع في السودان وهي (الغازيتة السودانية) التي صدرت في السابع من مارس في العام 1899م حيث "كانت الغازيتة - الصادرة بتصريح من حكومة السودان كما كتبت في صدر صفحاتها- مخصصة لنشر قوانين الحكومة وأوامرها وإعلاناتها، ولكنها كانت تنشر بجانب ذلك الإعلانات التجارية لعدم وجود صحف أخرى في البلاد"²

عند الحديث عن تاريخ الصحافة الاقتصادية في السودان تجدر الإشارة إلى أن أول مجلة اقتصادية شهرية بدأت في الصدور في العام 1910م بمبادرة من الغرفة التجارية في الخرطوم وكانت تسمى "مجلة الغرفة التجارية" وتوقفت عن الصدور قبل استقلال السودان في العام 1955م.

لم يكن الاهتمام بالصحافة الاقتصادية في ثمانينيات القرن العشرين محصوراً فقط في الصفحات المتخصصة التي كانت تخصصها الصحف السودانية لشؤون المال والأعمال والاقتصاد، حيث بدأ كثير من الصحفيين والناشرين في التفكير في إصدار صحف اقتصادية، مثل الأستاذ محجوب عروة الذي أسس صحيفة "السوداني" وكان ترخيصها الذي صدر في 8 أغسطس 1981م على أنها جريدة اقتصادية تهتم بشؤون المغتربين، إلا أنه في 8 يناير 1984م طلب لتكون الصحيفة اقتصادية باسم "السوق السوداني" وفي 14 يوليو 1985م عدل اسمها إلى "السوداني".

وفي التسعينيات وما بعدها وصولاً للعقد الثاني من الألفية الأولى، صارت الصحافة الاقتصادية في السودان أكثر تطوراً من ذي قبل، رغم المشاكل التي تُعطل نجاحها والتحديات التي تواجهها، إذ توسعت الصحف السياسية العامة في تخصيص ملفات أسبوعية تختص بالشؤون الاقتصادية، وظهرت في هذه الفترة العديد من الصحف والمجلات الاقتصادية، آخرها الصحيفتين اللتين اعتمدت عليهما هذه الدراسة، وهما صحيفتي "إيلاف" لمؤسسها الأستاذ خالد التجاني النور، وصحيفة "الأسواق" لمؤسسها الأستاذ محجوب عروة، بجانب مجلات اقتصادية جديدة مثل "الحياة الاقتصادية" و"حواس" وغيرها.

رغم الملمح الاقتصادي الذي كان يميز نشأة الصحافة السودانية إلا أننا نجد أن هذا السبق التاريخي لم تُفتح له فرصة التطور، إذ بقيت الصحافة الاقتصادية في السودان تعاني من الكثير من المشاكل التي تعوق تطورها. ليست الصحافة الاقتصادية في السودان بمعزلٍ عن مشاكل الصحافة السودانية بصفة عامة، ولهذا فهي تعاني من مشاكل الصحافة السودانية العامة، إضافة إلى مشاكلها الخاصة. لهذا فإن الصحافة الاقتصادية في السودان ظلت تواجه تحديات الواقع العام للصحافة السودانية، بجانب تحدياتها الخاصة التي يتمثل أوضاعها في فقدانها للطابع الصحفيّ الشامل، ونرى ذلك في ندرة الصحفيين الاقتصاديين المتخصصين، واقتصار المتابعة الصحفية للقضايا الاقتصادية على صحافة الملفات الاقتصادية والصحافة الأسبوعية التي لا تستطيع مجاراة الأحداث الاقتصادية التي تستجد في الساحة العامة، بجانب تأثير الصحافة الاقتصادية

1 طلعت همام، مائة سؤال عن الصحافة، ط2، دار الفرقان، عمان، 1988م، ص15

2 محجوب محمد صالح، الصحافة السودانية في نصف قرن، دار نشر جامعة الخرطوم، ط1، 1971م، ص18

بالمناخ الاقتصادي العام في السودان الذي ظل يفتقر إلى التطور الكبير والمتسارع بحسبان أن "كل نهضة اقتصادية يجب أن تصاحبها نهضة إعلامية، والسودان بصفته موضعاً مهماً لجلب المستثمرين، إلا أن ذلك لم ينعكس على الإعلام الاقتصادي تحديداً، ويتحقق ذلك في عدم وجود صحافة اقتصادية متخصصة، وضعف الأقسام الاقتصادية في الصحف السياسية السيارة"¹

3. الإطار التطبيقي للدراسة

1.3. مجتمع الدراسة

اختار الباحث الصحافة الاقتصادية لتكون مجتمع الدراسة، نظراً لسهولة الرجوع لمعلومات الصحافة المطبوعة، بعكس الصحافة المرئية والمسموعة فالصحافة المطبوعة "أقدر على الاحتفاظ بالمعلومات التي لديها أطول فترة ممكنة، وهي بهذا تتيح الفرصة لمستقبل الرسالة الإعلامية لكي يشاهد المطبوع أكثر من مرة، ولكي يتثبت من بعض النقاط التي يود أن يركز عليها"². واختار الباحث صحيفتي "إيلاف" و"الأسواق" الاقتصاديتين الأسبوعيتين كنموذج للصحافة الاقتصادية المتخصصة في السودان.

2.3. عينة الدراسة

قام الباحث بتحليل مضمون حصري لكل أعداد الصحيفتين لمدة 12 شهراً في الفترة من 1 يونيو 2012م حتى 30 مايو 2013م وكان الهدف من اختيار هذه الفترة من الصحيفتين تمكين الباحث على معرفة اتجاهات وطبيعة تناول الإعلام لقضايا التنمية طوال عام كامل. تشمل الدراسة 102 عدداً بواقع 51 عدداً لكل صحيفة وهي كل الأعداد التي صدرت للصحيفتين خلال الفترة الزمنية من 1 يونيو 2012م حتى 30 مايو 2013م. خلص الباحث إلى تحليل مضمون صحف العينة (إيلاف والأسواق) وفق فئات التحليل المحددة، وبلغ عدد المواد التي خضعت للتحليل الكمي 3819 مادة تحريرية موزعة كما يلي: 2243 مادة من صحيفة إيلاف و1576 مادة من صحيفة الأسواق.

3.3. وحدة التحليل

استخدم الباحث وحدة الموضوع لاعتبارها أكثر وحدات التحليل انسجاماً مع موضوعات المتابعة الصحفية لقضايا التنمية في الصحافة، إضافة إلى أن وحدة الفكرة أو الموضوع من أكثر الوحدات شيوعاً واستخداماً في أبحاث الإعلام، وتعتبر هذه الوحدة من أهم وأكبر وحدات تحليل المحتوى وأكثرها إفادة وشيوعاً.³

1 محجوب عروة، الإعلام الاقتصادي وأثره على الاقتصاد السوداني، مركز الخرطوم للإعلام الاقتصادي، الخرطوم، 2011م، ص 12

2 طلعت همام، مائة سؤال عن الصحافة، ط2، دار الفرقان، عمان، 1988م، ص 8

3 عبد الكريم الديبسي، الرأي العام: عوامل تكوينه وطرق قياسه، دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن، 2011م، ص 225

4.3. فئات التحليل

اعتمد الباحث على العديد من الفئات ذات الصلة بموضوع البحث، وتُعرّف فئات تحليل المضمون بأنها "التصنيفات التي يضعها الباحث استناداً إلى طبيعة الموضوع ومشكلة البحث كوسيلة يعتمد عليها في حساب تكرارات المعاني"¹ وقد صُنّفَ محتوى الصحف موضع الدراسة حسب فئات (الشكل والمضمون) بما يتصل بأسئلة الدراسة وفرضياتها، فجاءت في 10 فئات كالتالي: (فئة الموضوعات، فئة التوزيع الجغرافي للموضوعات، فئات الشكل التحريري، فئة نوع القطاع، فئة المصدر، فئة أهداف النشر، فئة: طبيعة تناول الإعلامي للتنمية، فئة النماذج التنموية المهمة، فئة: الوسائط التوضيحية، فئة: مفاهيم التنمية)

5.3. نتائج الدراسة ومناقشتها

قام الباحث بمناقشة النتائج من منظور محوريين: الأول ضمن أهداف الدراسة وأسئلتها والثاني ضمن النظريات التي اعتمدت عليها الدراسة سابقاً.

1.5.3. المحور الأول: مناقشة النتائج ضمن أهداف الدراسة وأسئلتها

أولاً: كشفت نتائج الدراسة عن سيطرة الشؤون الاقتصادية على مجمل المتابعة الإعلامية للصحافة الاقتصادية مقارنة ببقية الموضوعات، وهو أمرٌ لا يُعدّ غريباً فهي بالأساس صحافةً اقتصاديةً متخصصة تهتم بشكلٍ أساسي بالشأن الاقتصادي، لكن يلاحظ الباحث - من خلال النتائج- أن اهتمام الصحافة الاقتصادية بالموضوعات غير الاقتصادية لا يتناسب مع الشمول الذي يتميز به الإعلام التنموي، الذي يركز على الاهتمام المتوازن بمجالات الإعلام والتنمية، كما لا يتناسب مع أهمية بعض المجالات والقطاعات مثل الصحة والتربية والتعليم، وتأثيرها على مجمل الأوضاع التنموية في السودان، حيث رصدت الدراسة انخفاض اهتمام الصحافة الاقتصادية بها مقابل اهتمامها الملحوظ بالشؤون السياسية والشؤون الإقليمية والدولية، حيث بلغت نسبة المتابعة الإعلامية للشؤون الصحية (1.4%)، وللشؤون التربوية والتعليمية (1.2%) فقط، وهي نتيجة ضئيلة من الاهتمام والمتابعة لا تتناسب مع قضايا الاقتصاد التي حصلت على نسبة (45.7%) تليها الشؤون السياسية بنسبة بلغت (20.8%)، والشؤون الإقليمية والدولية بنسبة (14.3%). ولم تختلف هذه النتيجة من صحيفة إلى أخرى، حيث سيطرت الشؤون الاقتصادية على اهتمام صحيفتي إيلاف والأسواق بجانب الشؤون السياسية والدولية، وهو اهتمام مبرر أن تحصل الشؤون الاقتصادية على النسبة الأكبر في المتابعة والاهتمام لكون الوسيلة نفسها متخصصة في الشؤون الاقتصادية، إلا أن التحفظ الواضح يكمن في الفرق الكبير بين النسبة التي حازتها الموضوعات الاقتصادية والموضوعات الأخرى التي لا تقل أهمية عنها، وتشمل الشؤون الصحية والتعليمية، وهي في المجمل موضوعات ذات أهمية كبيرة في نجاح العملية التنموية، وذات أهمية لعملية التنمية الاقتصادية بشكل خاص.

ثانياً: أوضحت نتائج الدراسة التركيز الشديد في التوزيع الجغرافي للموضوعات التنموية التي تناولها الصحافة الاقتصادية على ولاية الخرطوم من دون ولايات السودان، وتعد هذه الصحافة - على المستوى الوطني- مغرقةً في المحليّة، حيث تسيطر

مدن الخرطوم الثلاث على أكثر من نصف مساحة اهتمام الصحافة الاقتصادية، وتستقر بقية ولايات السودان في ذيل قائمة الاهتمام بنسبة ضئيلة بلغت 8.6% فقط. وتشير النتائج إلى تفوق الاهتمام بالشأن الإقليمي والعالمي على الاهتمام بالشأن المحلي في ولايات السودان، وهي نتائج جغرافية سلبية تؤكد أن اهتمام الصحافة الاقتصادية لا يتوزع بعدالة بين ولايات السودان، وهو أمر يجعل من نجاح الإعلام التنموي الموجه للجمهور معرضاً للإخفاق والتشوّه، بالتركيز على مناطق دون أخرى، وهو أمر يتناقض مع الصحافة التي تعرف نفسها بأنها شاملة وقومية. وتشير النتائج إلى اتفاق صحيفتي إيلاف والأسواق في التركيز على العاصمة الخرطوم دون بقية مدن وولايات السودان، وهو أمر قد يعود إلى أن هذه الصحف، وأغلب الصحف في السودان، تصدر من العاصمة الخرطوم، ويشهد توزيعها في الولايات تناقصاً ملحوظاً عن التوزيع في العاصمة، وقد تكون النتيجة عكسية، إذ تناسب - في الغالب - نسب توزيع الصحف مع اهتمام هذه الصحف بقضايا المجتمع المحلي الذي توزع فيه هذه الصحف، ولهذا فإن سوء توزيع الصحف في الولايات قد يعود إلى ضعف اهتمامها بشؤون الولايات وتركيز غالب اهتمامها على العاصمة الخرطوم.

ثالثاً: لم تستطع الأنماط والأشكال التحريرية أن تعكس طبيعة الصحافة الاقتصادية في السودان التي تصدر بشكل أسبوعي لا يومي، إذ كشفت نتائج الدراسة طغيان الأخبار والتقارير على بقية الأشكال التحريرية في صحيفتي إيلاف والأسواق الأسبوعيتين، ومن المعروف أن الأخبار تلازم بكثافة الصحافة اليومية لا الأسبوعية، كما أوضحت نتائج الدراسة اهتمام الصحافة الاقتصادية بالأعمدة ومقالات الرأي في مقابل الحوارات والتحقيقات المعمّقة، وهو ما يجعل الصحافة الاقتصادية في السودان تبدو كمزيج بين الصحافة الإخبارية وصحافة الرأي، مع ملاحظة أن اهتمامها بفن الكاريكاتير يكاد لا يُذكر. وكشفت نتائج الدراسة عن تدني شديد في الإعلانات التي تعتمد عليها الصحافة الاقتصادية في السودان إذ بلغت نسبتها حوالي (12%) فقط من مجمل المواد المنشورة، وهي نسبة متدنية جداً بالنسبة لصحافة تهتم بالاقتصاد والتنمية ويفترض الجمهور عمق وقوة علاقاتها مع المؤسسات الاقتصادية وصناع القرار الاقتصادي؛ وقد تؤثر قلة الإعلانات إلى عدم ثقة المؤسسات المعلنة في مدى انتشار الصحافة الاقتصادية، بجانب كونها في السودان صحافة أسبوعية لا توزع يومياً وهو ما يجعلها تغيب طويلاً عن القارئ الذي يعد الهدف الأول للمعلنين؛ ويؤدي ضعف الإعلان إلى تدهور اقتصاديات الصحف، ويجعل بعضها - كما هو الحال في السودان - تقترب من الانهيار والتوقف عن الصدور، خصوصاً إذا استصحبنا ضعف العائد المادي من توزيع الصحف لضعف انتشارها في السودان. ويؤدي الاهتمام الضعيف بالحوارات والتحقيقات في الصحافة الاقتصادية إلى صناعة صحافة تفتقر إلى العمق، وتركز على الأخبار بحسبانها أشكالاً تحريرية أسهل وأسرع، وهو ما سيشكل في الغالب إعلاماً تنموياً ضعيفاً وغير قادرٍ على توصيل رسالته التوعوية بالوضوح والعمق المطلوبين. لا تتعدى نسبة الحوارات والتحقيقات في الصحافة الاقتصادية (5%) من مجمل الأشكال التحريرية الأخرى كما توضح نتائج الدراسة، وهذا ما يؤكد أن هناك علاقة طردية بين نوع المادة الصحفية - سواء كانت خبر، تقرير، أو حوار، تحقيق - مع مستوى المحرر الصحفي المهني، فكلما زادت مؤهلات الصحفي كلما انعكس ذلك إيجاباً في عددية ونوعية الاهتمام بالأشكال التحريرية التي تتطلب الاستقصاء والتعمق كالتحقيقات والحوارات، وهو الأمر الذي يغيب عن الصحافة الاقتصادية في السودان.

رابعاً: اعتمدت صحف الدراسة على نوعين من المصادر: الأول المصادر الداخلية وهي المصادر التي تتمثل في المحررين الصحفيين، والمراسلين، والكتّاب، والمندوبين، والمصادر الثانية تتمثل في وكالات الأنباء المحلية والعالمية. وقد كشفت النتائج على اعتماد صحف الدراسة الكبير على المصادر الداخلية ممثلة في المحرر/المراسل الصحفي المنتمي للصحيفة، بينما جاءت مصادر الوكالات الأجنبية في مرتبة ثانية بعد المصادر الداخلية، لتحل وكالات الأنباء المحلية في آخر مرتبة تعتمد عليها صحف الدراسة. وأوضحت نتائج الدراسة أن كلا الصحفيتين (إيلاف والأسواق) تعتمدان بنسبة كبيرة أيضاً على مصادر مجهولة، وهو ما يخصم من رصيد الصحافة الاقتصادية ويسبب لها أزمة في المحتوى، بما يجعلها تفقد الكثير من مصداقيتها التي يجب ألا تكون موضع شك، لتستطيع عبرها التأثير على الجمهور وتوجيه المجتمع، وفق أهداف الإعلام التنموي. وتكشف نتائج الدراسة عن اختلاف واضح بين صحيفتي إيلاف والأسواق في الاعتماد على المصادر رغم اتفاقهما في الاعتماد الكبير على المصادر المجهولة؛ ففي صحيفة إيلاف زادت نسبة الاعتماد على مصادر وكالات الأنباء العالمية بنسبة (42.8%) بينما اعتمدت صحيفة الأسواق بشكل أكبر على مصادر محرريها الصحفيين ومراسلها بنسبة وصلت إلى (61%).

خامساً: تُظهر نتائج الدراسة اهتماماً متزايداً بالقطاع الخاص في الصحافة الاقتصادية بما يفوق نصف المادة التحريرية المقدمة، وقد سجل القطاع العام نسبة (46.9%) من اهتمام الصحافة الاقتصادية. وتدل نتائج هذه الدراسة على أن هناك علاقة تأثير وتأثر بين الصحافة الاقتصادية والقطاع الخاص خصوصاً في مجال الإعلان وهو ما يؤشر لدور كبير تقوم به مؤسسات القطاع الخاص في ترتيب أولويات الصحافة الاقتصادية في السودان، وهو دور قد يخصم مستقبلاً من نجاح الإعلام التنموي في الوصول إلى كافة القطاعات دون اختلال، ودون الإخلال بنصيب قطاع دون آخر، ولهذا فالملاحظ أن الفارق بين القطاعين الخاص والعام في صحيفة الأسواق ليس كبيراً، إذ كان بنسبة (50.7%) للقطاع الخاص و(49.3%) للقطاع العام.

سادساً: أظهرت نتائج الدراسة أن النجاح التنموي في المؤسسات هو الذي حاز على اهتمام الصحافة الاقتصادية من دون النماذج التنموية الأخرى، بينما فاق اهتمامها بالنجاح التنموي لبعض الشخصيات، اهتمامها بالنماذج التنموية على مستوى الدول، مع اختلاف كبير في تفضيل صحف الدراسة للمؤسسات والشخصيات لتمثل النموذج المثالي للتنمية المتحققة، فقد ركزت صحيفة إيلاف على إبراز النماذج الشخصية الناجحة تنموياً بنسبة (52.1%) من مجمل النماذج التنموية المهمة للآخرين، بينما كانت المؤسسات هي النموذج التنموي المفضل لصحيفة الأسواق لتثبت به للجمهور قدرة التنمية في المساهمة في تطوير المجتمع فكانت نسبة نموذج المؤسسات أكثر من (60.4%).

سابعاً: اتضح من خلال نتائج الدراسة أن الصحافة الاقتصادية في السودان ذات طابع إخباري ملفت، فقد زادت المادة الإخبارية فيها لأكثر من نصف المواد التحريرية الأخرى، ولم تول الأساليب التفسيرية والتحليلية أهمية كبيرة، واتضح ذلك من خلال الاهتمام المتزايد بالأخبار، والنقص الشديد في التحقيقات والمقابلات، وهو نقص واجب المعالجة في الصحافة الاقتصادية المتخصصة التي تفترض الاهتمام بالشرح والتفسير والتعليل للقضايا، وتزداد الحاجة للطابع التحليلي والتفسيري للصحافة حينما تتطور المجالات الاقتصادية وتتعدد الأحداث والمشاكل والمعالجات.

كشفت نتائج الدراسة أن الهدف الأول للصحافة الاقتصادية هو هدف إخباري، يأتي متأخراً عنه الهدف التحليلي، ويأتي في آخر الاهتمامات الهدف الإرشادي، وهو الهدف الذي يركز عليه الإعلام التنموي ليحقق رسالته بتوعية المجتمع ومساعدته

على الانتقال من أوضاع التخلف إلى أوضاع التنمية بكافة أشكالها ومجالاتها، وبهذا يخسر الإعلام التنموي في الصحافة الاقتصادية أهم أهدافه التي يسعى إليها.

ثامنا: أظهرت نتائج الدراسة أن الأفكار النظرية حول التنمية كانت الأكثر تناولاً وتداولاً في صحيفتي إيلاف والأسواق، إذ بلغت طبيعة التناول الإعلامي للتنمية في شكل أفكار نسبة (78.9%) بفارق كبير عن المشاريع التنموية التي حصلت على نسبة (21.1%)، وهو ما يعكس أكثر من نتيجة، فهو من جهة يدل على اهتمام الصحافة الاقتصادية بالأفكار التنموية نظراً لافتقارها على أرض الواقع ولحاجة المجتمع المحلي الماسّة لها، ومن جهة أخرى فهو مؤشر لاتجاهين محتملين: إما أن مشاريع التنمية تشكو من الشح في مقابل الأفكار والنظريات، أو أن تكون الصحافة الاقتصادية هي التي يشوبها القصور في متابعة ونقل المشاريع التنموية المنجزة. وعلى كل حال، اتفقت كل صحف الدراسة في تفضيل الأفكار والنظريات التنموية على المشاريع التنموية، فسجّلت الأفكار نسبة (82.6%) في صحيفة إيلاف ونسبة (74.1%) في صحيفة الأسواق، بينما حازت المشاريع على نسبة (17.4%) في صحيفة إيلاف، ونسبة (21.1%) في صحيفة الأسواق.

تاسعا: لإبراز وجهة نظرها، اعتمدت الصحافة الاقتصادية على (الصورة) لتكون الوسيلة الأعلى والأبرز بين كل الوسائط التوضيحية التي استعانت بها صحيفتي إيلاف والأسواق لتبسيط وتوصيل رسالتها الإعلامية، وهو ما يوضح أهمية الصورة في توصيل الرسالة الإعلامية بشكل سريع وواضح. ويدل استحواد الصورة على اهتمام صحف الدراسة على عدم مواكبتها للوسائط التوضيحية الجديدة والأكثر فاعلية وارتباطا بالصحافة الاقتصادية، فقد كانت نسبة الرسوم البيانية (5.2%) فقط، تليها الرسوم التوضيحية (الإنفوجرافيك) بنسبة (2.3%)، ثم أخيرا الخرائط بنسبة (0.5%). وعلى سبيل المثال بلغ عدد الصور المستخدمة في صحف الدراسة خلال عام واحد (2983) صورة مقابل (76) رسما توضيحيا (انفوجرافيك) خلال عام كامل، وهي نسب وأرقام توضح الضعف الشديد الذي يعتري الصحافة الاقتصادية في هذا الجانب، لا سيما أن الصحافة الاقتصادية تحتاج أكثر من غيرها لأدوات تفسيرية وتوضيحية تسهل على القارئ غير المتخصص فهم المادة الاقتصادية التي قد تحتوي على الكثير من الأرقام المبهمة والمصطلحات الغريبة، التي لا تتضح إلا عبر رسوم بيانية أو توضيحية بسيطة.

عاشرا: اهتمت صحف الدراسة - حسب النتائج - بمفاهيم التنمية الاقتصادية أكثر من أي مفهوم آخر للتنمية، بحسبان الشأن الاقتصادي من صميم اهتمامها كصحافة اقتصادية، وهي بذلك تعطي تصورا ناقصا للتنمية التي لا تنحصر في التنمية الاقتصادية فحسب، ولذلك حصلت مفاهيم التنمية الأخرى على نسب ضئيلة من الاهتمام لا تعين على توصيل مفهوم التنمية الشاملة التي لا تقتصر فقط على شئون الاقتصاد. وكشفت نتائج الدراسة عن عدم مواكبة الصحافة لمفاهيم التنمية الحديثة، ولذلك كان التعبير عنها عبر المواد التحريرية المختلفة ضعيفا، إذ لم تتعدّ مفاهيم التنمية البشرية والتنمية الإنسانية نسبة (7%) من مجمل مفاهيم التنمية التي تناولتها الصحافة الاقتصادية، وهي نتيجة تتواءم مع اهتمام صحف الدراسة الغالب بالشؤون الاقتصادية والسياسية والدولية في مقابل الاهتمام الضعيف بالشؤون التربوية والتعليمية والصحية، وهو أمر يُفقد الصحافة الاقتصادية القدرة على تحقيق أهداف الإعلام التنموي، ويفقدها القدرة على تحقيق أهدافها كصحافة اقتصادية تلبّي متطلبات جميع المجالات والقطاعات بشمول وتوازن يتناسب مع أهميتها وتأثيرها.

2.5.3. المحور الثاني: مناقشة النتائج ضمن النظريات التي اعتمدت عليها الدراسة

بإسقاط ما سبق من نتائج على نظرية (ترتيب الأولويات)، تتأكد حقيقة العلاقة التأثيرية بين الوسيلة الإعلامية والجمهور وبين المضمون الذي تقدمه الوسيلة الإعلامية لجمهورها، وتؤكد النتائج العامة للدراسة أن إدارات التحرير في صحف العينة تؤثر بصورة ملموسة في اختيار وترتيب أولويات الجمهور من خلال طبيعة المواضيع التي يتم التركيز عليها والمحتويات التي يتم إبرازها وتأكيدا. وبالإمكان ملاحظة أن ترتيب الأولويات لصحيفتي إيلاف والأسواق قد كان متشابهاً إلى حد كبير، وأن نسبة الاختلاف كانت محدودة، وهو ما يشير إلى أن صحف الدراسة سعت لوضع أجندة إعلامية يهتم بها الجمهور، واتضح ذلك من خلال الموضوعات المتنوعة التي شملتها المتابعة الإعلامية لكلا الصحيفتين، مع الاختلاف في إيلاء موضوعات أهمية أكبر من موضوعات أخرى.

وقد أظهرت نتائج الدراسة أن هناك علاقة وطيدة بين المنطقة التي يسكن فيها الجمهور وبين أولويات الوسيلة الإعلامية، فقد أظهرت الدراسة أن ولاية الخرطوم تستحوذ على أعلى نسبة اهتمام في الصحافة الاقتصادية، وهو ما يؤكد العلاقة الترابطية بين اهتمامات سكان ولاية الخرطوم وبين تركيز المتابعة الإعلامية على القضايا المرتبطة بولاية الخرطوم، وهو الأمر الذي يؤكد في النهاية ارتباط أولويات الوسائل الإعلامية بالجمهور. ويتأكد الترابط بين صحف الدراسة وأولويات الجمهور، بالاعتماد المتبادل بين القطاع الخاص وبين صحف الدراسة التي أظهرت اهتماما كبيرا بالقطاع الخاص في مقابل القطاع العام، ما يعني أن مؤسسات القطاع الخاص تحصل على منافع من الوسيلة الإعلامية في شكل نشر لأخبارها وإنجازاتها، كما تحصل الوسائل الإعلامية على عوائد مادية من الإعلان الذي تدفعه مؤسسات القطاع الخاص، وهذا أيضا يؤكد على نظرية (الاعتماد على وسائل الإعلام) التي تركز على فعالية الجماهير، وتعكس اعتماد كثير من وسائل الإعلام على عائدات الإعلانات والدعايات، كما تعكس استفادة المؤسسات الاقتصادية من الإعلام في توسيع نطاق رسائلها للجمهور.

أما فيما يتعلق بالنظرية التنموية، فقد أكدت الدراسة أن وسائل الإعلام تقوم بوظائف تنموية تتوافق مع السياسات القومية والأوضاع الوطنية التي يمر بها البلد ويتضح ذلك من خلال التركيز على التنمية الاقتصادية مع الجوانب السياسية والإقليمية وهي ذات القضايا الداخلية والخارجية الملحة التي كانت وما زالت- تشغل حيزا كبيرا من الاهتمام الوطني، رغم أن الباحث يرى ضرورة أن تتوسع صحف الدراسة في الاهتمام بموضوعات أخرى لا تقل أهمية، كالثقافة، والاجتماعية، والتعليمية، والصحية، لتحقيق الشمول والتكامل للنظرية التنموية، أملا في مساعدتها على تحقيق التنمية والتطور في المجتمع السوداني. وقد نجحت صحف الدراسة في التأسيس لإعلام يركز على مفهوم المتابعات الإعلامية الإيجابية لأنها طريقة تساهم في تطوير الأوضاع الداخلية في المجتمعات النامية. وتأكيداً على دور الإعلام التنموي في خدمة المجتمع ونقله من التخلف إلى التنمية، فإن الدراسة أثبتت دورا مهما للصحافة الاقتصادية في هذا الصدد، إلا أن الباحث يلزمه التأكيد على أن النظرية التنموية لم تجد حظها من التعبير الأمثل في صحف الدراسة خاصة فيما يتعلق بترتيب أولوياتها عبر الاهتمام بالثقافات المحلية واللغات الوطنية، فقد أظهرت نتائج الدراسة اهتماما متعاطفا بولاية الخرطوم دون غيرها من ولايات السودان، كما أظهرت اهتماما بالشأن الإقليمي والعالمي أكبر من اهتمامها بالشأن المحلي في ولايات السودان المختلفة، وهو تقصير كبير لا يتوافق مع أهداف النظرية التنموية.

خاتمة:

بحسب النتائج التي توصلت إليها الدراسة فإن الصحافة الاقتصادية في السودان تؤدي دوراً مهماً في دعم جهود التنمية، والتوعية بقضاياها في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والصحية، وتتفاوت حجم وأهمية وتأثير هذا الدور وفقاً للتعبير الأمثل عن النظرية التنموية في الإعلام، ووفقاً لمتطلبات الإعلام التنموي. تسيطر الموضوعات الاقتصادية على متابعات الصحافة الاقتصادية في السودان بما لا يتناسب مع الشمول الذي يتميز به الإعلام التنموي الذي يركز على الاهتمام المتوازن بكل مجالات الإعلام والتنمية، كما لا يتناسب مع أهمية بعض المجالات والقطاعات مثل الصحة والتربية والتعليم وتأثيرها على مجمل الأوضاع التنموية في السودان. لا يتوزع اهتمام الصحافة الاقتصادية بعدالة على ولايات السودان، حيث تستأثر ولاية الخرطوم العاصمة بالاهتمام الأكبر، تليها دول العالم. فشلت الأنماط والأشكال التحريرية المستخدمة في الصحافة الاقتصادية في أن تعكس طبيعتها كصحافة دورية تصدر أسبوعياً. تدني نسبة الإعلانات التي تعتمد عليها الصحافة الاقتصادية في السودان يهدد اقتصادياتها ويزيد من عدم استقرارها. توضح النتائج أن الصحافة الاقتصادية في السودان ذات طابع إخباري، يقل فيها الطابع التحليلي والإرشادي، وتفتقر إلى العمق، وتقل فيها مواد الصحافة الاستقصائية. تعتمد الصحافة الاقتصادية بشكل كبير على المصادر المجهولة بما يقلل من مصداقيتها وترتكز على الأفكار والنظريات التنموية أكثر من المشاريع والبرامج التنموية. كما كشف النتائج عن ضعف مواكبة الصحافة الاقتصادية للوسائط التوضيحية الحديثة، وأدى تركيزها الشديد على مفهوم محدود للتنمية الاقتصادية لعدم مواكبتها لمفاهيم التنمية الحديثة كالتنمية البشرية والتنمية الإنسانية.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم العيسوي، التنمية في عالم متغير: دراسة في مفهوم التنمية ومؤشاتها، دار الشروق، القاهرة، 2000م
2. إحسان الحسن، موسوعة علم الاجتماع، الطبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1999م
3. أديب خضور، الإعلام المتخصص، ط2، دمشق، 2003م
4. إسماعيل إبراهيم، الصحفي المتخصص، دار الفجر، القاهرة، 2001م
5. أمارتيا صن، التنمية حرة، عالم المعرفة، الكويت، 2004
6. الأمم المتحدة، إعلان الحق في التنمية، جنيف، طبعة العام 2011م
7. الأمم المتحدة، تقرير التنمية البشرية الأول، 1990
8. أنيسة الشين، إشكالية التنمية ووسائل النهوض.. رؤية في الإصلاح، مجموعة من الباحثين، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، 2008م
9. جورج نايت، إدارة التنمية، ترجمة منير موسى، دار المعارف، القاهرة، 1979م
10. حسن مكاي وليلى السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، ط6، الدار اللبنانية المصرية، القاهرة، 2006م
11. سميرة شيخاني، الإعلام الجديد في عصر المعلومات، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد الأول+ الثاني، 2010م
12. السيد أحمد المصطفى عمر، البحث الإعلامي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، 2008م
13. السيد عمر، الإعلام المتخصص: دراسة وتطبيق، جامعة قاريونس، بنغازي، 2003م
14. صلاح أبو أصبع، دراسات في الإعلام والتنمية العربية، مؤسسة البيان، دبي، 1989م

15. صلاح عبد اللطيف، الصحافة السودانية: تأريخ وتوثيق، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، 1992م
16. طلعت همام، مائة سؤال عن الصحافة، ط2، دار الفرقان، عمان، 1988م
17. عبد الكريم الديبسي، الرأي العام: عوامل تكوينه وطرق قياسه، دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن، 2011م
18. عبد الكريم بكار، مدخل إلى التنمية المتكاملة، دار القلم، دمشق، ط4، 2011
19. علي عبد القادر علي، التطورات الحديثة في الفكر الاقتصادي التنموي، سلسلة جسر التنمية، الكويت، العدد76، 2008م
20. علي عجوة، الإعلام وقضايا التنمية، عالم الكتب، القاهرة، 2008م
21. مجيد مسعود، دليل المصطلحات التنموية، دار المدى، دمشق، 2000م
22. محجوب عروة، الإعلام الاقتصادي وأثره على الاقتصاد السوداني، مركز الخرطوم للإعلام الاقتصادي، الخرطوم، 2011م
23. محجوب محمد صالح، الصحافة السودانية في نصف قرن، دار نشر جامعة الخرطوم، ط1، 1971م
24. محمد عدنان وديع، مفهوم التنمية، سلسلة جسر التنمية، المركز العربي للتخطيط، الكويت، 2002م
25. محمد قيراط، الصحافة الاقتصادية الإماراتية بين الضغوط المهنية والتنظيمية وتحديات التنمية المستدامة"، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 6، العدد الأول، الشارقة، 2009م
26. محمد مصطفى الأسعد، التنمية ورسالة الجامعة في الألف الثالث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الإسكندرية، 2000م، ص24
27. محمد منير حجاب، الإعلام والتنمية الشاملة، دار الفجر، القاهرة، ط7، 2010م
28. محمود إسماعيل، مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، الدار العالمية للنشر، القاهرة، 2003م،
29. نادر فرجاني، عن غياب التنمية في الوطن العربي، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة، بيروت، 2002م
30. نصر عارف، مفاهيم التنمية ومصطلحاتها، مجلة ديوان العرب، القاهرة، عدد حزيران 2008م
31. يسري أبو العلا، استراتيجية الإعلام والتنمية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2007م

دعم ومساندة أحرار العالم وديمقراطيينه للثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962 :

شبكة هنري كوريال أنموذجاً

**Libérales and Démocrates support the Algerian libération révolution 1954-1962.
Henry Coreal network as a model**

ط.د/ محمد محمدي، جامعة مسيلة، الجزائر

University of Msila, Algeria/E. Mohamed mhamdi

Abstract:

This humble historical study tries ; The research high light to wards one of the important historical issues and problems in the liberation process of the Algerian revolution 1954-1962 . As This revolution witnessed, since its official start on November 1, 1954, different attitudes and reactions. Inside the country as well as abroad, between a supporter and an opponent, optimistic and complainant.

From this stand point, our study targeted this attempt to unveil some civil groups from French society who decided, with conviction, to support and assist this revolution financially and morally ; Among these groups, many formed secret networks that were responsible for providing assistance to the Algerian cause. Among these networks we find: "Henry Coreal Network" which is the subject of This study.

Key Word: Libérales; Démocrates; Europe ; France; Alegria; Henry Coreal; the support.

ملخص:

تصبو هذه الدراسة التاريخية المتواضعة، إلى تسليط الضوء البحثي والتاريخية نحو واحدة من القضايا والاشكالات الهامة خلال مسيرة الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، إذ يتعلق الأمر بمحاولة إماطة اللثام عن الأشكال المختلفة والمتعددة المتباينة لصور الدعم والمساعدة المادية والمعنوية المسداة من قبل الأحرار والديمقراطيين الأوروبيين عامة والفرنسيين خاصة، لصالح المناضلين الجزائريين في معركتهم التحريرية ضد النظام الاستعماري الفرنسي القائم في بلد الجزائر، والذي أدرك هؤلاء الأحرار أنه نظام فرنسي وعسكري قائم على القمع والاستبداد وتغييب الأنا الجزائرية المسلمة للسكان الأصليين.

وهنا ستتركز جهودنا البحثية، حول تسليط الضوء على الأدوار الانسانية لأحد الشبكات الفرنسية المتعاطفة مع الكفاح الجزائري والمدركة لعدالة قضيته، الشيء الذي جعلها تخص الثورة الجزائرية بالدعم والمؤازرة خلال مسيرتها التحريرية، ومن بين هذه الشبكات الفرنسية فإننا نجد: شبكة "هنري كوريال"، هذا الذي كان خير مساند للثورة الجزائرية من خلال مواقفه الانسانية، إما بجهوده ضمن شبكة فرانسيس جانسون السرية، أو حتى من خلال أعماله وجهوده في شبكة أخرى داعمة للثورة وهي "شبكة هنري كوريال"، وهي المواقف والقناعات الثابتة التي يرجح الدارسون بأنها كانت سبباً مباشراً في تصفيته الجسدية من قبل المنظمة الارهابية O.A.S في المراحل الأخيرة من عمر الثورة التحريرية الجزائرية.

الكلمات المفتاحية:

الأحرار-الديمقراطيين_أوربا-فرنسا-الجزائر-هنري كوريال-الدعم.

مقدمة:

لقد بات الاعتقاد السائد في الأمس واليوم كذلك، لدى عامة الجزائريين والجزائريات بأن الاستعمار الفرنسي لبلادهم، إنما هو أوجهٌ متعددةٌ لإرهاب واحد وثابت، وحتى إن اختلفت معه الأنماط والأشكال في السيطرة على السكان الأصليين في هذه البلاد أو غيرها، هذه البلاد التي عاشت السيادة على أرضها حقياً وفتراً زمنية طويلة، على عكس ما ذهب إليه منظرو المدرسة الاستعمارية الفرنسية والمؤرخون المؤدلجون بإيديولوجيتها، وغايتهم من ذلك مشتركة وهدفهم وحيد، يتمثل في القضاء على الشخصية الجزائرية والاستحواذ على مقدرات البلاد وخيراتهما، فكانت بدايتهم في هذه الجريمة الانسانية سلسلة لا متناهية من التجاوزات العسكرية بل القانونية أيضاً ضد السكان المحليين، أين تزامنت الجرائم اللانسانية مع العمليات الأولى للتهندنة المرفقة مع جهود فرض السيطرة على هذه الأرض والعمل لترويض سكانها بأكذوبة "القضاء والقدر" الاستعماري الذي حل بهذا الشعب الجزائري، ولذلك فلم تكن فرنسا تتورع من ارتكاب أبشع المجازر والجرائم في ظل تواطؤ أو تغافل من الرأي العام الدولي خلال الفترة المذكورة.

وفي ظل الأوضاع اللانسانية سالفة الذكر، فقد وجد العديد من المدنيين الفرنسيين الأحرار (المتربول): من أمثال: فرانسيس جانسون، جون بول سارتر، فرانز فانون، جاك فيرجيس، روبر بارات، فرانسو مورياك، بيار شولي، هنري كوريال... الخ، أنفسهم أمام حقيقة مرة وهي الإقرار بالتجاوزات المرتكبة من قبل العسكريين الفرنسيين ضد المدنيين في مستعمرة الجزائر، وهنا لم يكن أما هؤلاء الفرنسيين الأحرار والديمقراطيين إلا أن أعلنوا رفضهم القاطع للسياسة المنتهجة ضد المدنيين الجزائريين، وقد تعبيرهم عن ذلك بأشكال مختلفة ومتباينة مثل: التنديد بالكتابة في الجرائد، الكتابة في المجالات، المظاهرات، الاضرابات، العصيان... الخ، وغيرها من الوسائل السلمية التي اتخذها هؤلاء الفرنسيون وسيلة للتعبير عن الرفض القاطع للسياسة المطبقة في الجزائر، بل إننا لنجد أن الكثير من هؤلاء الفرنسيين بالأصل أو بالمولد، من قرر عن قناعة تامة إعلان الصريح

بمناوئة السياسة الفرنسية المطبقة في الجزائر، وذلك من خلال تأسيسه شبكات سرية داعمة للمناضلين الجزائريين على التراب الفرنسي والأوروبي بصفة عامة، ولا أدل على هذه الشبكات من شبكتي: "فرانسيس جانسون" و"هنري كوريال".
وعليه سنحاول من خلال هذه الدراسة: تسليط الضوء على "شبكة هنري كوريال" وتقفي أهم الجهود والنشاطات الانسانية الداعمة لصالح المناضلين الجزائريين فوق التراب الفرنسي أو الأوروبي خدمة للثورة التحريرية والقضية الجزائرية عامة، وللإجابة على هذه الاشكالية فكان لابد علينا من طرح الأسئلة الفرعية الآتي ذكرها:

1-التعريف بشخصية "هنري كوريال"؟

2-ماهي أهم الجهود الانسانية لشخصية "هنري كوريال" ضمن إطار شبكة "فرانسيس جانسون" السرية؟

3-ما هي أبرز صور الدعم لـ "شبكة هنري كوريال" لفائدة الثورة التحريرية خاصة والقضية الجزائرية عامة؟

1-التعريف بشخصية هنري كوريال:

"هنري كوريال" Henri Cureil أو كما يلقب من قبل المصريين (يونس –Yunus)، ولد في تاريخ 13 سبتمبر 1914 بالعاصمة المصرية "القاهرة"¹، إذ كان والداه يقطنان أحد الأحياء الراقية في هذه المدينة والذي كان يسمى حي "الفنانين" أو حي "الأرستقراطية المصرية" كما كان يسميه البعض الآخر²، وتشير الدراسات أيضاً أن أصول هنري كوريال تعود إلى أسرة اسبانية من جذور سفردية³، وفي ذات السياق المتصل بأصول هنري كوريال فقد أشارت الدراسات بأن عائلته قد أرغمت على الخروج والهجرة من الأندلس بعد إعلان الاسبان المسيحيين للحرب العقائدية ضد المسلمين واليهود فيها، وقد تجلى هذا الحقد الدفين بصورة واضحة بعد سقوط آخر عاصمة للمسلمين غرناطة بالأندلس سنة 1492، الذين أقاموا المحاكم العسكرية والعقائدية للتفتيش والتعذيب الجسدي والنفسي الذي كان موجهاً بالأساس للقضاء على جميع المسلمين وحتى اليهود ممن قرروا الاستقرار بهذه البلاد لعقود وسنوات طوال⁴.

وقد أشارت الأبحاث أيضاً، بأن المقام قد استقر بعائلة "هنري كوريال" في مصر بعد الحملة الفرنسية عليها سنة 1789، الشيء الذي جعل عائلة هذا الأخير تضطر إلى ممارسة مهنة الآباء والأجداد من أعمال التجارة المختلفة، وهي المهنة التي اشتهر بممارستها فئة اليهود في شتى أنحاء العالم، بعد أن مزجها اليهود مع الأرباح الربوية والقروض غير المشروعة وغيرها من الممارسات غير المشروعة، فكان أن جمعت العائلة ثروة كبيرة وأصبحت من الأسر ذوات المال في وقت وجيز نسبياً، وهو ذات الأمر الذي أشار إليه بعض الدارسين الذي نسب دافع التطور والثراء الذي حققته هذه العائلة في المدة المذكورة، إنما يعود بالدرجة الأولى لأعمال التجارة والقروض الربوية، التي تميزت بها شخصية الجد "نسيم كوريال" Nessim Curiel، هذا الذي تمكن بفضل تجارته وقروضه الكبيرة والمبالغ في نسبة أرباحها وفوائدها، من شراء العديد من الحصص والأسهم والأراضي الخصبة في مصر بعد

¹- شعبان إيدو: شبكات دعم الثورة الجزائرية في أوروبا الغربية 1957-1962، أطروحة دكتوراه، إ: محمد مجاود، قسم العلوم الانسانية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2017-2018، ص 213.

²- سعدي بزيان: فرنسيون أحرار في ثورة 1 نوفمبر 1954، ط1، دار نسيان للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 81.

³- يهود "السفردية" أو "السفارديم" هم فئة اليهود الذين هاجروا من شبه الجزيرة الايبيرية، بعد طردهم من اسبانيا سنة 1492م (بعد سقوط عاصمة المسلمين بالأندلس –غرناطة-)، وهاجروا إلى جنوب أوروبا وشمال افريقيا وبلدان الشرق الأوسط؛ ينظر. محمد قومي: دور الطائفة اليهودية بتوات في 15م-16م، رسالة ماجستير، إ: غازي الشمري، جامعة وهران، الجزائر، 2013-2014، ص 18.

⁴- خديجة دوبالي: مأساة طرد مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة: الأبعاد والتحليل، مجلة عصور الجديدة، ع23، جامعة وهران، الجزائر، أوت 2016، ص-ص 111-112.

الحملة الفرنسية عليها بسنوات قلائل، ومما سهل من مهامه هي تمتعه بخاصيتين هما: إتقانه للغة العربية، والعلاقة الوطيدة التي كانت تربط الجد "نسيم كوربال" مع أغلب المدراء والمسيرين الفاعلين في البنوك والمصارف في هذه البلاد، وهو الشيء الذي مكّنه من امتلاك الأموال الكبيرة والأراضي الشاسعة في كل من القاهرة ومنطقة الدلتا بنهر النيل.¹

أما في ما تعلق بالمشوار التعليمي والدراسي لـ "هنري كوربال"، فقد أفادت الدراسات حول سيرته أنه قد تلقى أولى معارفه التعليمية في المدارس الفرنسية التابعة للمسيحيين فيمصر، وهو الأمر الذي سمح له الانخراط في صفوف الحزب الشيوعي المصري، الذي كان أغلب المنتسبين إليه خلال هذه المرحلة من فئة اليهود وبعض الشخصيات المصرية القليلة²، ونظراً إلى المكانة الهامة التي تمتعت بها الأقليات غير المسلمة من اليهود والمسيحيين في مصر خلال هذه الفترة، فقد قررت عائلة كوربال الإحتفاظ بجنسيتها الإيطالية القديمة، من أجل تمكين أفرادها من الاستفادة من القوانين والامتيازات الضريبية، التي اختصت بها الحكومة المصرية هذه الأقليات الدينية والعرقية الأجنبية، وفي ظل هذه السمة المادية التي ميزت عائلة كوربال في التعامل مع المزايا التي منحها الدولة المصرية، فقد قرر "هنري كوربال" الحصول على الجنسية المصرية عن قناعة، مما سيجرده من الامتيازات التي فضل الكثير من اليهود والأجانب الإبقاء عليها في ظل القوانين المصرية السارية.³

وفي سنة 1925؛ وبعد الانقلاب العسكري الذي أعلنه الضباط الأحرار ضد حكم الملك فاروق في مصر، فقد نفي "هنري كوربال" والكثير من الأجانب من مصر نحو فرنسا، هذه الأخيرة التي كانت المحطة الأولى لممارسة العديد من مهامه الإنسانية الداعمة للحركات التحررية، انطلاقاً من تكوينه ضمن خلايا الحزب الشيوعي المصري، الأمر الذي كان له تأثير واضح على نشاطه وجهوده الإنسانية الداعمة للثورة الجزائرية منذ انطلاقتها، حيث كانت لهذه الشخصية مساهمات فعالة وكبيرة للنضال الجزائري في فرنسا بصفة خاصة، وذلك منذ البدايات الأولى لهذه الثورة وبخاصة ضمن شبكة جانسون السرية، التي حملت على عاتقها دعم ومساعدة المناضلين الجزائريين وقضيتهم التحريرية.⁴

وفي ذات السياق المتعلق بالشق التعليمي والدراسي لشخص هنري كوربال؛ فقد أشارت بعض الأبحاث أن أهم تحول في حياة هذا الأخير إنما هو بفضل التشجيع المستمر الذي تلقاه من صديقه الحميم "رؤول Raoul"، الذي كان يحثه على مواصلة دراسة الماركسية، بعد أن وجد فيها هذا الأخير ضالته العلمية فهي التي تمكنت بفضل الحقائق الموجودة فيها من العدالة والإخاء الظاهري من تغيير حياته رأساً على عقب، سيما بعد التحول الذي أظهره من البرجوازية إلى البروليتارية، وفي هذا الصدد فقد كتب "جيل بيرو - GillePerrault" يقول: في هذا التحول الحاصل في ملامح فكر وشخصية "هنري كوربال"، إذ نجد أن الكاتب قد نفي جملة وتفصيلاً كل التهم الموجهة إلى شخص هنري كوربال؛ في القول: "من كل الاتهامات بالخيانة التي وجهت لهنري كوربال خلال حياته، الوحيدة التي كانت مؤسسة، هي بلا شك تلك التهمة التي كان يوجهها له والده: أنت خائن لطبقتك، كان قد انتقل بالأسلحة والأمتعة إلى المعسكر الآخر...".⁵

ومن هذا المنطلق فإنه يمكننا القول؛ أن الأحداث المحيطة والمباشرة التي أحاطت بالحياة الاجتماعية والثقافية لشخصية هنري كوربال؛ قد كانت سبباً مباشراً في تحول الحياة الشخصية لـ "هنري كوربال" من حياة الثراء والبذخ إلى حياة التعاطف والانسانية

¹- شعبان إيدو: المرجع السابق، ص 213.

²- سعدي بزبان: المرجع السابق، ص 81.

³- شعبان إيدو: المرجع السابق، ص 213.

⁴- سعدي بزبان: المرجع السابق، ص 82.

⁵- شعبان إيدو: المرجع السابق، ص 214.

والتسامح، والتي تجلت صورها في أشكال مختلفة من المساعدة والدعم للفقراء والمحترجين ونصرة للضعفاء والمضطهدين من ظلم الاستبداد ونير الاستعمار.

2- الأدوار الانسانية لـ "هنري كوربال" لفائدة القضية الجزائرية ضمن شبكة فرانسيس جانسون:

كغيرها من الشبكات والجمعيات المدنية الفرنسية ذات التوجه الانساني المحض¹، تعد شبكة فرانسيس جانسون السرية، واحدة من أكبر الشبكات الفرنسية الداعمة للمشروع الثوري والتحرري المعلن عنه من قبل المناضلين الجزائريين، في حربهم ضد النظام الاستعماري الفرنسي بالجزائر، وهو الشيء الذي أدى إلى تصنيف الشبكة كشكل من أشكال التعبير السياسي عن التمرد و العصيان المدني ضد النظام القائم في هذه البلاد، حيث قام بتأسيس الشبكة السرية ذات النشاط الإنساني الوجودي² الفرنسي فرانسيس جانسون³ رفقة زوجته كوليت جانسون، هذين الزوجين اللذان أصرا على مناصرة القضايا التحررية والانسانية العادلة ودعمها إلى غاية نيل حريتها واستقلالها، وقد زادت شهرة هذين الزوجين بعد الضجة الاعلامية والدعائية التي أحدثها كتابهما الشهير الذي وصفته الأوساط الفرنسية بالقبلة التي هزت عرش الحكومة الفرنسية حسب كثير من الدارسين؛ هذا المؤلف الذي كانت له العديد من ردود الأفعال متباينة في الجزائر كما في فرنسا، فالكتاب الموسوم بـ "الجزائر خارجة عن القانون-Lalgerie hors la loi"⁴، كان من أهم الأسباب والدوافع التي ساهمت وبشكل مباشر في تأسيس الشبكة السرية لفرانسيس جانسون، هذه الشبكة التي اختارت لها الصحافة الفرنسية أن تكون نسبة إلى صاحبها ومؤسسها المناهض للسياسة الحكومية الفرنسية بالجزائر، فكانت الشبكة السرية بذلك تحت اسم: "شبكة فرانسيس جانسون"⁵.

وتتجلى أهمية هذه الشبكة في تقديم الدعم والمساعدة لمناضلي فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا بصفة خاصة، أين برزت مهامها بشكل واضح في جمع الاشتراكات والأموال والمساعدات من المهاجرين الجزائريين والفرنسيين المتعاطفين مع الثورة الجزائرية على الأراضي الفرنسية، كل ذلك إضافة إلى تهريب وتسريب الفدائيين من فرنسا وتسليحهم لدعم الثورة الجزائرية، وذلك بحسب ما تواترت الروايات عن مؤسس هذه الشبكة⁶.

¹- وحيد بوزيدي، زبير رشيد: تفاعل الجمعيات الفرنسية الحرة مع قضايا الثورة الجزائرية – Le Secours Populaire Français أنموذجاً من خلال جريدتها La Defense، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع 17، الجزائر، 2019، ص-ص 100-101.

²- هي التمسك بمبدأ الحرية الانسانية ومناهضة كل الأشكال والألوان المختلفة للاستعمار؛ ينظر: أحمد منغور: موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية 1954-1962، رسالة ماجستير، إ: بوصفصاف عبد الكريم، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2005-2006، ص 166.

³- من مواليد سنة 1922 بالجنوب الفرنسي درس وتعلم بها حتى أصبح أستاذا للفلسفة بواحدة من جامعاتها، ومع اندلاع شرارة الحرب العالمية الثانية تم ترحيله رفقة عدد كبير من الفرنسيين نحو الملاجئ الفرنسية على الأراضي الاسبانية وهناك أصيب بمرض خطير أثر على حالته الصحية والنفسية، الشيء الذي جعل السلطات الفرنسية تقوم بتحويله إلى الجزائر، وفيها وقف على حقيقة الممارسات والتجاوزات الفرنسية ضد المدنيين الجزائريين مما جعله يسعى إلى التنديد بهذه الجرائم عبر وسائله المتاحة كالكتابة في الصحف والمجلات وإقامة التجمعات تنديدا بالممارسات اللاانسانية الفرنسية ضد الجزائريين، ليتحول نضاله في سنة 1957 إلى دعم مادي للثورة الجزائرية عن طريق تأسيس شبكته السرية المعروفة باسمه؛ ينظر. ماري بيار أولوا: فرانسيس جانسون الفيلسوف المناضل – من مقاومة الاحتلال النازي لفرنسا إلى مقاومة الاحتلال الفرنسي للجزائر-، تر: مسعود حاج مسعود، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2004، ص 21 وما بعدها. كما ينظر أيضاً. عبد المجيد عمراي: جون بول سارتر والثورة الجزائرية، دار كتزة، الجزائر، د.ت، ص 141.

⁴- سليم بتمقة: الثورة الجزائرية في كتابات المثقفين الفرنسيين – سارتر أنموذجاً، مجلة المخبر، ع 11، جامعة بسكرة، الجزائر، 2015، ص 61.

⁵- شعبان إيدو: المرجع السابق، ص 193.

⁶- عتيقة مصطفى: فرانسيس جانسون من الفلسفة الوجودية إلى مناصرة الثورة الجزائرية، مجلة عصور الجديدة، ع 10، جامعة وهران، الجزائر، جويلية 2013، ص 287.

وانطلاقاً من الدوافع والأهداف الانسانية لهذه الشبكة سألنا الذكر، فقد كانت القضية الجزائرية قبلاً للكثير من الشخصيات الفرنسية والأوروبية المتعاطفة مع الثورة التحريرية الجزائرية، وبخاصة في ظل الممارسات القمعية للسلطة الاستعمارية الفرنسية ضد هذه الفئات الفرنسية والأوروبية التي قررت عن قناعة مناوئة ومناهضة السياسة الفرنسية المطبقة ضد الجزائريين¹، ومن هؤلاء نجد على سبيل المثال: فرانز فانون²، بيار شاوولي³، سكوتو، موريس أودان، أندريه ماندوز، تامسيت، هنري علاق... الخ⁴، ولا أدل على المهام الانسانية التي نهض بها شخص "هنري كوربال" ضمن عضويته في شبكة فرانسيس جانسون، من الجهود التي وقفنا عليها من صور وأشكال المساعدات المقدمة لمناضلي فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا مثل: الايواء، تحويل المناضلين، جمع التبرعات... وغيرها من الأشكال المختلفة للدعم والمساعدة الانسانية⁵.

وفي سياق متصل أيضاً؛ فإننا نجد أن الكثير من المهام الأساسية قد أوكلت لشخص المناضل الوفي "هنري كوربال" دعماً للقضية الجزائرية ومناضليها فوق الأراضي الفرنسية، من نقل الأموال التبرعات والاشتراكات المحصلة من قبل الأحرار والمتعاطفين الفرنسيين والمناضلين الجزائريين عبر الأراضي الفرنسية إلى خارج الحدود الجغرافية لفرنسا، وذلك لما تتمتع به هذه الشخصية بالتحديد من كثرة العلاقات مع الإطارات والمسيرين في البنوك والمصارف العالمية والأوروبية بصفة خاصة، وهو الأمر الذي ساهم في تسهيل وتسريع عمليات تحويل الأموال الموجبة للثورة الجزائرية، والتي كانت في أغلب مراحلها تتم على مرحلتين أساسيتين، هما:

-المرحلة الأولى: يتم فيها تحويل الأموال المحصلة من قبل المتبرعين والمشاركين في حقائب فاخرة "حملة الحقائب" من مراكز التبرع إلى مقر الجمع⁶، وفي العادة فإن هذه الحقائب كانت تحمل علامة "كريستيان دور" Christiane Dior أو كوكو شنال Chanel للتمويه وصرف انتباه رجال الشرطة الفرنسيين⁷.

-المرحلة الثانية: وهي التي يكون فيها تسليم الحقائب المعبأة بالأموال لزوجات "هنري كوربال" السيدة "روزيت كوربال"، التي تقوم بدورها بإيداع هذه الأموال في المكتب الباريسي الخاص بالبنوك السويسرية بمساعدة من القس الدومينيكي "كايلين Kaelin" صديق هنري كوربال، الذي يقوم هو الآخر بتحويل الأموال سألقة الذكر في حساب الزوجة "روزيت كوربال" عبر حسابها الخاص في البنوك السويسرية، لتنتقل الزوجة بعد ذلك مباشرة إلى العاصمة السويسرية جنيف، وتقوم هناك بسحب هذه الأموال وتسليمها لأعضاء جبهة التحرير الوطني بذات المكان⁸، وقد ظلت "روزيت كوربال" زوجة "هنري كوربال" تناضل لصالح الثورة الجزائرية من أجل تحقيق هدفها الإنساني المتمثل في مؤازرة شبكة "فرانسيس جانسون" السرية والدعم اللا مشروط للقضية

¹- جان بول سارتر: عارنا في الجزائر، تر: سهيل ادريس، دار الآداب البيروتية، لبنان، دت، ص 57.

²- محمد الميلي: فرانز فانون والثورة الجزائرية، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص-ص 25-26.

³- محمد عباس: مثقفون في ركاب الثورة... في كواليس التاريخ، دار هومه، الجزائر، 2004، ص 125.

⁴- سليم بتقة: المرجع السابق، ص 60.

⁵- خالد بوهند: النخبة المثقفة الفرنسية المناهضة للاستعمار، مجلة الخلدونية للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ع06، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، 2013، ص 57.

⁶- أطلق عليهم هذا المصطلح نسبة الى الحقائب التي كانوا يحملونها، والتي كانت في أغلبها عبارة عن مساعدات موجهة لفائدة مناضلي جبهة التحرير الوطني واللجان الجزائرية الموزعين عبر المناطق الحدودية للبلدين الشقيقين تونس والمغرب، وقد كان مصدر هذه الإعانات من الجزائريين القاطنين بفرنسا وكذا بعض الأحرار الفرنسيين المتعاطفين مع القضية الجزائرية. ينظر: ماري بيار أولوا، المصدر السابق، ص 120.

⁷- شعبان إيدو: المرجع السابق، ص 206.

⁸- شعبان إيدو: المرجع نفسه، ص 207.

الجزائرية، وقد واصلت مهامها إلى غاية اعتقالها من قبل السلطات الفرنسية في سويسرا بتاريخ 17 أكتوبر 1960 ليتم تحويلها مباشرة نحو تونس، وابعادها عن مسرح نضالها الانساني لصالح القضية الجزائرية والثورة التحريرية.¹

ومما لاشك فيه؛ أن مهمة جمع الأموال الموجهة لفائدة مناضلي وقادة جبهة التحرير الوطني بفرنسا وباقي الأراضي الأوربية، كانت واحدة من أصعب وأعقد المهام التي ألقيت على عاتق أعضاء شبكة فرانسيس جانسون السرية، والتي ساهمت بجهودها ونضالاتها في تحويل هذه الأموال من فرنسا إلى باقي الدول الأوربية وخاصة سويسرا، سعيا من هذه الشبكة إلى ضمان وصول هذه الأموال والمساعدات وحتى الأسلحة كذلك؛ إلى قادة الثورة الجزائرية لتوزيعها على المتضررين من المدنيين بصفة مستعجلة ثم على باقي الفئات الأخرى من الجزائريين، وذلك ما أقر به المسؤول الأول عن هذه الشبكة "فرانسيس جانسون" في تصريح له جاء فيه: "نعم فالأسلحة الممولة، قد تكون موجهة لطعن الجيش الفرنسي من الخلف"²، وفي ذلك قناعة حقيقية من الفيلسوف فرانسيس جانسون بإنسانية وعدالة القضية الجزائرية وضرورة مساندتها بجميع الأشكال الممكنة لذلك.

3- صور وأشكال دعم شبكة "هنري كوريال Henri Cureil" للقضية الجزائرية:

في الوقت الذي نجد فيه أن العديد من الدراسات؛ قد تطرقت بشكل أو بآخر إلى جهود شبكة فرانسيس جانسون في دعمها ومساندتها للثورة التحريرية، انطلاقا من تكوينها لشبكات وخلايا داعمة للقضية الجزائرية من الأراضي الفرنسية والأوربية عامة، وفي ذات السياق فإننا نجد أن الدراسات التي عالجت جهود شبكة "هنري كوريال" الانسانية؛ تبقى قليلة وقليلة جداً بل وتكاد تكون منعدمة في حال مقارنتها مع سابقتها من الدراسات المخصصة لشبكة فرانسيس جانسون، ومن هذا المنطلق فقد ارتأينا في هذه الجزئية من هذا الموضوع، توجيه مجهر البحث نحو جهود الدعم والمساندة والمؤازرة التي قدمتها "شبكة هنري كوريال Henri Cureil" لصالح الثورة التحريرية الجزائرية انطلاقا من الأراضي الفرنسية والأوربية على حد سواء.

لقد كان "هنري كوريال"؛ وكغيره من باقي الأحرار الفرنسيين والأوروبيين ينشط في السرية لدعم الثورة الجزائرية ضمن شبكة فرانسيس جانسون، لكن اكتشاف شبكة هذا الأخير من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية في منطقة باريس سنة 1960³، وهو الحدث الذي أصاب الشبكة باختلال كبير في مهامها وتنظيمها وخاصة ما تعلق منها بعمليات جمع الاشتراكات والأموال الخاصة بالقضية الجزائرية، وبذل الوسع من أجل نقلها خارج الحدود الجغرافية الفرنسية، وهو السبب الذي جعل قادة جبهة التحرير الوطني بفيدرالية فرنسا يسندون مهمة نقل أموال التبرعات والهيئات الممنوحة لهؤلاء المناضلين إلى شخص من نفس الشبكة السابقة ويتعلق الأمر بشخص "هنري كوريال"، الذي أضفى منذ هذا التاريخ ناشطا ضمن شبكة دعم ومؤازرة للثورة تسمى بشبكة "هنري كوريال" الانسانية.⁴

حيث وبعد دخول "فرانسيس جانسون" إلى السجن مباشرة، نهض هنري كوريال بالمهام التي كانت ملقاة على المسير السابق لشبكة الدعم السابقة الذكر، من مثل مهام نقل أموال المساعدات والاشتراكات الموجهة للثورة التحريرية وتحويلها نحو البلدان الأوربية، ثم إيصالها في مرحلة ثانية إلى المناضلين الجزائريين في كل من تونس أو بلدان أخرى صديقة، إذ نجد أنه وفي

¹- سعدي بزبان: المرجع السابق، ص 86.

²- عبد المجيد عمrani: المرجع السابق، ص 63.

³- سعدي بزبان: المرجع السابق، ص 52.

⁴- شعبان إيدو: المرجع السابق، ص 217.

خلال هذه المرحلة التي تقلد فيها "هنري كوريال" مهمة الاشراف على نقل وتحويل الأموال التابعة للثورة، قد قام هذا الأخير بإسناد مهام نقل الأموال خارج الحدود الجغرافية الفرنسية إلى المتعاطف "جورج ماتي"، في الحين الذي تم اسناد مهام نقل وإخراج الأموال من فرنسا وإلى باقي الدول الأوروبية إلى "جاك فييني"، والذي ساعده في ذلك "جيرارد شاليناند"، كما تم تكليف نفس الثنائي كذلك بمهمة أكثر خطراً والتي تمثلت في تأمين عمليات عبور الأسلحة، والسهر على تمريرها بأمان من فرنسا إلى باقي الدول الأوروبية مثل: ألمانيا، بلجيكا، سويسرا، لكسمبورغ... الخ.¹

وعليه فإننا نستطيع القول؛ أن شبكة هنري كوريال التي أسست من أجل مهام مساعدة ودعم الثورة التحريرية الجزائرية، إنما هي امتداد طبيعي لشبكة فرانسيس جانسون السرية، التي بعد اكتشافها مباشرة من قبل السلطات الفرنسية سنة 1960، كان تحولها بصفة آلية نحو شبكة "هنري كوريال" لمساعدة ومؤازرة الثورة الجزائرية من خلال جهود كبيرة لصالح القضية الجزائرية وجميع المناضلين الجزائريين مثل: الدعاية، الاعلام، تحويل الأموال، الدعم، إيواء المناضلين الجزائريين فوق الأراضي الفرنسية والأوروبية... الخ.

وغير ذلك من مهام الدعم والمساندة والجهود الانسانية التي حظيت بها القضية الجزائرية عامة والمناضلون الجزائريون في القارة الأوروبية خاصة؛ والتي نهض بها أعداد كثر من الفرنسيين والأوروبيين من الأحرار والديمقراطيين المتعاطفين دعماً منهم للثورة الجزائرية وقضيتها التحريرية، ورفضاً لهم بالمقابل للسياسة الاستعمارية الفرنسية وأساليبها المنتهجة ضد المدنيين المسلمين على الأرض الجزائرية.

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة فإننا نستنتج أن:

- إنسانية الأفراد ومناصرتهم للفكر التحرري والاستقلالي، هي فكر إنساني يتعالى بأبعاده وأفقه؛ عن متغيرات: الدين أو الجنس أو اللغة...، إذ نجد أن هنري كوريال وبالرغم من أصوله وانتماءاته اليهودية، إلا أنه قد أثر عن قناعة مناصرة القضية الجزائرية وثورتها التحريرية، انطلاقاً من اقتناعه بإنسانية وعدالة هذه القضية وادراكاً من هذا الأخير للظلم والجور الذي تمارسه السلطة الاستعمارية الفرنسية ضد الجزائريين والجزائريات.

- الوقوف عند حجم الجهود الانسانية التي بذلت من قبل الأحرار والديمقراطيين الفرنسيين والأوروبيين بصفة عامة، انطلاقاً من جهودهم في دعم القضية الجزائرية عبر أكبر شبكة فرنسية وأوروبية لدعم الثورة الجزائرية وهي شبكة فرانسيس جانسون السرية، والتي كان لها واضح الأثر في تحول كثير من مواقف هؤلاء الفرنسيين والأوروبيين من مناوئين للقضية الجزائرية إلى مناصرين أوفياء للثورة التحريرية الجزائرية.

- تعتبر شبكة هنري كوريال لدعم ومساندة الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، عبارة عن امتداد صريح لشبكة فرانسيس جانسون السرية، هذه الأخيرة التي أظهرت دعماً ومناصرة كبيرة للقضية الجزائرية وثورتها التحريرية، إلى الحين الذي تم

¹ - شعبان إيدو: المرجع السابق، ص 218.

اكتشافها من قبل السلطات الفرنسية في عام 1960، الشيء الذي كان سبباً مباشراً في تحول مهام الدعم والمساندة للثورة الجزائرية من شبكة فرانسيس جانسون إلى شبكة هنري كوريال.

قائمة المراجع:

الكتب:

1. أولوا ماري بيار: فرانسيس جانسون الفيلسوف المناضل – من مقاومة الاحتلال النازي لفرنسا إلى مقاومة الاحتلال الفرنسي للجزائر-، تر: مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004.
2. بزبان سعدي: فرنسيون أحرار في ثورة 1 نوفمبر 1954، ط1، دار نسيبان للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
3. عمراني عبد المجيد: جون بول ساتر والثورة الجزائرية، دار كتزة، الجزائر، د.ت.
4. ساتر جان بول: عارنا في الجزائر، تر: سهيل ادريس، دار الآداب البيروتية، لبنان، د.ت.
5. المليي محمد: فرانتزانون والثورة الجزائرية، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
6. عباس محمد: مثقفون في ركاب الثورة... في كواليس التاريخ، دار هومه، الجزائر، 2004.

المقالات:

7. بوزيدي وحيد، زبير رشيد: تفاعل الجمعيات الفرنسية الحرة مع قضايا الثورة الجزائرية – LeSecours Populaire Français – أنموذجاً من خلال جريدتها La Defense، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع 17، الجزائر، 2019.
8. بتقة سليم: الثورة الجزائرية في كتابات المثقفين الفرنسيين – ساتر أنموذجاً-، مجلة المخبر، ع 11، جامعة بسكرة، الجزائر، 2015.
9. بوهند خالد: النخبة المثقفة الفرنسية المناهضة للاستعمار، مجلة الخلدونية للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ع 06، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، 2013.
10. مصطفى عتيقة: فرانسيس جانسون من الفلسفة الوجودية إلى مناصرة الثورة الجزائرية، مجلة عصور الجديدة، ع 10، جامعة وهران، الجزائر، جويلية 2013.
11. دويالي خديجة: مأساة طرد مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة: الأبعاد والتحليل، مجلة عصور الجديدة، ع 23، جامعة وهران، الجزائر، أوت 2016.

الرسائل:

12. إيدو شعبان: شبكات دعم الثورة الجزائرية في أوروبا الغربية 1957-1962، أطروحة دكتوراه، إ: محمد مجاود، قسم العلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2017-2018.

13. منغور أحمد: موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية 1954-1962، رسالة ماجستير، إ: بوصفصاف عبد الكريم، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2005-2006.
14. قومي محمد: دور الطائفة اليهودية بتوات ق 15م-16م، رسالة ماجستير، إ: غازي الشمري، جامعة وهران، الجزائر، 2013-2014.

مسعودة الوزكيتية: امرأة وراء عظمة أحمد المنصور السعدي

Masaouda Alwzkitiya: A woman behind the greatness of Ahmed Almansour Alsaadi.

ادريس أقبوش، جامعة ابن طفيل، المغرب

AKABOUCHE IDRIS, Université Ibn Tofail, Maroc

ملخص:

تعتبر دراسة العنصر النسوي بالمغرب من أهم الدراسات التي ما تزال تشكو من نقص كبير في التراكم التاريخي بشكل خاص والتراكم المعرفي بشكل عام، فهو مجال لا يزال يكره يحتاج إلى دراسات وأبحاث تقدم لمحة عن العنصر النسوي بالمغرب وما قام به من أدوار على مر التاريخ. ومن هنا تأتي أهمية هذه الورقة التي تهدف إلى التعريف بمسعودة الوزكيتية ودورها السياسي في عهد ابنها أحمد المنصور الذهبي، فقد حظيت لرجاحة عقلها بمكانة خاصة شجعتها على القيام بأعمال اجتماعية ساهمت في تنمية وإثراء مجالات مختلفة، ومنها المجال الديني حيث قامت بتحبيس أملاكها عظيمة لصالح المسجد الجامع بمراكش، وأعطت الدليل على فعالية المرأة المغربية وما تمتاز به من حنكة ودهاء. كما كانت القدوة لما يمكن أن تفعله نساء المنطقة كلما أتاحت لهن الفرصة، لأن التربة التي أنبتت شخصية مسعودة الوزكيتية أنبتت شخصيات أخرى وعددهن كثير، لكن دخلن غياهب الصمت، وحكم عليهن التاريخ الرسمي بالإعدام السياسي.

الكلمات المفتاحية: مسعودة الوزكيتية، العنصر النسوي، الحياة السياسية، الحياة الاجتماعية، الحياة الدينية.

Abstract:

The study of the feminist component in Morocco is considered to be one of the most important studies that still suffer from a great lack of historical accumulation in particular and knowledge accumulation in general, it is an area that is still fresh and needs studies and research to provide a glimpse into the feminist component in Morocco and its roles throughout history. Hence the importance of this paper, which aims to define Masaouda Alwzkitiya and her political role in the era of her son Ahmed Almansour Aldahbi, her special intelligencet encouraged her to carry out social activities that contributed to the development and enrichment of various fields, including the religious field, where she dedicated more properties for the Great Mosque in Marrakech, she proved the effectiveness of the Moroccan Woman and her skillfulness and cunning as well, as she was the model for other women in the region who can seize the opportunity whenever, because the background where Masaouda grown contributed to the appearance of more great women, who were ignored by the official history.

Key words: Masaouda Alwzkitiya, The female component, Political life, Social life, Religious life.

مقدمة:

إن تاريخ المغرب مليء بأعلام وأقطاب وشخصيات بارزة طرحت على الساحة المغربية وخلدت أمجادا في كل نواحي الحياة، وتركت بصماتها الواضحة في شتى الميادين، يفتخر بها التاريخ المغربي والإنسان المغربي، لأنها تنم عن عبقرية فذة ونبوغ ساطع، وتدل بما لا يدع مجالاً للشك، عن المشاركة الفعالة في بناء صرح التراث البشري، وفي هذا الصدد يمكن القول بأن المرأة المغربية لعبت دورا بارزا في المجتمع في مختلف مراحل التاريخ، ولكن تاريخها لا زال غير معروفا، وذلك لسببين اثنين: قلة المصادر التي تهتم بدور المرأة وإهمال معظمها لدور المرأة في المجتمع الرجولي، فالاستغرافية العربية لم تهتم بدور المرأة في تاريخ المغرب، هذا الدور الذي كان حاسما في كثير من المناسبات التاريخية، هذا النقص في الكتابات التاريخية العربية التي تعرضت لتاريخ المغرب ابتداء من القرون 16، 17، 18 م، والتي جاء فيها دور المرأة مرتبنا دائما بالأب أو الزوج أو الابن. لقد انتهكت هذه الآراء ماضي المرأة المغربية، وأجحفت ما قامت به من أعمال، مما حثنا وبإصرار على التنقيب في التاريخ الاجتماعي المغربي الحديث والقيام بحفريات علمية لتشخيص الظاهرة الاجتماعية لهذا العنصر الموجود، المنسي، وللكشف عن فعاليتها في ميادين الحياة بما فيها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والدينية...

1- تعريف مسعودة الوزكيتية ومميزاتها:

1-1- تعريفها:

الجرة عودة أو مسعودة الوزكيتية هي أم المؤمنين على لسان عبد الهادي التازي⁽¹⁾، بنت الشيخ الأجل أبي العباس أحمد بن عبد الوزكيتي الورداني، وحسب ما ذكره الناصري فهي أمازيغية.

لقد تزوج بها محمد المهدي الملقب بأمغار أي الشيخ وأنجبت ولدا اسمه أحمد المنصور الذهبي. وما نعرف عنها حسب المصادر والمراجع⁽²⁾، أنها كانت صالحة وناسكة⁽³⁾ وقوامه⁽⁴⁾. أما لفظ الجرة فقد تعني المرأة التي تتوفر على حريتها مقابل الأمة وكانت الجرة في الحريم تعني الزوجة الشرعية كما يرتبط هذا اللفظ (الجرة) أيضا ارتباطا وثيقا بمفهوم الشرف والنخبة والفئة العليا، كما يتضمن كذلك معنى المقاومة. وكل هذه المعاني كانت حاضرة في تلك الشخصية، وفيما يخص لفظ عودة فهو مخفف على لسان الأمازيغ.

ولابد أن نشير في هذا النطاق إلى ما ذكره المؤرخون من أن السيدة مسعودة الوزكيتية هذه هي التي صحبت ابنها أحمد وأخاه عبد الملك إلى القسطنطينية العظمى وهي التي أقنعت السلطان سليم بمساعدة الأخوين على تملك المغرب⁽⁵⁾، وقد توفيت ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من محرم عام 1000هـ/1591م⁽⁶⁾.

1- التازي (عبد الهادي)، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992، الطبعة الأولى، ص، 230.

2- علي حسن (إبراهيم)، أحمد المنصور الذهبي، دار الثقافة، 1987، الطبعة الأولى، ص، 167.

3- ناسكة: المتعبدة الزاهدة.

4- القوامه: تكثر من إقامة الصلاة.

5- التازي (عبد الهادي)، المرجع السابق، ص، 232.

6- علي حسن (إبراهيم)، المرجع السابق، ص، 160.

1-2- مميزاتها الشخصية:

أ- على المستوى الأخلاقي والفكري:

امرأة صالحة حريصة على اقتناء المفاهيم والخير، ومن محاسنها فهي الصالحة الصومامة القواممة الكثيرة الأوراد المشفقة على العباد، والسعي في الخيرات وأعمال البر والإيثار المتسمة بديوان الأولياء، الموفقة بفضل الله لأعمال الصالحين الأتقياء، والمتفضلة على نساء أهل زمانها، لكونها معروفة بسداد النظر وإصابة الرأي⁽¹⁾. وهذا ما جعل أحمد المنصور يشاورها في كل أموره رغم عظمة ملكه وضخامة قدره فهو أطوع الناس إليها، إذ يأتيها إلى منزلها في كل يوم ويقبل يدها ويفاوضها في أموره ولا ينصرف عنها إلا برضاها تماما، واتفق على هذا كل من خدمها، ودخل منزلها من النساء، وما كلمته قط في مسألة إلا قضاها، ومن هنا يمكن القول بأن برها أعظم من أن أحصيه وأدخله تحت حصر، ولو كانت الأشجار أقلاما ومدادي البحر ولذلك كانت سندنا معنويا وأخلاقيا لأحمد المنصور الذهبي⁽²⁾. وإذا كان يقال أن الجيش يد السلطان، والدواوين ريشته والشرطة عيناه، والوارث مستقبله، فإن مسعودة الوزكيتية كان لها دور كبير في حماية ظهر السلطان وحل الكثير من مستعصيات الأمور في الخفاء، واستمالة القلوب وتقريب النافرين وإبعاد الخطيرين وكشف المتآمرين، وهذا راجع إلى المعرفة الصائبة في شتى المجالات.

ب- على مستوى اللباس (قراءة في الصورة):



لا لة عودة كما تخيلها رسام عن الوثائق الملكية

أحمد
18

- الصورة رسما وليس وضعة تستعيد حالة إنسانية مفردة. وهناك فرق كبير بين الرسم والحالة الإنسانية.

- الرسم تحقيق لنماذج تستعيد صورة إيديولوجية عن الشيء الممثل. إن الرسم لا يلتقط المفرد (هذه المرأة هنا والآن أمام العدسة)، بل يرسم صورة تتحقق في خلالها كل النساء المنتميات إلى دائرة ثقافية بعينها، وهو ما يعني أن الأمر يتعلق بتصنيف قائم على أحكام إيديولوجية وثقافية بل عرقية أحيانا.

¹- المقرري (أحمد بن محمد)، روضة الأس، العاطرة الأنفاس في ذكر من لقبته من أعلام الحاضرتين مراكش وفاس، المطبعة الملكية، الرباط، 1983، الطبعة الثانية، ص، 64.

²- ابن القاضي (أحمد بن محمد ابن أبي العافية المكناسي)، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، تحقيق محمد زروق، الجزء الأول، مكتبة المعارف، الرباط، 1986، ص، 516.

- الصورة مرتبطة بالمفرد، إن إنتاج الدلالة داخله يعد إلى جزء منه إلى الواقف، إننا نبحث عن المفرد في الصورة، أما النموذج فيأتي به الرسم باعتباره دالة على مجموع الثقافي لا على النسخة المخصصة.

-استنادا إلى هذه الملاحظات يمكن البحث عن الدلالات الممكنة أو بعضها على الأقل في الصورة. فهي تزخر بدلالات مسكوكة الغاية منها تجسيد رؤيا لنظام الحكم ولطبيعة العلاقات الاجتماعية بما فيها العلاقة بين رجل وامرأة.

1-الوضعية Pose: دالة على موقف يمزج بين إكراهات الوضعية الأمامية حيث تستمد الصورة وجودها من الإمكانية التي توفرها للمشاهد في أن "يتعرف" على الموضوع الممثل في كليتها، ولكنه يستثني العينين، ليتمرر خصائص الجانبية حيث تناسب العين على الصورة وتلتقط الأساسيون دون أن يأسرها شيء ما، وتلك طبيعة النموذج في كل الحالات: إنه كلي ومطواع ويكشف ومع ذلك يرسم على وجه الصورة مسحة من الحياد.



وهذا ما يبدو من خلال حضور العينين في الصورة. فصاحب الرسم لا يلتقط دلالة بعينها بل يرسم صورة لعينين يتوجهان إلى أفق خرجا مدار العين المشاهدة، إن العين المشاهدة تتأمل وترسم خارطة للحنان أو الشوق أو الإعجاب دون أن ترد العينان المصورتان. إنهما خارج الحكم وداخله في الوقت ذاته، خارجه لأنها لا تقول الاستفزاز والتوسل أو الدعوة إلى المشاركة، ولكنهما داخل الحكم، فالمتفرج يحكم استنادا إلى خصائص يعرفها من قبل: عيون العربية المسلمة لهما الخصائص التالية...إنه حكم بدون أية قيمة موضوعية، ولكنه يندرج ضمن التيمات الاجتماعية التي تبحث عن الهوية في كل شيء.

2- الصورة دالة على الجدية والوقار الذي يستدعيه كل نموذج:



131

العقيق: وفي هذا العقيق نصادف حضور ملامح أمازيغية بشكل دقيق كما نلاحظ أيضا حضور الفستان من ثوب الحرير وربطه إلى عنق الصدر.



حال الكتفين: زوايا مستقيمة.

حالة اليدين: مضمومتين إلى الصدر تذكير بوضع الصلاة أو بوضع الوقوف أمام سيد أو مسؤول كبير.

وفي الحالتين معا إنهما دالتين على الطاعة والخضوع.

إنها تذكير بوضع المرأة بصفتها كائنا تابعا كما تريد ذلك الإيديولوجية الذكورية.

التسبيح: وهذا يتضمن دلالة دينية دالة على تشبعها بالتعب.



الوضع الثالث: يشير إلى العقد الذي يزين رأس المرأة وهو مزيج بين:

- أداة زينة تذكر بميل المرأة إلى الذهب والتجمل.
 - أداة تصنيف أولي يشير إلى تبعية المرأة باعتبارها موضوعاً للزينة المعدة للرجل.
 - أداة ضبط سياسي من حيث إحالة العقد على ما يشبه التاج، وهي إحالة على نظم ملكي، يذكر من حيث الاشتغال بتيمة الحريم كما تداولتها كتب الأقدمين، وكما تتحقق حالياً بأشكال أخرى.
- 2- دورها في الحياة الاجتماعية:

إن الحديث عن تلك الشخصية (مسعودة الوزكيتية) وما قامت به من أفعال اجتماعية يتضح لنا بأن أفعال برها لا تحصى ولكن سنقتصر الحديث على البعض منها:

2-1- المسجد الجامع بباب دكالة بمراكش:

يعتبر هذا المسجد من أهم المساجد في العصر السعودي، في كل من مراكش أو فاس على السواء، ومما زاد في أهميته أن أم المنصور أمدته بمكتبة عظيمة، أوقفت عليها جملة وافرة من الكتب العلمية. وتنافس على إهداء هذه الكتب العلمية إلى هذه المكتبة كل من أحمد المنصور، وأبنائه وأحفاده، وجملة من العلماء والمعنيين، ومن المخطوطات الباقية من هذه المكتبة اليوم في المكتبة العامة بمراكش المخطوطات التي تحمل أرقام: 64 و 112 و 136⁽¹⁾.

¹- ابن القاضي (أحمد)، م.س، ص، 257.

2-1-1 تاريخ بناء المسجد:

لقد تضرّبت الروايات حول تاريخ بناء المسجد، فالأفراني يقول بأنه تم تشييد المسجد عام 1557/965م⁽¹⁾، بينما يذكر نص ابن القاضي (المنتقى) الذي أورده السلاوي تاريخ 995هـ/1586م وهكذا نجد أنفسنا أمام تاريخين مختلفين تفصل بينهما مدة ثلاثين عاما كاملة.

ومن المعروف أن الحرة للامسعودة الوزكيتية أنجبت ولدها أحمد المنصور بفاس سنة 956هـ، وقد ولى الخلافة بعد واقعة وادي المخازن سنة 986هـ وإذا نظرنا الآن إلى تاريخ ولادة المنصور السعدي سنة 956هـ باعتبارها أحد سنوات الحمل بالنسبة للسيدة للامسعودة، فإنه يبدو ظاهر الأمر أن التاريخ الذي أورده الأفراني لتأسيس المسجد يكاد يكون مقبولا على ضوء قصة الحمل والوحم ورغبة الحرة للامسعودة في التكفير عن ذلك بعمل الخير وبناء المسجد الجامع. ومع هذا فإننا لا نقبل الأخذ بتاريخ الأفراني ونفضل التاريخ الذي نقله صاحب الاستقصا لعدة أسباب.

وأول هذه الأسباب التي تجعلنا نستبعد سنة 965هـ باعتبارها غير ملائمة لتأسيس مثل ذلك المسجد الجامع ما رواه المؤرخون من أنه (في سنة 965هـ كان بالمغرب وباء عظيم وفناء الرجال)، وكذلك عدم رواج الفلاحة والاقتصاد وتوفر الصناعات المهرة. ومن جهة أخرى فقد واجب علينا النظر في ظروف وأحوال الحرة للامسعودة الاجتماعية والاقتصادية التي تساعدها على مواجهة نفقات بناء مسجد جامع، بالإضافة إلى النظر في ظروف وأحوال ملوك الأشراف السعديين فيما بين سنتي 965هـ-995هـ.

إن تلك الظروف التاريخية ابتداء من 965هـ إلى عام 986هـ توضح لنا أن الحرة للامسعودة الوزكيتية لم يكن لها من الاستقرار بمراكش ولا المال والإمكانات اللازمة لبناء مسجد جامع على هذا النحو قبل أن يستقر القرار لولدها المنصور السعدي على كرسي الملك سنة 986هـ وتدفق النفائس والأموال عليه.

ولعل تلك الظروف التي ذكرناها تساعدنا على قبول رواية ابن القاضي التي نقلها صاحب الاستقصا بكونها شيدت المسجد الجامع المذكور سنة 995هـ.

2-1-2 الدوافع التي أدت إلى بناء هذا المسجد:

يورد الناصري قصة طريفة لبنائه إذ يؤكد بأن العامة تزعم أنها بنت المسجد المذكور كفارة لما انتهكته من حرمة رمضان، وذلك أنها دخلت بستانا من بساتين قصورها وهي في حالة الوحم فرأت به خوفا ورمانا فتناولتهما وأكلت منهما في نهار رمضان، ثم ندمت على ما صدر منها، وفعلت أفعالا كثيرة من باب البر رجاء أن يتجاوز الله عنها، ومنها الجامع المذكور ولا زال النساء والصببيان يسجعون بقصبتها إلى الآن فيقولون عودة أكلت رمضان بالخوخ والرمان، في أسجاع غير هذه ولفظ عودة مخفف من مسعودة على طريقة الأمازيغ⁽²⁾.

¹- الأفراني (محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله)، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشادلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1988، الطبعة الأولى، ص، 160.

²- الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ الناصري، الجزء الخامس، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1995، ص، 118.

2-1-3 تخطيط وعمارة المسجد:

هذا المسجد عبارة عن بيت للصلاة يشتمل على ثلاث قببات في البلاطة الوسطى، أحدها وسط البلاطة والأخرى في طرفيها، وكل من بوابات الجامع يحتوي على دهليز تعلوه قبة. وتوجد به عدة أشكال من العقود موزعة بين أنحاء المسجد، وهي تضيء عليه مزيدا من الروعة ويشتمل كذلك على سبع بلاطات وأربعة أساكيب. وصحن المسجد يكاد يكون مربعاً (29×30 متراً)، وتحيط به أروقة يعلو الرواق الداخلي منها قبتان، ويعتبر تعدد القببات تطويراً للتصميم الموحد، إذ نجد القببات تعلو البوابات أيضاً وتبلغ مساحة الفناء (36×38 متراً)⁽¹⁾. وكسائر الجوامع التي شيدها السعديون فإن جامع باب دكالة خصصت له المؤسسة عدة أوقاف وجهزته بعدد من الخزانات الملحقة فضلاً عن الكراسي العلمية.

2-1-4 أهم الأوقاف التي قامت بتحسيسها عليه:

ارتبط نظام تطور الوقف، أو الحبس كما يدعى بالمغرب، بالتطور السياسي، فالوقف أو الحبس يدر عائداً هامة حينما يكون هناك استقرار سياسي واهتمام بتنظيم إدارة الوقف واستغلاله، ومن هنا يمكن القول بأن موارد الأحباس التي توقف على مساجد المدينة، يجب صرفها بالدرجة الأولى في مصالح المسجد الأعظم، وما ينفق في مصالح المساجد الأخرى حسب ترتيب كثرة من يؤمها من المسلمين⁽²⁾. وفي هذا النطاق يمكن الحديث على أن مسعودة الوزكيتية أوقفت على هذا المسجد أوقافاً عظيمة، وذلك لوجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم، وقامت بتحسيس سبعين حانوتاً غير نصف حانوت الواجبة لها في نصفها من القيسارية المشتركة بينها وبين مساكن المارستان المخترعة لها وسط سوق الحضرة المراكشية. وجميع هذه المنافع جعلته حبساً مؤيداً، ووقفاً مخلداً، إضافة إلى إمداده بعين الماء لإسباغ الطهور وإرواء الظماء⁽³⁾.

وعلاوة على ما سبق ذكره فلا يكاد يخلو مسجد كبير في أية مدينة مغربية من مكتبة عامة تشتمل زيادة على مصاحف القرآن الكريم على كتب قليلة أو كثيرة من العلوم الدينية واللغوية وغيرها، وتفتح هذه المكتبات في وجه عموم المستفيدين من العلماء والطلبة للقراءة أو المقابلة داخل الحرم المتصل بغرفة الكتب أو في البلاط المتصل بها من المسجد، وذلك في أوقات معينة⁽⁴⁾، وهذا ما دفع مسعودة الوزكيتية إلى تأسيس مكتبة جامع الحرة بمراكش عام 995هـ/1587م، بنتها في قبلة الجامع الذي شيدهته بباب دكالة وأوقفت عليها جملة وافرة من الكتب العلمية⁽⁵⁾.

2-2 بناء جسر على وادي أم الربيع:

أم الربيع الذي ينبع من الأطلس المتوسط ويخترق سهول تادلا ودكالة وتامسنا ويصب في المحيط الأطلسي على مقربة من أسوار مدينة أزموور. كان الفيضان الذي يحدث بهذا النهر شتاء يقتضي إنشاء ممرات عائمة على قرب منتفخة يمر عليها السكان من ضفة إلى أخرى. وفي هذا النهر يصطاد سمك "الشابل" الذي يملح ويجفف حيث كان يصدر إلى البرتغال قبل أن يستعيد

¹- حركات (إبراهيم)، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، دار الرشاد الحديث، الدار البيضاء، 1987، ص، 310.

²- نفس المرجع، ص، 193.

³- ابن القاضي (أحمد)، م.س، ص، 258-259.

⁴- حجي (محمد)، الحياة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، مطبعة فضالة، 1977، ص، 184.

⁵- نفس المرجع، ص، 185.

السعديون أزمور. وهذا ما أدى بها إلى بناء قنطرة على وادي أن الربيع في طريق مراكش، وتدعى قنطرة حواتة، وقد أنجزت سنة 1591م⁽¹⁾.

2-3 دورها في عملية النفاير:

إذا سمعت "الزواكة" في موعد الإفطار فاعلم أنك في مراكش. وإذا سمعت "النفار" قبيل آذان الفجر فاعلم أنك في مراكش، والحكاية تقول إن صعود النفايرية للمآذن لإيقاظ الناس لتناول وجبة السحور يرجع للعهد السعدي. حيث أم المنصور الذهبي جعلت النفايرية يقومون بالدعوات الصالحة لها ويطلبوا من الله أن يغفر لها بعد أن أفطرت في رمضان عمدا، لذلك نفهم لماذا يقول النفايري "عودة كالت رمضان بالخوخ والرمان اغفر لها يا رحمان"⁽²⁾.

في كل رمضان وبعد كل صلاة تراويح في مسجد الكتبية الشهير يعلو صوت الغيطة عاليا ليعزف بها مقاطع روحية ترجع بهواتها إلى عهد السعديين وإلى عهد من فطرت عمدا وأرادت أن يغفر لها الرحمان. وحسب ما قيل فإنها كانت تحبس ما تملكه من ذهبها الخالص لفائدة النفايرية على أساس أن يقوموا بالدعوات الصالحة لها. لذلك فإن النفايري يقول على إيقاعات النفار ما يلي:

عودة كالا رمضان

بالخوخ والرمان

اغفر لها يا رحمان⁽³⁾.

خلاصة:

وفي الختام يمكن القول بأنني لم أكن أقصد بسرد هذا التاريخ إلى تشریح جثة فانية بهدف الاستطلاع والاسترواح، ولكنني كنت أرجو من وراء هذه العملية أن أذكر الذين يستفيدون من التجارب بأنه ليس في إمكاننا أن نتجاهل أو نغض الطرف عن الدور البارز للمرأة في بناء الحضارة الإنسانية. فمن خلال ما تجمع لدينا من حقائق اتضح أن مغربيات التاريخ الحديث لم تكن عاجزات أو متهاونات، بل كانت بعضهن في مستوى الأحداث التاريخية، فكشفن عن وعيهم وساهمن مساهمة بارزة في الميدان السياسي والاقتصادي، وما قامت به مسعودة الوزكيتية خير دليل على ذلك، ومن هنا يمكن القول بأن ما بلغته المرأة اليوم وتبلغه في أيامها القادمة يرجع إلى أولئك المتدمات اللاتي على كواهلهن توالى الخطوات وتسلسلت الحلقات.

قائمة المراجع:

1. ابن القاضي (أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي)، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، تحقيق محمد زروق، الجزء الأول، مكتبة الرباط، 1986.
2. الأفراني (محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله)، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشادلي، مطبعة النجاح الجديد، الدار البيضاء، 1988، الطبعة الأولى.

¹- حركات (إبراهيم)، المرجع السابق، ص، 307.

²-www.almarrakchia.net.

³-نقلا عن:www.almarrakchia.net.

3. التازي (عبد الهادي)، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992، الطبعة الأولى.
4. المقري (أحمد بن محمد)، روضة الأس، العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحاضرتين مراكش وفاس، المطبعة الملكية، الرباط، 1983، الطبعة الثانية.
5. الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ الناصري، الجزء الخامس، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955.
6. حجي (محمد)، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، مطبعة فضالة، المحمدية، 1977.
7. حركات (إبراهيم)، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، دار الرشاد الحديث، الدار البيضاء، 1987.
8. علي حسن إبراهيم، أحمد المنصور الذهبي، دار الثقافة، 1987، الطبعة الأولى.
9. مدغري رشيدة علوي، شخصيات نسائية عالمة وتمثلاتها بالمغرب والأندلس، معجم أعلام نساء مغربيات.
10. www-almarrakchia.net.

البعد الاجتماعي لجمعية كافل اليتيم الجزائرية الوطنية

The social dimension of the Algerian National Orphan Association

ط.د.سليم عمري / الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا

Salim amri/ PhD student / International Islamic University, Malaysia

ملخص:

يأتي هذا البحث ليجيبنا عن جمعية كافل اليتيم الجزائرية الوطنية، والذي يقتضي التعريف بها وكشف اللثام عن تاريخها وطابعها وأهدافها والسعي لتبيين البعد الاجتماعي لها من خلال ما تقوم به من أعمال مختلفة للتكفل بهذه الزمرة، من حيث جملة من التدابير والأليات للرفع من مكانة اليتيم وجعله في مصاف غيره من الفئات الاجتماعية الأخرى، والتي ينتج عنها مجموعة من الآثار ترتسم في صور مختلفة ومتنوعة كلها في خدمة الإنسانية والتي يتأكد صدقها في صورة التكافل الاجتماعي الذي تدعو إليه الجمعية من خلال التكفل بفئة اليتامى، ومراعاة جوانب النقص فتكملها، والاهتمام بالحالة النفسية لهم فتجربها، وفق نظرة إسلامية وغاية دينية امتثالاً لأمر الله عز وجل وطاعة له في خدمة اليتيم الذي به يحرز قصب السبق في نيل رضاه ودخول جنته، والذي يتمخض من ذلك جملة من النتائج الإيجابية تصون كرامة اليتيم وتحفظ له حقه وتثبت له مكانته في السلسلة الاجتماعية التي بها تتجلى ثورة العدل والمساواة.

الكلمات المفتاحية: الجمعية-كافل-اليتيم-البعد-الاجتماعي-الآثار.

Abstract :

This research comes to answer us about the Algerian National Orphans Society, which requires introducing it and unveiling its history, nature, goals and seeking to define the social dimension of it through its various actions to sponsor this group (**Orphans**), in terms of a set of measures and mechanisms to raise the status of the Orphans and make it in The ranks of other social groups, which result in a set of effects that are represented in various and varied forms, all of them in the service of humanity, and whose sincerity is confirmed in the form of social solidarity that the association calls for by sponsoring the category of Orphan. And taking into account the aspects of deficiency and completing them, and taking care of the psychological state of them and force them, according to an Islamic view and a religious goal in compliance with the command of God Almighty and obedience to him in the service of the Orphan, through which he scores the first in obtaining his consent and entering his paradise, which results in a set of positive results that safeguard the dignity of the Orphan and preserve him His right and his position in the social chain in which the revolution of justice and equality is manifested.

key words: Association-sponsor-Orphans-dimension-social-antiquities.

مقدمة :

خلق الله الناس شعوبا وقبائل متباينة ومختلفة ليكون منها مجتمعات تتألف من أفراد وأسر تختلف صفاتهم وتتفاوت درجاتهم فرفع بعضهم على بعض درجات وفضل بعضهم على بعض في الرزق لكلٍ موضعه وما حق له أن يكتسب، وذلك ليلبو بعضهم ببعض ويخدم بعضهم بعضا وهذا من صميم مقاصد الشريعة التي جاءت لتحقيقها في الأفراد فيحمل الغني منهم الفقير ويعين القوي الضعيف، وينفق ذو السعة على من قدر عليه رزقه، ومن بين الفئات التي وجب مراعاتها في المجتمع اليتيم الذي أكد القرآن النصح له وبين السبيل في التعامل معه ومع ماله، وشدد العقاب لمن ظلمه أو أخذ ماله بخير وجهة حق.

ولا تكاد تجد مجتمعا إسلاميا يخلو منه اليتيم والأرملة إما أن يكون بعامل الحروب أو أمرا من الله قضاء، في المقابل تجد من يسخر نفسه خدمة لليتيم إما على سبيل الانفراد أو بصفة جماعية متمثلة في الجمعيات والمؤسسات الخيرية التي تختص بهذا اللون من العمل الخيري أو تجمع كل أنواعه، وهذا ما نجده جليا في جمعية كافل اليتيم الجزائرية الوطنية التي سخرت نفسها بطاقتها وكل مقوماتها ومكاتها الموزعة على مستوى القطر الجزائري.

ولقد ظهرت الكثير من الجمعيات الخيرية التي تعنى بالخدمة التطوعية، وتميزت عنهم جمعية كافل اليتيم بتوجيه عملها التطوعي والخيري وتخصيصه بهذه الفئة فقط، حرزا منها لتحقيق أهدافها المرجوة والتكفل الأمثل لهذه لها، فهل تحقق الهدف للجمعية في تحقيق البعد الاجتماعي من خلال التكفل باليتيم، وإذا كان الأمر كذلك فما الآثار التي نجمت عن خدمتها التي طالت سنينا؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية قسمت هذه الورقة البحثية على عناصر ثلاثة:

أولا: التعريف بالجمعية الوطنية الجزائرية لكفالة اليتيم

ثانيا: الآليات والوسائل التي تتقلدها الجمعية في خدمة اليتامى والأرامل

ثالثا: الآثار والأبعاد الاجتماعية للتكفل بهذه الفئة

1- التعريف بكفالة اليتيم وجمعية كافل اليتيم الجزائرية

1.1 تعريف كافل اليتيم

-تعريف اليتيم لغة: اليتيم في اللغة "الإبطاء، لأن البر يبطل عنه، واليتيم الحاجة"¹.

والأصل في جذر كلمة اليتيم: يَتِمُّ، "ويقولون لكل منفرد يَتِمُّ، واليتيم من الناس من قبل الأب"، أي من فقد أباه، واليتيم معناه الانفراد، واليتيم: الفَرْدُ، واليَتِيمُ، واليَتِيمُ، فقدان الأب، وفي البهائم من قبل الأم، لأنَّ اللَّبَنَ منها، وقيل: أصل اليتيم الغفلة، وبه سمي يَتِيمًا، لأنه يُتَغافل عن بَرِّه².

¹ ابن منظور، "لسان العرب"، دط، دار إحياء التراث العربي، لبنان، دت، ج12، ص645-646، فصل الياء.

² ابن فارس، أبو الحسن احمد، "معجم مقاييس اللغة"، دط، دار الفكر، بيروت، 1979م، ج6، ص154.

وكل شيء يُعَرِّ نَظِيرَهُ، فهو يَتِيمٌ، ويقال: ذُرَّةٌ يَتِيمَةٌ¹.

-اليتيم في الاصطلاح الشرعي:

تعددت تعاريف اليتيم الاصطلاحية نذكر منها:

-اليتيم هو الصغير الذي فقد أباه وهو دون سن البلوغ²، بمعنى أن اليتيم يزول بالبلوغ.

-وعرفه ابن تيمية: أنه الصغير الذي فقد أباه³.

-وعرفه النسفي: اليتيم هو من لا أب له ولم يبلغ الحلم⁴.

ويقول عطية صقر: أن اليتيم هو صغير مات أبوه⁵.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [آل عمران: 37]

الملاحظ في كل هذه التعريفات أنها اتفقت على صفات معينة في اليتيم وهي:

أ- أن اليتيم لا يكون إلا في مرحلة دون بلوغ سن الرشد التي حددتها الشريعة الإسلامية، فتزول صفة اليتيم بالبلوغ، وذلك ما

نجده في ما يرويه علي رضي الله عنه أنه قال: حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يُتِمُّ بَعْدَ احْتِلَامٍ"⁶.

ب- كل التعريفات تدور في إطار واحد في تخصيص صفة اليتيم بالنسبة للإنسان وهي فقدان الأب، فلا يعتبر من فقد أمه يتيما،

لوجود من يتكفل به وهو أبوه الذي يقوم بتربيته وتعليمه ويرعى كل شؤونه، عكس الحيوان اليتيم فيه صفة لازمة لمن فقد أمه،

ويقال في الطير أن اليتيم صفة لازمة لمن فقد الأب والأم كلاهما.

2.1 أنواع اليتيم:

- اليتيم الحقيقي:

يطلق معنى اليتيم الحقيقي على كل من فقد أبوه بالموت ذكرا كان أم أنثى، وهو دون سن البلوغ، أي الذي ثبت وفاة أبيه يقينا،

فإذا بلغ سن الرشد زال عنه حكم اليتيم.

¹ الرازي، محمد بن أبي بكر، "مختار الصحاح"، تحقيق محمود خاطر، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1995م، ص745، والأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، "معجم مفردات الألفاظ"، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ص610.

² الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد، "النهاية في غريب الحديث"، تحقيق محمود الطنّاجي، دط، المكتبة الإسلامية، دت، ج5، ص291.

³ ابن تيمية، "مجموع فتاوى ابن تيمية"، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، دط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دت، ج34، ص108.

⁴ النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، "تفسير النسفي"، دط، دار إحياء التراث العربي، مصر، دت، ج1، ص59.

⁵ عطية، صقر، "تربية الأولاد في الإسلام"، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 2003، ج4، ص358.

⁶ أبو داوود، سليمان بن الأشعث، "سنن أبي داوود"، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، ط1، دار الرسالة العالمية، بيروت، 2009م، كتاب الوصايا، باب ما جاء حتى ينقطع اليتيم، ج3، ص115، رقم2873.

- اليتيم الحكيم:

اليتيم في المعنى فقد المعيل والراعي، وهذا ما يُقاس عليه كل من فقد أباه حكما، أي من كان أبوه في حكم الميت، وفي المجتمع نماذج كثيرة من هذا الأَصناف، الذين بحاجة إلى الرعاية والمساعدة والنفقة، فينطبق عليهم ما ينطبق على اليتيم الحقيقي، وهي أصناف كثيرة تدخل تحت مسمى اليتيم الحكيم وهي:

- اللقيط: من اللُقطة، وهو الطفل الذي يلقي به أحد والديه في الطريق العام، إما هربا من تحمّل مسؤولية الإنفاق عليه، وكفالتة، وتريبته، أو إخفاء لجريمة زنا كان ذلك اللقيط ثمرة لها¹، وتجد هذا الوصف أكثر وضوحا في عصرنا وما يكون أثرا للحروب التي تنشب هنا وهناك ينتج عنها ظهور الكثير من الأطفال الذين لا يعرف نسب فيلحق باب اليتيم.

- أبناء المرضى المعاقين: فالعائل والمربي ورب البيت قد يكون غائبا حقيقيا أو في حكم ذلك جراء إعاقة أو مرض يقعدهم عم خدمة الأبناء فيصبح الولد هنا يتيما حكما لعدم قدرة أبيه على التكفل به.

- مجهولو النسب: ما يسمى بالطفولة المسعفة، وهم أبناء الزنا، ولقد ألحقت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية مجهول النسب باليتيم في الفتوى رقم (20711)، بتاريخ 24 ذي الحجة 1419 هـ، والتي جاء في نصّها: "إنّ مجهولي النسب في حكم اليتيم لفقدهم لوالديهم، بل هم أشد حاجة للعناية والرعاية من معروف في النسب".

- أبناء المغتربين: الذي لا يعرف عن حالتهم، وأبناء المسجونين، لغياهم عن والديهم الذي ليس لهم حبل يصلونه بهم للتكفل والإعالة فتصير مثل هذه الفئة يتامى وجبت الرعاية في حقهم.

ويعتبر اليتيم مصيبة كبيرة، إذ يفقد الطفل سنده في السن التي هو أحوج ما يكون فيا إلى كفالة أبيه من كل الجوانب، ولهذا حرص الإسلام على رعاية اليتيم، وحثّ على كفالتهم والإحسان إليهم، ورتّب على ذلك ثوابا عظيما لمن يكفله ويقوم بكل شؤونه ومن هذا الباب وجب علينا التعرف على معنى الكافل في الإسلام.

3.1 مفهوم الكفالة

- مفهوم الكفالة لغة:

جذر كلمة الكفالة: هو كَفَلَ، والكاف والفاء واللّم أصل صحيح يدلّ على تضمّن الشيء للشيء²، الكافل من الكفيل وهو الضمين³.

¹ عقلة، محمد، "نظام الأسرة في الإسلام"، ط2، مكتبة الرسالة، عمان، 1989، ج2، ص280.

² ابن فارس، أبو الحسن احمد، "معجم مقاييس اللغة"، دط، دار الفكر، بيروت، 1979م، ج5، ص187.

³ الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد، "النهاية في غريب الحديث"، تحقيق محمود الطنّاجي، دط، المكتبة الإسلامية، دت، ج4، ص342.

-الكفالة في الاصطلاح:

هي أن يلتزم الكفيل بإعالة المكفول والإنفاق عليه، وأيضا هي ضمان دين المدين و ضمان حضور الشخص أمام الحاكم حين استدعائه¹.

1.3.1 تعريف كفالة اليتيم في الاصطلاح الشرعي:

تعددت التعاريف لكفالة اليتيم في الفقه الإسلامي، ومن بينها تعريف الذهبي في كتابه الكبائر أنها: "القيام بأموره والسعي في مصالحه من إطعامه وكسوته وتنمية ماله إن كان له مال، وإن كان لا مال له، أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله²."

2.3.1 كفالة اليتيم في القانون الجزائري

لا توجد صيغة أو كلمة اليتيم في القانون الجزائري، بل الكفالة بصفة شاملة تشمل كل الأطفال، كما نصّت المادة 116 من قانون الأسرة الجزائري على أن: "الكفالة التزام على وجه التبرع بالقيام بولد قاصر من نفقة وتربية ورعاية قيام الأب بابنه وتتم بعقد شرعي³."

ومن خلال المادة يتضح جليا أنّ الكفالة في قانون الأسرة الجزائري هي عبارة عن عقد مبرم في شكل رسمي أمام الموثق، أو قضائي أمام المحكمة يصحّ فيه طالب الكفالة سواء كان شخص طبيعى أو معنوي من رغبته في التكفل بولد قاصر والعمل على رعايته وحمايته وتربيته تربية سليمة مبنية على أخلاق سامية والعمل على توفير كل الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تسمح له بالعيش في حياة كريمة ومعاملته معاملة الابن الشرعي وإن كان في حقيقة الأمر لا تربط أي علاقة بين الكافل والمكفول⁴."

فالقانون الجزائري لم يفرق بين اليتيم والطفل العادي، بل هم سواء في التكفل بهم و ضمان حقوقهم.

2. التعريف بالجمعية وتاريخ النشأة الجمعية**1.2 تعريف جمعية كافل اليتيم الجزائرية****- المفهوم القانوني**

الجمعية الخيرية "كافل اليتيم" الوطنية، هيئة مدنية وطنية ذات طابع اجتماعي وإنساني، أنشأت في إطار القانون 11/90 بتاريخ 1990/12/14 المتعلق بالحياة الجمعية واعتمدت من وزارة الداخلية والجماعات المحلية تحت رقم:034،

¹العودة، سليمان، موسوعة فقهية إلكترونية، www.salmanalodah.com، 2019/10/05.

²الذهبي، شمس الدين، دت، "الكبائر"، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ص73.

³القانون رقم 84-11، المتضمن قانون الأسرة الجزائري.

⁴سلامي، دليلة، "حماية الطفل في قانون الأسرة الجزائري"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في القانون الخاص، جامعة الجزائر، كلية بن عكنون،

2007-2008، ص66.

يوم 2011/12/17، وتمت مطابقتها مع القانون 06/12 الصادر في 12 جانفي 2012 المتعلق بالجمعيات تحت رقم 72/14 بتاريخ 16 أكتوبر 2014¹.

- التعريف الاصطلاحي

هي جمعية وطنية ومنظمة خيرية مكتملة لجهود الحكومة الجزائرية، تكرس جهودها في تنفيذ برامج إنسانية خيرية، وتهدف إلى التكفل الأمثل بفئة اليتامى والأرامل على مستوى ربوع الوطن من الناحية الاجتماعية والعلمية والرياضية وغيرها، تتوزع فروعها على كامل ربوع التراب الوطني، تستمد شرعيتها من القانون الخاص بالجمعيات.

2.2 تاريخ نشأة الجمعية

- بداية التأسيس

تأسست الجمعية في أول أمرها في بيئة كان اليتيم بأمس الحاجة لمن يقوم به يرعى شؤونه في حين لا يوجد من الدولة ما يضمن له حقه، فتمخضت فكرة تأسيس هيئة ترعى شؤون اليتامى من رحم الحاجة، وفي الأصل يعود الأمر في كفالة اليتيم على أقاربه من صلب العائلة مثلما أقرت شريعة الإسلام والتي هي من روحه كما يذكر السيد مسعود قادري²، فكانت الرغبة ملحة وتكونت لتصل إلى عمل واقعي كان أول ما تجسد منه في ولاية البلدية.

وقد صرح السيد عرباوي رابع³، في مقابلة⁴ له يوم 02 أكتوبر 2019، أن أول لبنة وُضعت لتشييد صرح الجمعية، كان في سبتمبر سنة 1988، في ظلّ صدور قانون حرية إنشاء الجمعيات⁵، حيث أسس أول مكتب لها وتحصل على الاعتماد القانوني في 02 جانفي 1989، وكان أول عمل شرع فيه، القيام بالتكفل بيطامى الأحياء القريبة، إلى أن توسعت فروع الجمعية فصار لها 25 مكتبا على مستوى الولاية، ومنذ ذلك الحين لم يغلق باب الجمعية التي كانت ولا زالت تعمل لأجل اليتيم في كل متطلباته اليومية، الطبيّة والعلمية ومستلزمات المأكل والمشرب إلى غيرها، ولم يتوقف سيرها على هذا الدرب الشريف إلى يومنا هذا، وقد اتسع حيزها إلى أن صارت جمعية وطنية ذات سيادة قانونية.

- التأسيس كجمعية وطنية

لم يعد لجمعية كافل اليتيم التي كان هدفها ساميا في خدمة من أوصى به الله عز وجل والرسول صلى الله عليه وسلم اليتيم، أن تبقى منحصرّة في ولاية واحدة، "فقد كان للبذرة الطيبة التي زرعت في مدينة الورد سنة 1989، وعمّت خيراتها لكل الأراذل

¹ عرباوي، رابع، رئيس جمعية كافل اليتيم الجزائرية، مقابلة شخصية للإجابة على أسئلة حول الجمعية، الجزائر العاصمة، 02/10/2019.

² يشغل منصب الأمين العام لجمعية كافل اليتيم الوطنية حاليا، ويعتبر من أوائل المؤسسين للجمعية.

³ أول من كانت له فكرة تأسيس العمل الخيري على شكل جمعية تتخصص في رعاية شؤون اليتيم في مدينة البلدية، وهو رئيسها منذ تأسيسها إلى يومنا هذا.

⁴ المقابلة كما يعرفها "موريس أنجريس" بأنها "أداة بحث مباشرة تستخدم في مسائلة الأشخاص المبحوثين فرديا أو جماعيا قصد الحصول على معلومات كيفية"

⁵ صدر أول قانون لتأسيس الجمعيات في دستور 1989، والذي صاحب الانفتاح السياسي الذي شهدته البلاد الجزائرية، حيث أصبح الحق في تأسيس الجمعيات من أهم الحقوق الدستورية، وقد تم تكريس ذلك في ثلاث مواد أساسية، وهي: المادة 32، 39، 40، من الدستور الجزائري.

واليتامى بولاية سهل المتيجة الخصب (البلدية)، صدىً طيباً لدى المواطنين والرسميين من المنطقة وفي البلاد عامة، فالتفت المحسنون وأهل الخير والصلاح بعد أن تأكدوا من حسن التّوايا ووقفوا على صدق ومصداقية رجالها الذين لم يرضوا ببقاء الأمر محلياً، فاجتهدوا في تعميم النّشاط لتعمّ فضائله ربوع الوطن فكان توسع الجمعية الخيرية كافل اليتيم¹ إلى جمعية وطنية وفق ما نص عليه قانون الجمعيات، ولقد اعتمدت من طرف وزارة الداخلية والجماعات المحلية تحت رقم: 340، يوم 17 ديسمبر 2011، وتمّت مطابقتها مع القانون 12/06 الصادر في 12 جانفي 2012، المتعلّق بالجمعيات تحت رقم 14/72 بتاريخ 16 أكتوبر 2014². فأصبح لها مكاتب بعدد ولايات الوطن (48 مكتباً)، مع بعض المكاتب للمقاطعات المنتدبة، وبلغ عدد المكاتب البلدية لها 1200 مكتب.

وكان تعميم الجمعية عائد إلى عدة أسباب منها:

- تخصصّ الجمعية في خدمة اليتيم دون الأعمال الخيرية الأخرى، وهذا عامل ساعدها في تحقيق أهدافها.

- طبيعة عمل الجمعية الدائم والمستمرّ، حيث تتكفل باليتيم تكفلاً كاملاً من جميع النواحي، ويومياً، ولا يقتصر عملها على المناسبات فقط كما هو الشأن للكثير من الجمعيات الأخرى، وهذه السمة البارزة التي تكاد تجدها في معظم الجمعيات وهي من عيوب العمل الخيري.

- متطلّبات المجتمع المدني المتمثل في هذه الفئة الخاصّة فئة اليتامى، الذين هم بحاجة إلى يد كريمة حانية، وقلب رحيم، وعين حارسة راعية.

- الطلبات التي جاءت من مختلف الولايات الأخرى وحاجتهم في تعميم هذه الجمعية، وإنشاء مكاتب فرعية لها على كل ربوع الوطن.

- طبيعة خدمة اليتيم وما فيها من الأجر والثواب، وتحقيق رضا الله، وتيمّنا بسنة النبي اليتيم صلى الله عليه وسلم، الذي كفل اليتيم وأوصى به.

3.2.2 الإطار التنظيمي والهيكل للجمعية³

تنشط الجمعية وفق هيكل تنظيمي حديث ومرن يستمد قواعده الأساسية من قانون الجمعيات الوطني وقد كيفت مواده الخاصة ليسهل أداء المهام الميدانية ويمكن من إقامة علاقات وطيدة مع المحيط العام الذي تنشط فيه.

تعتبر الجمعية العمومية هي الهيئة القيادية العليا ولها جهاز تنفيذي متمثل في المكتب الوطني الذي يتابع النشاط اليومي ويشرف على تنظيم ومتابعة نشاط المكاتب الولائية واللجان المتخصصة التي تساعد الجمعية في وضع برامجها وتصوراتها المستقبلية.

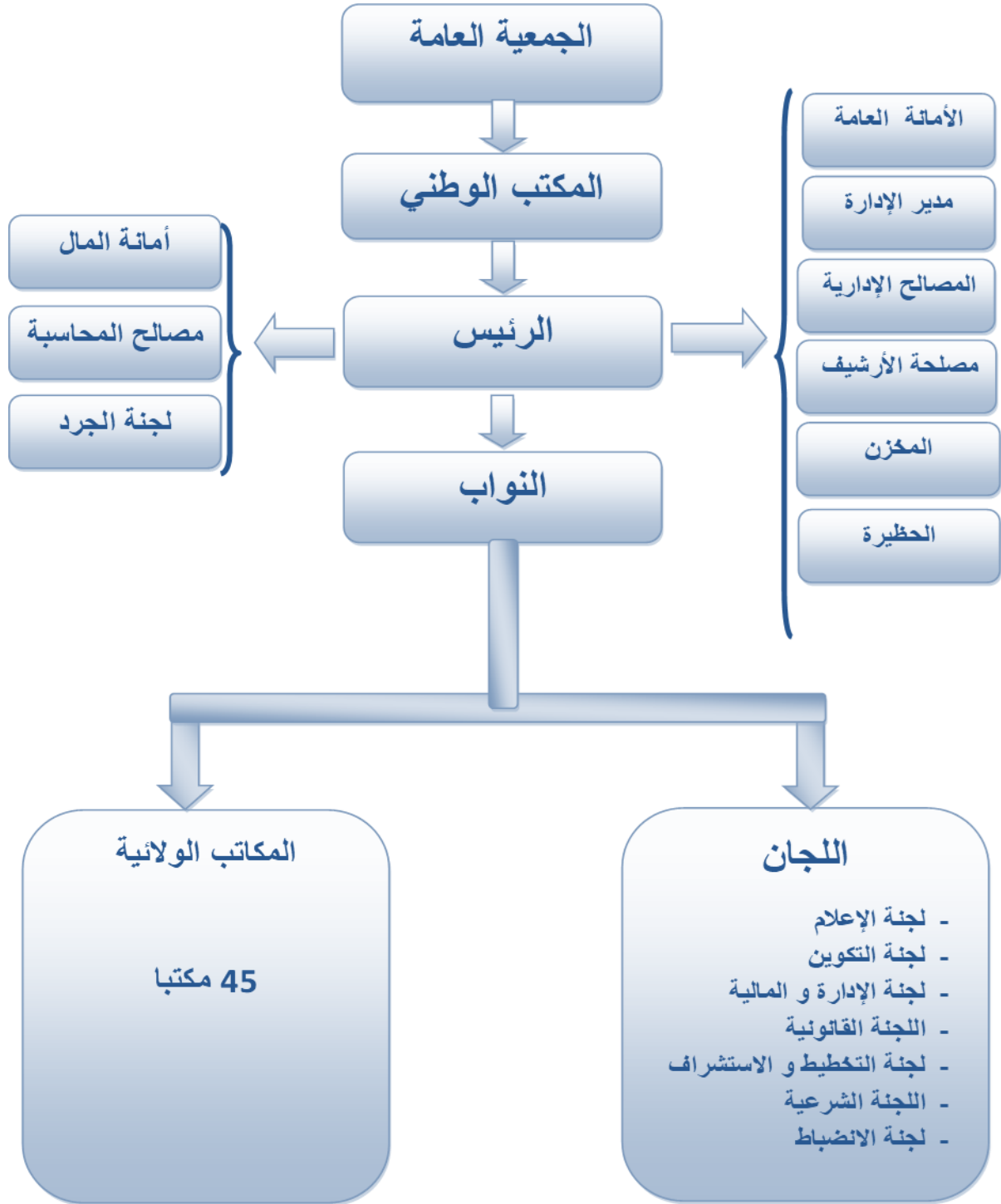
¹ www.kafileyatim.dz. 09/10/2019.

² المرجع نفسه.

³ دليل جمعية كافل اليتيم الجزائرية الصادر عن إدارتها، والموقع الإلكتروني الخاص بها: www.kafileyatim.dz

ويوضح الشكل الذي يلي هيكل الجمعية بكلّ إدارتها :

هيكل الجمعية



*شكل يوضح الهيكل الإداري والتنظيمي لجمعية كافل اليتيم الجزائرية الوطنية.

2. مجالات عمل الجمعية، وبعدها التكافلي للمجتمع الجزائري

1.2 مجالات عمل الجمعية¹

❖ الرعاية الاجتماعية والصحية

تهدف الجمعية إلى التكفل باليتيم و الأرملة في مجالات كثيرة كلها تصب في صالح هذه الفئة.

● الرعاية الاجتماعية

وتتمثل الرعاية الاجتماعية في تلبية كل ما مستلزم لحياة كريمة لليتامى، من ناحية:

-تقدم الرعاية و الدعم و المساعدة لتحقيق تماسك أسرة اليتيم و استقلالها المادي (تحقيق الاكتفاء الذاتي) واندماجها الايجابي و المتميز في المجتمع. وتتمثل هذه الرعاية في :

-البحث الدقيق في ظروف أسرة اليتيم لمعرفة نوعية المساعدة التي تحتاجها.

-معرفة الوضعية السابقة للعائلة قبل وفاة العائل وطبيعة شغله

-تمكين أسرة اليتيم من حقوقها الاجتماعية لدي الإدارة.

- تحديد الأولويات التي يجب اتخاذها تجاه كل عائلة.

- حماية المصالح المدنية لليتامى، يأتي دور ممثلي الجمعية لاستغلال الكفاءات و القدرات لتحقيق مصالح اليتيم وحفظها باعتبار الجمعية هي الناطق الرسمي لليتيم الذي سيجد من خلالها السند المناسب الذي يشجعه على معرفة حقوقه والسعي لنيلها كاملة.

● الرعاية الصحية والنفسية

توفر الجمعية الرعاية الصحية المناسبة لليتيم و الأرملة، من خلال:

- معرفة الحالة الصحية لكل فرد من أفراد الأسرة

- إجراء الفحوصات الطبية لكل مريض بانتظام على مستوى الطب العام و الاختصاصي مع تيسير الكشوف الإشعاعية والتحاليل الطبية.

- الرعاية النفسية تتم عن طرق عدة منها المباشرة ومنها غير المباشر يتكفل السادة الأطباء النفسانيون ومساعدوهم في رسم هذه الطرق و تنفيذها.

-توفير وسائل الإسعاف لنقل المرضى العاجزين عن التنقل للعلاج

¹ المرجع السابق.

- التعاقد مع أطباء عامين ومختصين لعلاج اليتامى

- التعاقد مع صيدليات لاقتناء الأدوية بطرق تضمن كرامة اليتيم المريض

- متابعة حالة اليتامى المرضى في المستشفيات.

❖ المجال التعليمي والرياضي

• مجال التعليم

تتم المتابعة التعليمية والتكوينية لليتامى من خلال :

- معرفة عدد المتمرسين في كل أسرة وتزويدهم باللوازم المدرسية المناسبة لكل ممتدرس وفق مستواه الدراسي.

- العمل على إقامة علاقات تعاقدية منتظمة مع المكتبات لتزويد اليتامى بكل اللوازم على مدار الموسم الدراسي.

- مرافقة اليتيم في دراسته عندما يكون ممتدراً عن طريق الاتصال بالمؤسسة التي يدرس بها بكيفية تراعي أحاسيسه ومشاعره.

- تدعيم اليتيم بالمواد التي يشكو ضعفاً فيها وعادة ما تكون مادة الرياضيات واللغات الأجنبية عن طريق أساتذة متخصصين تختارهم الجمعية لأداء هذا الدور.

- تسعى الجمعية لربط الصلة بمراكز التكوين المهني ومعاهده لتسهيل التحاق الأيتام بها والمثابرة لتوظيفهم عند التخرج.

- أما التربية فمجالاتها واسعة تركز الجمعية على تنمية و تخريج أرامل واعيات بأدوارهن، و بفضل رعايتهن لأبنائهن الأيتام و القيام بحاجاتهم التربوية و النفسية على غرار العظيمات التي يزخر بهنّ تاريخ الأمة الإسلامية .

• مجال الرياضة

تنعكس الصحة البدنية على الصحة النفسية لأن العقل السليم في الجسم السليم، فالطاقة البدنية إن رُوّضتها نمت وقويت وإن أهملتها ضعفت و ضمرت و لذلك فالجمعية من أهدافها في هذا المجال:

- حماية صحة اليتيم البدنية والنفسية من خلال تشجيعه على الممارسة الرياضية من الصغر.

- تعمل على تكوين فرق رياضية في كامل التخصصات بالتعاون مع الجمعيات و المراكز المتخصصة التابعة لوزارة الشباب والرياضة التي وجدت منها الجمعية ترحيباً كبيراً لرسم شراكة حقيقية تستثمر بإذن الله في السنوات القادمة.

❖ المجال الثقافي والترفيهي

• الجانب الثقافي:

أما النشاط الثقافي فإن الجمعية تجتهد لتكوين مكتبات تزخر بكتب قيمة في كل الاختصاصات في فروعها الولائية والبلدية.

كما أن للمجموعات الصوتية دور مهم في ترقية و تطوير ثقافة اليتيم و الأرملة، لأن الكلمة الطيبة الهادفة عندما تقدّم بالصوت الحسن الجميل، تنعش الروح و تهدأ المشاعر و ترقى بالنفس البشرية إلى درجات يضيق عنها نطاق المنطق.

كما تسهر الجمعية من خلال فروعها على تشجيع المواهب والإبداعات في مختلف النشاطات الثقافية والفكرية عبر الوطن سواء الإبداعات الفردية أو الجماعية النافعة والهادفة للفرد والمجتمع.

• التسلية والترفيه

ليس هناك ما يقتل المواهب البشرية أكثر من الفراغ والتفوق المادي والمعنوي، فالإنسان بطبعه ينفر من المؤلف وتطلع نفسه إلى الجديد الذي لم يألفه من قبل ومن هنا اختارت الجمعية الآتي:

-الرحلات الترفيهية كأسلوب تربوي لمحاربة الركود وغذتها ببرامج تسلية عالية تنسي اليتيم همومه وتنجي ثقافته.

-أما المخيم فقد حرصت الجمعية على اعتماده منذ البداية لما له من دور ترفيهي وتربوي.

-فرق المسرح التي يدمج فيها اليتيم فان عليها المعول الأكبر في رسم الخطوط العريضة لما سيكون عليها اليتيم في المستقبل، و هي أداة فعالة في محاربة الآفات الاجتماعية وبناء الشخصية الإنسانية على أسس أخلاقية عالية.

2.2 البعد التكافلي للجمعية

✚ وسائل الجمعية في تحقيق التكافل الاجتماعي¹

تعتمد الجمعية لتحقيق أهدافها المتمثلة في خدمة اليتيم وتقديم الرعاية الكاملة له، على مجموعة من الوسائل من شأنها أن تجعلها تسير على طريق صحيح وخطة مدروسة في الاعتماد الكلي على سياستها في مواجهة أي عارض لها أو إشكال في برامجها ولعل أهم ما تتخذه من وسائل لذلك يتمثل في:

❖ الاهتمام بالجانب التمويلي

إن نجاح أي مؤسسة أو جمعية في مهامها الخيري، يعود بالأساس إلى وفرة الموارد المالية التي تعتبر صمام أمان لها، إذ بدونها لا يتسنى لأيّ كان أن يقدم خدمة ناهيك أن يسطر برنامجا، وعلى هذا الأساس بنّت جمعية كافل اليتيم سياستها في اهتمامها الشديد للموارد المالية وهذا ما جعلها جمعية قائمة لا تنفي عزمها منذ شُيّدت أول لَبِنَاتِهَا زُهاء 30 سنة من نشأتها ولأن كل عمل ناجح وراءه تنظيم محكم، وبالأخص سياستها في الاعتماد على التمويل الذاتي دون الاعتماد على العنصر الخارجي الذي كثيرا ما يخذل، وعليه فالجمعية نهجت في وسائلها لتقديم خدماتها عدة خطط:

• الاهتمام بالاستثمار:

يعتبر الاستثمار من أنجع الطرق في الحفاظ على الدعائم المالية للجمعية، وعليه اتخذت مجموعة من التدابير والمشاريع الآتية والمستقبلية التي تجعل منها جمعية مستقلة استقلالاً مالياً مطلقاً ومن أهم مشاريعها:

-استثمار بعض المشاريع المصغرة المتعلقة ببعض الحرف والمهن اليدوية كالخياطة والإعلام الآلي وغيرها التي تساعد على تشغيل الكثير من الأرامل واليتامى مما يجعلها تعتمد على الذاتي في تحصيل القوت ومستلزمات المعيشة.

¹ نفس المقالة.

• الاهتمام بأوقاف اليتامى:

والتي خصصت لهم وللأرملة، وهي كثيرة على مستوى ولايات الوطن، منها مقر الجمعية بالعاصمة، الذي يعتبر وقفا من بعض المحسنين لصالح الجمعية، وبعض العقارات في برج البحري وسطيف وأم البواقي وبسكرة وغيرها، مما يساعد الجمعية من الاستفادة منها لإنشاء مقرات أو مدارس قرآنية ومعاهد تكوينية، تغنيها عن الكراء الذي يثقل على ميزانيتها، في انتظار تيسير الدولة للجمعية باستثمار هذه الأوقاف¹، ولعله يصدر قانون جديد مستقبلا يسمح للجمعية بالتصرف فيها.

• الاستفادة من تأجير بعض الممتلكات التابعة للجمعية:

وتعتبر هذه سياسة حكيمة من مسؤولي الجمعية في استغلال ممتلكات الجمعية كموارد مالية لها، كبيع المقرات والقاعات المعدة للمحاضرات واللقاءات، وكذلك تقديم بعض الخدمات في مجال الإعلام الآلي وغيرها من شأنها أن تساهم في الدخل المالي لها.

• الاتصال بالمحسنين وأرباب العمل:

تتم عملية الاتصال بالمحسنين من خلال أعضاء الجمعية، وخبرتهم في ذلك وذلك بالإثباتات والوصلات وكل ذلك لتقديم يد المساعدة سواء عن طريق حصص مالية، أو معدات آلية، أو سائر المعونات الأخرى كحقائب الدراسة وخروف العيد، أو جهاز العروس، أو وسائل النقل كالسيارات وغيرها، وكل ذلك يعود لصالح اليتيم والأرملة.

• أهداف مستقبلية

تهدف الجمعية مستقبلا إلى اتخاذ الكثير من التدابير والإجراءات التي تعتبر وسائل ناجعة لتقوية الجانب التمويلي لها، ومن بين هذه المشاريع المستقبلية:

-غرس مليون ونصف مليون شجرة نخيل، وهو مشروع قيد التنفيذ، والتجسيد على أرض الواقع، وينتظر استكمال الإجراءات الإدارية على مستوى الوزارة.

-غرس مليونين شجرة زيتون.

-مشروع المجمع الخيري لليتامى، بمنطقة أولاد شبل بالجزائر العاصمة، على مساحة قدرها 2300 متر مربع، ويحتوي المشروع من ثلاث طوابق، يستعمل الطابق الأول منه كبنك غذائي ومخازن التبريد، والثاني منه كمركز استقبال واستضافة مرضى السرطان، والثاني مخصص لقاعة المحاضرات وأقسام تدعيمية ومكتبة، والطابق الثالث فهو لورشات التكوين والطباعة وورش خياطة، وقد شرع في بنائه من سنة 2014م، وينتظر استكماله سنة 2020، وغيرها من الكثير من المشاريع على ربوع الوطن التي ينتظر شروق شمسها لتضيء قلوب اليتامى وتكفكف الدمع عن عيونهم، وتؤانس كربتهم.

¹ في القانون الجزائري، تعود نظارة الأوقاف للدولة، وهي التي لها الحق الكامل في استثمارها أو التصرف فيها، ولا يسمح للجمعيات أو أي هيئة غير وطنية للاستثمار فيها.

❖ الجانب الميداني

الجانب الميداني وهو ما تقوم به الجمعية وأعضاؤها من ممارسات على أرض الواقع للانفعال بمتطلبات اليتيم والأرملة، وما تعده لذلك من وسائل:

• تدريب المتطوعين

وهي عملية تدريب لكل أعضاء الجمعية والمتطوعين منهم لغرض الاتصال الحسن باليتيم وخاصة الحالة الخُلقية التي يجب أن يتحلّى بها، وما الذي يجب عليه اتخاذه من حيطة ومن أساليب في التعامل مع اليتيم والأرملة في مثل الظروف التي تظلم جنباث حياتهما، عل غرار "التربص الذي أقيم يوم 26 شعبان 1440هـ الموافق ل02 ماي 2019م في دورته الثانية، لتكوين المسعفين والتي تنظمها الجمعية بإشراف الحماية المدنية ويستفيد منها أعضاء وعمال وعاملات من المكتب الوطني والمكاتب البلدية التابعة لولاية العاصمة وكذا تكوين مساعدات اجتماعيات¹ ليستفيدوا من شهادات تؤهلهم للعمل في هذا الحقل الخصب والتعامل الأمثل مع اليتيم، وكذلك، دورات لتكوين وتدريب إطارات المكاتب الوطنية لكيفية استعمال برمجية التسيير الالكتروني، تحت عنوان: "برنامج كافل²" وأيضا ورشات واستشارات طبية نفسانية، ومخيمات كشفية ورحلات علمية لغرض منها التدريب الحسن للتحلي بروح التطوع والخلص لله في العمل، "وقد بلغ عدد الناشطين في الجمعية على مستوى الوطن، 3405 عضوا مكتبيا، و3611 متطوعا، و1033 عضوا تابعا للجان³"

• الاتصال المباشر باليتامي وجرّد أسمائهم على مستوى مكاتب الجمعية:

من أنجع طرق الاتصال التي تمكّن من الوقوف على الواقع الحقيقي لحياة أسر اليتامي، الزيارات الميدانية المباشرة التي تقوم بها ممثلات عن الجمعية للبيوت منم اجل نقل الحقائق كما هي وتسجيل متطلباتهم والوقوف على الإحصائيات الدقيقة للأسر والأرامل واليتامي وقد بلغ عدد ذلك في التقرير الأدبي لسنة 2017م حوالي: 32296 أسرة، وعدد الأيتام بلغ لفئة الذكور 33492 يتيم، والإناث 39849 يتيمة، والمجموع الجمالي لليتامي على المستوى الوطني 81394 يتيم⁴، في انتظار التقرير الأدبي لسنة 2019م الذي حتما سيكون فيه عدد زائد على ما هو عليه الآن.

¹ الموقع الالكتروني للجمعية، www.kafilyatim.dz

² البرنامج أعدّه وأنجزه المهندس محمد بت فضة رئيس مكتب سيدي بن عدّة بولاية عين تيموشنت، وشرع في تطبيقه بهذه الولاية، فقرر المكتب تعميم تطبيقه على سائر المكاتب الولائية.

³ أنظر، التقرير الأدبي لجمعية كافل اليتيم الجزائرية، سنة 2017.

⁴ المرجع نفسه.

- التواصل مع الجمعيات الأخرى،

وذلك لغرض التقرب على الواقع العملي وتبادل التجارب والخبرات، وإنشاء علاقات خارجية مع مؤسسات خيرية محلية وطنية وخارجية كجمعية "IRARA، IMRA"¹ على المستوى المغربي والعالمي، كالיום العالمي الإسلامي لليتييم الذي يأتي يوم 15 رمضان لكل سنة.

- الدور الإعلامي:

والذي تعتمد عليه الجمعية في تسويق أعمالها والتعريف بالجمعية، وتسهيل التعرف على أسر الأرامل واليتامى، ومن هذه الوسائل، بعض الحصص المتلفزة في القنوات وصفحات التواصل الاجتماعي التي بلغت أكثر من 2000 صفحة كما أشار رئيس الجمعية، الأستاذ رايح عرباوي، والموقع الإلكتروني الخاص بالجمعية، في حين ترمق الجمعية إلى الأفق وتطمح إلى مستقبل واعد وأجمل، أملاً أن تكون لها قناة تلفزيونية خاصة بها، أو إذاعة وطنية تتكفل بالدور الإعلامي لها.

وللجمعية تدابير أخرى تربو عن ما ذكرناه، فقد تعتمد على وسائل على حسب المنطقة والخدمة المراد تقديمها لليتييم، فتنوع بذلك خدماتها على حسب التنوع الجغرافي، وكذا البيئة التي عليها بعض الأسر اليتيمة.

3. الأثار الاجتماعية لأعمال الجمعية

لا تقتصر أثار الجمعية على اليتيم والأرملة بل تتعداها إلى المجتمع بكل فئاته وحتى على الدولة في حد ذاتها، فالمجتمع كحلقات تتماسك لبعضها لتتوحد وتندئى لُحمة متماسكة، والاهتمام بهذه الحلقة أو فئة اليتامى كفيل لأن تسير عجلة المجتمع في صورة متكاملة ومتكافئة، وتخفيف الأعباء على كل المستويات.

- جانب اليتامى والأرامل

تتجلى الأثار الاجتماعية على مستوى الفرد من ناحية الاستفادة المادية والتكفل بهم من كل الجوانب مما يجعلهم يستغنون عن التكفّف والتدلل للناس، هذا الأمر يجعلهم يتطلعون لصناعة مستقبلهم دون النظر إلى المعوقات التي كانت لتعرقلهم لولا أيادي الخير التي رفعت مقامهم، وبثت فيهم الروح المعنوية، وقد تجد ذلك واضحاً في بعض النتائج لمعظم اليتامى على مستوى الوطن وفي كل الأطوار، وبالأخص حفظ كتاب الله.

وقد بلغ عدد اليتامى المتكفل بهم من طرف الجمعية 81394 يتيم، وكفي هذا العدد أن يكون كفيلاً للأثار الايجابية للجمعية على مستوى اليتامى والأرامل، ليتسنى لهم أن يكونوا في المجتمع أعضاء ايجابيين وفعالين.

- جانب الأسرة:

وتتمثل الأثار الاجتماعية للجمعية على الأسرة الجزائرية في الحفاظ على ركانتها ودعائمها، والحرص على عدم تفككها، بكل ما يقدم لها من وسائل للإبقاء عليها كما كانت رغم ذهاب سيدها، (الأب)، فتبقى أعمال الجمعية الخيرية حاجزا يمنع تشتت

¹ مؤسستين تركيتين مختصتين في العمل الخيري والتطوعي، على المستوى المحلي والعالمي.

الأسرة ويمنع من الأرملة الخروج للعمل، أو التسول لإطعام بنمها، أو كسوتهم، فترفع تلك الكفالة انفها، وتستعزّ بها نفسها، وهن كثراتٌ أمثلةٌ في التحدي والحفاظ على رباط العائلة، وبلغ عدد الأسر المتكفل بهم من طرف الجمعية وطنيا: 23296 أسرة.

• جانب المجتمع:

المجتمع ككل هو مجموع الأسر التي تتشكل من أفراد، فهو نسيج مترابط من كل هذه العوامل فإذا صلح الفرد صلحت الأسرة وان صلحت الأسر كان للمجتمع وجهه الصحيح المتكامل المترابط، ويتمثل أثر الجمعية فيه، في تكفلها لمجموع هذه الفئة من اليتامى التي هي جزء كبير من المجتمع بل لا تكاد تجد عائلة إلا وفي بيتها يتيم، ومن ثم كان الدور إيجابيا في تذليل العقبات أمام الدولة وأمام المجتمع ككل في رفع الغبن عن هؤلاء الذي هو رفع لثقل الأعباء على كاهله، تكفُّلا في المأوى والمطعم والمشرب والملبس وغيرها من الأعمال التي تتولى الجمعية أداءها.

• المجتمع الإسلامي

هذا ما تفسره تلك اللقاءات والمؤتمرات التي تعقد سنويا بين مختلف الجمعيات الخيرية الفاعلة في وسط الدول الإسلامية، وتلك التوائم بين مختلف الهيئات المختصة بالإعانة والإغاثة، مما يجعل من الهدف واحدا، وهو خدمة اليتيم وإسداء المعروف إلى أهله، وتعزيز رابطة رحم الإسلام الذي ننتمي إليه كلنا، وتوحيد الصف والراية، والتناغم والفخر بأمة المصطفى صلى الله عليه وسلم اليتيم، الذي تربى يتيما، وأوى يتيما، ودعا إلى تكريم اليتيم.

ومن بين الأعمال التي توحى إلى تكافل المجتمع الإسلامي، ما تقوم به الجمعيات من مشاركات في مؤتمرات، كاليوم الإسلامي العالمي لليتيم، والمؤتمر المغربي للجمعيات، وكذا بعض المؤتمرات خارج الوطن الإسلامي والعربي.

• تنمية روح الانتماء للدين الإسلامي:

يتمثل البعد الديني للجمعية في سياستها لخدمة اليتيم حيث تحاول ربط جسور التواصل بين الدين الإسلامي واليتيم وتعزيز انتمائه له من خلال ما تعمد إليه في التفكير بالمناسبات الدينية كالأعياد ومواسم الطاعة كشهر رمضان، واقتران الكثير من أعمالها في مثل هذه المناسبات محاولة من للتعريف بمقومات الدين الإسلامي ومدى اهتمامه بهذه الفئة ومنها خلق بعد اجتماعي إنساني، وروحا دينية تتناغم مع كل خطواتها، وامتنالا حقيقيا بأهداف الشريعة الإسلامية، امتثالا لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْكُمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32]، وكما أشار السيد قادي مسعود في مقابلة معه¹، أن الجمعية تجعل حفظ مقصد الدين من أولى أهدافها فهتم بكل ما هو متعلق به، كما تباعد عن الثقافات الغربية وكل ما يرمز إليها من مناسبات، ويوضح هذا الجدول عدد المساعدات الغذائية المتعلقة بالمناسبات الدينية في كل الولايات تقريبا:

¹ مقابلة يوم 01 أكتوبر 2019، الجزائر العاصمة، مقر جمعية كافل اليتيم الوطنية.

الولايات	شهر رمضان	عيد الأضحى	عيد الفطر	عاشوراء	المولد النبوي الشريف	مساعدات ظرفية	مساعدات شهرية
36	35257	10576	28529	5680	7583	10317	21511

* جدول يوضح عدد المساعدات المختلفة التي تقدمها الجمعية لليتامى في المناسبات الدينية

ويكفي للجمعية أثرا في المجتمع ما تحققه من تكافل، في تبنيها لرعاية اليتيم، فهذا كفيلا لأن يجعلها حصنا منيعا من تصدع المجتمع حين يُراعى حق هذه الزمرة الخاصة، وتلك هي رسالتها التي استوحتها من روح هذا الدين العظيم امتثالا لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا"¹، ومن مبادئ شعب الجزائر الأبي، وسيرا لتحقيق وحدة هذا الوطن المُفدى الذي سقى بدماء الشهداء المباركة، والذي هو جزء من جسد الأمة الإسلامية.

• البعد الحضاري:

ويتمثل البعد الحضاري الذي ترسمه جمعية كافل اليتيم الجزائرية في إظهار حقيقة الدين الإسلامي ومدى اهتمامه بفئة اليتامى والأرامل، ونجاعته في تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة بين أفرادها في صورة جميلة تعبر عن الروح السامية التي تتسم بها تكاليف الشريعة الإسلامية، كي يتبين للملل الأخرى حقيقة ما عليه بنيت الحضارة الإسلامية على مدى العصور، وطبيعة علاقاتها الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104] مهما اختلفت حالاتهم، ومدى التراحم بينهم وتكاتف بعضهم ببعض، وكذا الصورة المشرقة التي ترميها للمجتمعات غير الإسلامية الأخرى مما يساهم في الدعوة إلى طريق الله الحقيقي.

خاتمة:

تتضح أهداف جمعية كافل اليتيم بالعودة إلى النتائج والآثار الظاهرة في المجتمع الجزائري، وذلك بالنظر إلى الأرقام والإحصائيات المقدمة عبر المكاتب الموزعة عبر الوطن، وقد تجد في ذلك جانبا مشرقا في الكثير مما تساهم فيه وبالأخص في رفع شعور الانتماء إلى المجتمع بالنسبة لليتيم وإشراكه في سلسلة بناء المجتمع ليصير لبننة يُشَدُّ بها بنيانه، ويُشَيِّدُ هرمه، وقد تعدى الدور الإيجابي للجمعية في مَلَمَّةٍ شَعَثَ وجراح اليتيم لفقد سنده، وكفكفة دمعته، إلى مستوى كل الأبعاد الاجتماعية الضرورية منها، كتلبية كل احتياجاته المعيشية والتعليمية وغيرها إلى غير الضرورية في المجالات الفكرية والترفيهية، ناهيك عن

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل، "الجامع الصحيح"، كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم، رقم الحديث 2446، دط، مؤسسة علوم القرآن، عجمان، 1987م، ج 3، ص 129، ومسلم بن الحجاج، "صحيح مسلم"، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، دط، دار الكتب العلمية، 1978، رقم 2585.

البعد الديني الذي به تشتد علاقات المجتمع به، وإدراج هذه الفئة في الصفوف الأولى تتقدم غيرها نجاحاً وتقدماً، وتكريماً، فالبعد الاجتماعي للجمعية صورة جسدت كيانها مع ما تبقى من بعض التفاصيل التي تستدعي من المؤسسات الدينية الأخرى والمهتمين ومن علمهم تقع المسؤولية في إتمام الصورة على أكمل وجهها وهذا ما ترموا إليه شريعة الله في أرضه، وعلى إثر ذلك يتطلب تسخير الكثير من الجهود من المؤسسات الأخرى، التي تعتبر الدولة قمة هرمها في إعطاء دفعة قوية للجمعية محاولة منها في تغطية جبر العديد من الجوانب المظلمة لهذه الفئة بالأخص والمجتمع ككل لتشتد اللحمة وتظهر الآثار جليّة على كل المستويات، كما يُوصى بالاهتمام بالجانب التمويلي من طرف الهيئات المعنية والذي يعتبر منبع كل عمل خيري يرجى منه تحقيق الصورة الأكمل للمجتمع الأمثل.

قائمة المراجع :

1. ابن تيمية، "مجموع فتاوى ابن تيمية"، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، دط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دت.
2. ابن فارس، أبو الحسن احمد، "معجم مقاييس اللغة"، دط، دار الفكر، بيروت، 1979م.
3. ابن فارس، أبو الحسن احمد، "معجم مقاييس اللغة"، دط، دار الفكر، بيروت، 1979م.
4. ابن منظور، "لسان العرب"، دط، دار إحياء التراث العربي، لبنان، دت.
5. أبو داوود، سليمان بن الأشعث، "سنن أبي داوود"، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، ط1، دار الرسالة العلمية، بيروت، 2009م.
6. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، "معجم مفردات الألفاظ"، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
7. البخاري، محمد بن إسماعيل، "الجامع الصحيح"، دط، مؤسسة علوم القرآن، عجمان، 1987.
8. التقرير الأدبي لجمعية كافل اليتيم الجزائرية، سنة 2017.
9. الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد، "النهاية في غريب الحديث"، تحقيق محمود الطنّاجي، دط، المكتبة الإسلامية، دت.
10. الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد، "النهاية في غريب الحديث"، تحقيق محمود الطنّاجي، دط، المكتبة الإسلامية، دت.
11. الذهبي، شمس الدين، دت، "الكبائر"، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
12. الرازي، محمد بن أبي بكر، "مختار الصحاح"، تحقيق محمود خاطر، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1995م.
13. سلامي، دليّة، "حماية الطفل في قانون الأسرة الجزائري"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في القانون الخاص، جامعة الجزائر، كلية بن عكنون، 2007-2008.
14. عطية، صقر، "تربية الأولاد في الإسلام"، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 2003.
15. عقلة، محمد، "نظام الأسرة في الإسلام"، ط2، مكتبة الرسالة، عمان، 1989.

16. العودة، سليمان، موسوعة فقهية إلكترونية، www.salmanalodah.com.

17. القانون رقم 84-11، المتضمن قانون الأسرة الجزائري.

18. مسلم بن الحجاج النيسابوري، "صحيح مسلم"، دط، دار الكتب العلمية، مصر، 1978.

19. الموقع الإلكتروني للجمعية، www.kafilyatim.dz.

20. النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، "تفسير النسفي"، دط، دار إحياء التراث العربي، مصر، دت.

في الثقافة والاختلاف... نحو مقاربة سوسيوثقافية للمسألة النسائية

On Culture and Difference ... Towards a Sociocultural Approach to The Issue of Women

ط.د. إبراهيم بلوح/جامعة سيدي محمد بن عبد الله، المغرب

University of Sidi Mohamed Ben Abdillah, Morocco/Brahim Boulouh. Doctoral Cycle Researcher

ملخص:

تحاول هذه المقالة تسليط الضوء على منجز يتناول "المسألة النسائية" على نحو مغاير لما اعتادته العديد من الدراسات والأبحاث ذات الاهتمام الأمبريقي/العملي. ويتميز هذا الأخير بكونه ينصرف إلى دراسة تحليلية تولى أهمية كبيرة لمحاولة الإسهام النظري في الجدل الفكري والاجتماعي والسياسي لقضايا ومشكلات وأوضاع النساء، من خلال اقتراحه لعناصر منظورية ومنهجية للتفكير في أبعاد ودلالات هذه المسألة. وهو ما نعتقد في قدرته على إنتاج وتطوير المعرفة الإستمولوجية والمنهجية المعنية بالقضية المعروضة.

الكلمات المفتاحية: المدخل السوسيوثقافي- الموقف النقدي الحواري- المنهج النقدي المتعدد الأبعاد.

Abstract

This article attempts to shed light on a book that addresses the "women's issue" differently from what many studies and research of empirical / practical interest are used to. The latter is distinguished by being devoted to an analytical study that attaches great importance to attempting the theoretical contribution to the intellectual, social and political controversy of women's issues, through its proposal to theoretical and methodological elements to think about the dimensions and implications of this issue. This is what we believe in its ability to produce and develop epistemological and methodological knowledge on the issue presented.

Keywords : The sociocultural approach- the critical dialogue attitude - the multidimensional critical approach

تمهيد:

قبل أن نعرض ضمن هذا المقال بالتناول والتحليل لما تضمنته مباحث المنجز، والذي يقع في 176 صفحة من الحجم المتوسط، والصادر عن المركز الثقافي للكتاب بالدار البيضاء- المغرب لسنة 2018 لصاحبه الدكتور مصطفى محسن والموسوم بـ " في الثقافة والاختلاف.. نحو مقارنة سوسيوثقافية للمسألة النسائية"، من المفيد إطلاع القارئ، بشكل موجز جدا، بمضامين الكتاب. ولعل أول ملاحظة تتشكل في ذهن القارئ هو التزام الكاتب وحرصه منذ البدء على أن يطلع المتلقي بقضية الكتاب وبمنهج النظر والمقاربة، وهو ما ضمنه في تصديره في بداية المنجز. وتوخى عبر هذا التصدير إحاطة القارئ بملاحظات شخصية تخص السياق الاجتماعي للقضية، وما يرتبط بها من مواضيع ذات الصلة. وقد أتبع هذا التصدير بتمهيد حرص من خلاله الباحث على التأكيد بأن "المسألة النسائية"، وما يرتبط بها من إشكالات ومفاهيم، هي ذات بعد كوني، وما تزال تحتل حيزا محوريا في الفكر الاجتماعي والسياسي المعاصر للدول المتقدمة والمتخلفة معا.

عرض الكاتب من خلال مباحثه الثلاثة الأولى سؤال القضية النسائية، من خلال ما تحيل عليه من مفارقات في تناول والبحث والنقاش الدائر داخل فصائل الخطاب السياسي والاقتصادي والثقافي، بدءا من ثنائية مجتمع الحداثة وثقافة المجتمع الرجولية، ومرورا عبر سؤال الموضوعية الاجتماعية والاستلاب الإيديولوجي، وانتهاء بإشكالية التقاطب الدائر بين شعارات الخطاب وبؤس الواقع، مفردا لكل ثنائية وجهة نظره النقدية والتحليلية استنادا إلى منظوره المتسم بالتعدد والاختلاف. أما مبحثه الرابع فحاول فيه تقديم مقترحات نقدية، وآفاق ممكنة للتفكير من خلال مقتربه المنهجي للمسألة النسائية باعتبارها بدائل للتفكير والتحاو. بينما شكل المبحث الخامس حجر الزاوية ومبلغ هدف الباحث ضمن منجزه هذا، إذ بين ثناياه يكشف لنا بشكل واضح عن الإطار الموجه للنظر والمقاربة من خلال خلفيته المقترحة، وكذا أهدافه، فضلا عن غرضه الأساس وما يؤكد عليه في تناول هذه القضية.

وقد ذكر الباحث في مختتم منجزه بأن أي مقارنة أو منظور أو رؤية أو إطار منهجي أو إرشادي كيفما كان في تعاطيه مع المسألة المعنية، يفترض فيه أن يتناولها وفق مقارنة شمولية منفتحة على مختلف الرؤى والمداخل المقاربية والمعرفية والنظرية التي تتكامل فيما بينها، بما يسهم في إنتاج وتطوير المعرفة الإيستمولوجية والمنهجية المعنية بالقضية المعروضة. وتكشف لنا الملاحق¹ التي ذيل بها الكاتب منجزه عن اطلاعه الواسع بكل ما كتب حول الموضوع، ما يمنح القارئ أيضا فرصة الاستفادة من سجلات ومباحث أخرى، تغيى من خلالها الباحث أن تعمل على توسيع مجالات وأبعاد فهم القارئ انسجاما مع ما يطرحه من قضايا وإشكالات، خاصة وأن المتلقين/ القراء تختلف فهمهم وتأويلاتهم باختلاف مرجعياتهم الفكرية والاجتماعية الموجهة. وقد ضمن الباحث ملاحقه بعضا من تصورات ومواقف باحثين وجهات ومنظمات حكومية وغير حكومية تعنى بقضايا المرأة/ النوع، والتي يرى فيها ملاحق كفيلا، ضمن شروط وحدود معينة، بالمساهمة في النهوض المتكامل بأوضاع النساء.

تلکم إذن هي مضامين الكتاب وفق قراءة عمودية أولية. أما يلي هذا التمهيد فنعرض فيه قراءة أفقية تبتغي محاور المنجز عبر ثلاث عتبات أساسية: تتعلق العتبة الأولى بعرض قضية الكتاب ورهاناته. بينما تتعرض العتبة الثانية للخلفية النظرية

¹ أثار انتباهنا حجم الملاحق الذي شكل ثلث المنجز من حيث الحجم، ما يؤكد على الأهمية التي أولاها الكاتب لها.

والمقاربية التي اعتمدها الكاتب. أما العتبة الثالثة فنفردها من خلالها تصورات الكاتب النقدية، وكذا اقتراحاته للتجاوز، والتي يعرضها علينا باعتبارها آفاقاً للفعل والتغيير الراميان للنهوض بوضع المرأة.

قضية الكتاب ورهاناته

أشار الباحث إلى أن القضية المعروضة: "المسألة النسائية" صارت موضوع جدل وحوار وبحث بامتياز سواء بالمجتمعات الثالثة والعربية أو المجتمعات المعاصرة، ما يجعلها مسألة كونية ما تزال تحتل حيزاً محورياً في الفكر الاجتماعي والسياسي المعاصر للدول المتقدمة والمتخلفة معاً. فإذا كانت مختلف أشكال الهيمنة الذكورية والتسلط الرجولي ما تزال جلية في كثير من القيم والتصورات والمواقف والسلوكيات بالدول المتخلفة، فهذا لا ينفي حضورها أيضاً، ولو بأشكال رمزية مختلفة بحسب اختلاف الثقافات السائدة، بالمجتمعات المتقدمة. ويرجى الكاتب ثبات هذه القيم إلى أن كل المجتمعات تجر خلفها تاريخاً مثقلاً "بالقهر الأنثوي" وبكل أشكال الوصم والعسف والإقصاء.. فعلى الرغم من خصوصيات السياقات السوسيوثقافية لكل مجتمع، ففي مجمل هذه المجتمعات، وبحسب ما تكشف عنه مختلف الدراسات السوسولوجية والأنثروبولوجية، يعاد إنتاج الاختلاف والتراتب الجنسي عبر العلاقات الاجتماعية والتبادلات المادية والرمزية بين الجنسين كما لو أن الأمر مألوف وطبيعي.

غير أن المتغير الذي يؤكد عليه الباحث يتمثل في أن المجتمعات الغربية تعمل على إعلاء شأن العنصر البشري، باعتباره رأسمالاً منتجاً وفعالاً في الدينامية المجتمعية. وهو ما أسهم في إعطاء "المسألة النسائية" معنى قيم التحرر والمساواة بين عموم البشر بصرف النظر عن اختلافاتهم الجنسية أو الطبقية أو الإثنية¹. وينطلق الباحث من هذا المعطى الحضاري الهام محاولاً بذلك إعمال مقارنة بين أوضاع المرأة بمجتمعات الشمال وبين أوضاعها في مجتمعات الجنوب. مقارنة سرعان ما تميظ اللثام عن بون كبير على الرغم من مختلف المجهودات المبذولة من قبل هذه الأخيرة.

ولعل الطابع المأزمي هو ما يخيم على واقع النساء بهذه البلدان، إذ ما تزال النساء تترجح تحت وطأة هذا الواقع لاعتبارين اثنين خص أحدهما الكاتب: في الإرث الناتج عن مخلفات الاستعمار التي عملت على تآبيد وإدامة شروط إنتاج وإعادة إنتاج التبعية والتخلف والارتهاان لمراكز القوى العالمية². بينما ضمن الاعتبار الثاني في الإرث الماضوي التقليدي الذي لم يستثمر منه إلا

¹ تجربة دولة هولندا التي تتوجه نحو مجتمع بدوام جزئي. وهو مجهود أسهمت فيه خلال التسعينات مختلف القوى المدنية: (جمعيات ونقابات وأوساط سياسية) فضلاً عن النقاش الذي قاده نساء باحثات في السوسولوجيا والجغرافيا وتخطيط المدن، والذي أدى إلى مراكمة معارف ملموسة حول المعاناة التي تعانيها النساء الإيطاليات في إطار المصالحة بين عملهن المنزلي والمهني. كل ذلك دفع بالإدارات والشركات والمقاولات والتنظيمات النقابية ومختلف الفاعلين الاجتماعيين إلى محاولة التوفيق بين أوقات العمل وحاجيات النساء وعموم المواطنين، وهو ما أدى إلى ما صار يصطلح عليه بمدينة ميلان بداية " زمن المدينة". للمزيد من الاطلاع، أنظر:

Dominique Méda, le temps des femmes : pour un nouveau partage des rôles, op cit, p : 151- 152 et 168-169

² لم تكتف الظاهرة الاستعمارية بتخريب العمران وقتل البشر ونهب الثروات المادية والرمزية، وهذه الخسائر بأكملها أمر هين إذا ما قورنت بالنكابة العظمى التي أصابت أجيالاً متعاقبة فتحت أعينها على النموذج الغربي، وما فعله في كيان الأمة الإسلامية والعربية من تغريب وسلب للهوية والذات، وتشويه لمقومات هذه البلدان الدينية والفكرية والثقافية، ما أسهم في تآبيد وإدامة الشروط المعيدة لإنتاج شروط إنتاج التبعية والتخلف والارتهاان، قراراً ومصيراً، لمراكز القوى المهيمنة على المستوى الكوني. للمزيد من الاطلاع، أنظر:

- عبد السلام ياسين، تنوير المؤمنات، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار البشير للثقافة والعلوم- طنطا- مصر، ص: 29

جوانبه المظلمة، وذلك على حساب الجوانب المشرقة من التراث العربي الإسلامي. وهو ما ينعكس أيضا في كثير من فصائل الخطاب النسائي عند تناولها للمسألة النسائية وانتقادها للتيارات الدينية من خلال الفتاوى والأحكام الفقهية التي عملت على تأويل النص الديني بوضع كل تلك الاجتهادات في سلة واحدة وعمومية مثيرة للاستغراب¹، باعتبارها تحيل على أصولية مغلقة متبينة لفكر ظلامي يقصي ويصادر حقوق المرأة، مستندة في ذلك على "أضيق التأويلات الفقهية وأعسر المذاهب في حق المرأة"²، وإغفالها لبعض المفكرين الإسلاميين الذين جلوا بدراساتهم³، صورة حياة النساء المؤمنات على عهد النبوة هي أبعد ما يكون عن فقه سد الذرائع الذي حشر المسلمة في ركن حرج⁴ الأمر الذي يحيل على النهج الانتقائي عوض الاستقرار أو الاستقصائي، وعلى تغليب الخلفية الإيديولوجية عما تقتضيه الدراسة والقراءة العلميتين.

إن هذا الواقع المتسم بثنائية مجتمع الحدائة وثقافة المجتمع الرجولية جعل جل دول الجنوب تنحصر في مجتمعات "البين بين"، أي بين مطرقة التقليد المتحجر وسندان الحدائة المستوردة، الأمر الذي لم يجعلها قادرة على تطوير وتحديث ميراثها السوسيوحضاري انسجاما مع مقتضيات السياق الحضاري الكوني. ويؤكد الباحث على أن هذا الواقع، الذي تعكسه العديد من المعتقدات والقيم السائدة بالوطن العربي اتجاه وضع المرأة الحالي، هو الذي يقف كحائط صد في وجه المرأة، ويحول دون أن تنتزع الاعتراف الاجتماعي والثقافي الذي ما يزال مؤجلا، على الرغم من الانخراط المطرد للنساء عبر مختلف الأصعدة والميادين المجتمعية، وما حققه هذا الانخراط والحضور من نجاح في مختلف القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والمدنية.

ويرجى الباحث سبب هذه المفارقة إلى "الذهنية التقليدية" التي لا تزال تتخذ من "الاستبدادية الرجولية" مرتكزا لها في كل علاقة اجتماعية للجنس. صحيح أن الرجل اليوم لم يعد له اعتراض على تعلم المرأة وعملها ومشاركتها في الشأن العام، وارتياها أيضا لمناصب مهنية عليا، لكن عندما يتعلق الأمر بشريكة هذا الأخير أو إحدى قريباته تنبري روايب الماضي لتكشف عن مواقف وسلوكات سرعان ما تنكر كل تلك الشعارات العامة الداعمة التي رفعها سابقا، وهو ما يناقض بنظره، قيم الديمقراطية والحدائة. إنها بنيات ذهنية متحكمة في الوعي من خلال تجدها في الواقع السوسيوثقافي القائم. هذا التجذر هو ما يجعلها قادرة على مقاومة كل أشكال التغير التي أحدثها الحضور النسائي بالفضاء العام. فلا غرو إذن بأن تكتنف تلك المفارقة الخطاب التحديتي للمسألة النسائية، وهو ما يجعله أشبه ما يكون بشعارات جوفاء تفتقد لأهداف ومقاصد واضحة، ولا تستند بالمقابل على رؤية علمية داعمة للقضية النسائية. لذلك يعتقد الباحث أن سمة العديد من البرنامج أو المبادرات أو الخطابات أو التعديلات القانونية أو التشريعية هي مفارقتها للواقع ومناقضتها للأهداف والوظائف.

¹ الهادي الهروي، الأسرة، المرأة والقيم، تساؤلات سوسيوولوجية في قضايا المرأة، المرجع السابق، ص: 56

² عبد السلام ياسين، تنوير المؤمنات، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار البشير للثقافة والعلوم- طنطا- مصر، ص: 31

³ على سبيل المثال لا الحصر، وللمزيد من الاطلاع، أنظر: عبد الحليم محمد، أبو شقة، تحرير المرأة في عصر الرسالة، الطبعة السادسة، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002.

⁴ عبد السلام ياسين، تنوير المؤمنات، المرجع السابق، ص: 31

إن رهانات هذه الدراسة التحليلية، الذي ما فتى الباحث يؤكد عليها بدءاً من تصديره ومروراً بمباحثه الخمس وبعداً في اختتامه، لا تستهدف الإمام الشمولي بكل الأبعاد والدلالات السوسولوجية والسيكولوجية والفلسفية والسياسية.. لـ "المسألة النسائية"، وإنما تكمن في محاولة اقتراح زاوية مقارنة نوعية للإطلال على جوانب ومظاهر وتجليات هذه القضية. إنها عبارة عن محاولة للمشاركة في الجدل الفكري والاجتماعي والسياسي لقضايا ومشكلات وأوضاع "المسألة النسائية". وتسعى هذه المحاولة جاهدة إلى اقتراح وتقديم عناصر منظورية ومنهجية للتفكير في أبعاد ودلالات المسألة النسائية باعتبارها قضية اجتماعية، وذلك بغرض إنتاج وعي نقدي وتأسيسي جديد للمسألة النسائية من خلال الخلفية السوسولوجية الثقافية كإطار موجه للنظر، وتأسيساً على منظور نقدي حوارى منفتح ومتعدد الأبعاد، وهو ما سنتعرض له في العنصر الموالي.

الخلفية النظرية والمقاربة للكتاب

أكد الكاتب في تصديره بأن زوايا النظر ومناهج التحليل التي تعنى بمقاربة "المسألة النسائية" تتعدد من جهة أولى، بتعدد المدخلات المقارنة كمدخل مقارنة النوع، والمدخل السياسي، ومدخل تنمية الموارد الإنسانية، والمدخل الاقتصادي، والمدخل الحقوقي القانوني والتشريعي، والمدخل الديني، فضلاً عن المدخل السوسيوثقافي الذي يعتمد عليه الكاتب ضمن مقارنته للقضية، ومن جهة ثانية، باختلاف التخصصات المعرفية التي تقارب "المسألة النسائية" كعلم النفس، وعلم الاجتماع، والقانون، والأنثروبولوجيا، والشريعة.. ومن جهة ثالثة بتعدد المنطلقات الإيديولوجية لكل باحث حداثة كانت أو محافظة أو توفيقية... وفي سبيل إطلاع القارئ على مجمل الدواعي والاعتبارات التي دفعت بالكاتب لاتخاذ المدخل السوسيوثقافي كمنهج للنظر والمقاربة، فقد أفرد خمسة عوامل نوجزها فيما يلي:

- 1- أهمية الثقافة بمفهومها السوسيوأنثروبولوجي لقدرتها على مقاومة التغيير السريع ومقدرتها على توجيه القيم وأنماط التفكير والفعل؛
- 2- عدم قدرة مجتمعاتنا الثالثة على إفراز ثقافة حداثة مستوعبة لمجمل قيم الحدثة والحرية والكرامة والمساواة وتقدير الإنسان؛
- 3- استمرار ثقافة "المجتمع الأبوي" و"الهيمنة الذكورية" داخل منظومات القيم والمعتقدات الاجتماعية؛
- 4- التأثير البالغ لمنظومات القيم وأنساق الثقافة على تمثلات ووعي الجنسين، وهو ما لا تزال تؤكد العديد من الدراسات السيكولوجية والسوسولوجية والأنثروبولوجية؛
- 5- ضرورة عودة الباحث السوسولوجي إلى مكونات "الثقافة الذكورية" وإلى "تقليدية المجتمع الأبوي" حتى يتأتى له فهم أوليات الصراع وأشكال التوتر بين الرجل والمرأة.

غير أن كل هذه المبررات التي يدفع بها الكاتب لجعل المدخل السوسيوثقافي مقترحا مقارنياً للقضية المعروضة لا ينبغي، على حد تعبيره، أن يفهم على أنه رؤية منهجية سوسيوثقافية sociologisme تفترض إقصاء باقي المقاربات/ المدخل. بل على العكس من ذلك، ينبغي على الباحث الموضوعي في مقارنته لـ "المسألة النسائية"، وفي رصده لها وتفسيره لعواملها وأبعادها ودلالاتها، بما هي ظاهرة ديناميكية دائمة التغيير، أن يعتمد "منظورا تحليليا نقديا تكامليا"، لذلك فقد عمد الكاتب إلى استدعاء المنهج المشكل لمشروعه العلمي، والمتعلق بالمنهج المتعدد الأبعاد، والذي يؤكد من خلاله على ضرورة التحوط المنهجي وعدم الانزلاق

لاختزال المسألة النسائية في أحد مكوناتها أو عناصرها، فكل طرح لهذه الأخيرة يستدعي تلازمها وتجادلها العلائقي مع المسألة الاجتماعية.

إن الأمر يستوجب اتخاذ "موقف نقدي حوارى مرن متعدد الأبعاد" يقطع مع "الكاست المعرفي"، ويفسح المجال لاستدعاء مختلف المعارف والمناهج والنظريات ونماذج التحليل والمقاربة والعمل أيضا على "تنسيبها" تنسيبا موضوعيا وعقلانيا. ويؤكد الكاتب على أن هذا الأمر لا يجب أن يفهم على أنه مصادرة لحق الباحث في اختيار المرجعية النظرية والمنهجية التي تناسب انتماءه العلمي وموقفه المعرفي، طالما أن هذا الأخير يمتلك مبررات دقيقة وواضحة "لاختزاله المنهجي" ذاك في أي مقارنة علمية له، ويعني نظريا ومنهجيا أبعاد وخلفيات ورهانات الخطاب النسائي في مجتمعاتنا، مع استحضار الخلفيات المؤطرة والموجهة لهذه الخطابات. وهو ما يستوجب اتخاذ المسافة اللازمة بين الذات الباحثة والموضوع المبحوث، تماما كما تعلمنا إياه ابستمولوجيا وسوسيولوجيا المعرفة.

ويستطرد الباحث في توضيحه لمنهجه النقدي ليفرد لنا أهم أسس ومقومات هذا النقد من خلال أبعاده التالية:

- نقد للذات/ الأنا/ النحن، فردا كان أو إثنية أو جماعة أو مجتمعا بأكمله، في كافة أبعاد هذه الذات المعرفية والثقافية والحضارية المتعددة؛
 - نقد ثان للأخر/ الغير/ الغرب المغاير.. أيضا في كل مقوماته وإنتاجاته المعرفية والتقنية والحضارية؛¹
 - نقد ثالث للحظة التاريخية المشكلة للإطار السوسيولوجي، والذي تتفاعل فيه الذات مع الآخر، إذ أن الشروط التاريخية للتفاعل تختلف من سياقات سوسيو تاريخية إلى أخرى.
- إن هذا المنظور النقدي، في اعتقاد الكاتب، كفيل بأن يجنبنا تلك المنظورات الاختزالية أو الإسقاطية أو الانتقائية، ما من شأنه أن يؤسس لثقافة حدائية جديدة تقبل بالتمايزات وتتفهم الاختلافات، وتتفاعل معها بشكل إيجابي في إطار كونية منفتحة تسعى لتحقيق القيم الإنسانية الأصيلة.

مقترحات نقدية وأفاق ممكنة للتفكير

في محاولة نقده وتحليله لبعض فصائل الخطاب السياسي والاقتصادي والثقافي السائدة في مجتمعاتنا في تعاطيها للمسألة النسائية، استغرب الباحث من احتفاء هذه الفصائل إلى درجة السذاجة بقيم مجتمع المعرفة والعولمة والمواطنة وغيرها من القيم التي لا تنسجم بل وتتعارض أحيانا وواقع الحال بمجتمعاتنا التي ترزح تحت نير التبعية والارتهان وتعطيل التفكير والإبداع. والحال أن فئات عريضة من المجتمع تعاني نفس الوضع، وهو ما ينسحب أيضا على وضع النساء. إنه خطاب مستلب طالما أنه لا يمتلك قدرة ممنهجة على إعلاء شأن العنصر البشري ومحاولة استثماره في مسيرة التنمية الإنسانية الشاملة. لذلك فإن المسألة النسائية بدورها، والتي لا تنفصل عن المسألة الاجتماعية، ما لم يُعنى الخطاب الفكري أو الاجتماعي أو الحقوقي الذي يدافع عنها هو الآخر بقضايا التحرر والعدالة والمساواة بين كل فئات وشرائح المجتمع فسيظل ينتج ويعيد إنتاج التضليل

¹ هذا النقد الموجه للأخر نادرا ما نجده في الكتابات والأبحاث التي تعنى بالمسألة النسائية، إذ تنبري هذه الأخيرة إلى تداول براديفغات برانية المنشأ إلى حد الاحتفاء عوض أعمال النقد فيها، وتحرير المفاهيم التي تستند إليها من النزعة الغربية.

والاستلاب الإيديولوجي الذي تمارسه بعض الأطراف والجهات التي سماها الباحث بـ"سماسرة الأزمت" داخلية أو خارجية موظفة قضايا اجتماعية بعينها نسائية أو إثنية أو لغوية أو دينية.. إنها خطابات وقضايا بقدر ما لا تخدم المسألة النسائية بقدر ما تستنزف، بشكل مجاني، طاقات المجتمع البشرية والاقتصادية والسياسية. ففي اعتقاد الكاتب تعد المسألة النسائية إحدى أهم القضايا الاجتماعية والحضارية، ولذلك وجب التعاطي معها بشكل عقلاي استنادا إلى المعرفة الدقيقة بواقع المرأة في مجتمعاتنا، وما يتسم به هذا الواقع من خصوصية ثقافية وعقدية وحضارية.

ولم يكتف الباحث في تناوله للقضية النسائية عند تقديم انتقادات بشأن مفارقات التناول والبحث والنقاش الدائر داخل فصائل الخطاب السياسي والاقتصادي والثقافي، بدءا من ثنائية مجتمع الحدائق وثقافة المجتمع الرجولية، ومرورا عبر سؤال الموضوعية الاجتماعية والاستلاب الإيديولوجي، وانتهاء بإشكالية التقاطب الدائر بين شعارات الخطاب وبؤس الواقع، وهو ما تكتفي به العديد من الدراسات النسائية، بل حاول في المبحث الرابع تقديم آفاق ممكنة للتفكير من خلال مقتربه المنهجي للمسألة النسائية باعتبارها، على حد تعبيره، بدائل للتفكير والتحاور، وقد ضمها الباحث في ملاحظاته المنهجية التالية:

- يؤكد الكاتب في ملاحظته الأولى على ضرورة الوعي بالتعدد النظري والمنهجي للمسألة النسائية نظرا لتعدد هذه الأخيرة من حيث أبعادها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، فضلا عن أبعادها الإنسانية التي تتجاوز المجتمع المحلي الواحد لتؤثر في وتتأثر بباقي المجتمعات، دون نسيان البعد الديني الذي ما يزال مشكلا ومتحكما في نفس الآن للعديد من قيم ومعتقدات وسلوكات وأنماط فعل المجتمعات العربية والإسلامية.
- يمضي الباحث خلال ملاحظته الثانية في التأكيد على أنه بالرغم من وجود قواسم مشتركة بين المجتمعات العربية والإسلامية من جهة وعموم دول الجنوب من جهة أخرى إلا أن ثمة اختلافات وتميزات تخص المرأة ضمن سياقات سوسيوثقافية مختلفة من بلد لآخر. وهو ما لا يمكن رصده إلا من خلال بحوث نظرية¹ وأمبيريقية من شأنها أن تحقق ذلك التراكم العلمي الذي يثري أبعاد ودلالات المسألة النسائية.
- وخلال ملاحظته الثالثة يكشف الباحث عن مرجعيته الموجهة للنظر والتحليل أي المنظور السوسيوولوجي الذي لا يفصل بين المسألة النسائية والمسألة الاجتماعية، الأمر الذي يجعلها دائمة الصلة بالمسار الديمقراطي التنموي للمجتمع. ومن ثمة فقضية المرأة هي قضية سياسية بالأساس². وإذا ما نحا تناولها هذا المنحى فذلك من شأنه أن يؤسس لنسق سوسيوقيمي مؤطر للوعي المجتمعي، وموجه لمختلف التفاعلات الاجتماعية داخل المؤسسات أو في المجال العام بكل مكوناته ومقوماته المادية والرمزية.
- ويستترسل خلال ملاحظته الرابعة بالقول بأن إقامة الديمقراطية في مجتمعاتنا لا يمكن أن تتحقق في ظل ممارسة نخبوية لهذه الأخيرة؛ تستفرد بممارستها وتبريرها والاستفادة من عوائدها نخب اجتماعية واقتصادية وسياسية وفكرية، من دون

¹ يلاحظ على العديد من الدراسات والأبحاث العربية أنها تنحو منحنى أميريقيا عمليا، على الرغم من أهميته العلمية، ولا تكثرت بالقضايا النظرية والإبستمولوجية المحيطة لكل بحث علمي، الأمر الذي لا يسهم في إنتاج وتطوير المعرفة الإبستمولوجية والمنهجية المعنية بالقضية المعروضة. ولذلك نعتقد في الأهمية النظرية لهذا المنجز ومساهمته العلمية في ملء هذا النقص. للمزيد من الاطلاع على هذا الإشكال، أنظر، على سبيل المثال: فوزي بوخرص، حصيلة السوسيوولوجيا في المغرب وسؤال النوع، مجلة عمران، العدد 11/3، شتاء 2015

² يقترح بيير بورديو أيضا الفعل السياسي كمدخل جوهرى لكسر التواطؤ الموضوعي بين البنى المستدمجة وبنى المؤسسات الكبرى، والمساهمة في الأقول التدريجي للهيمنة الذكورية من داخلها. للمزيد من الاطلاع، أنظر: بيير بورديو: الهيمنة الذكورية: ترجمة د. سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2009.

إشراك للآخر في حق اتخاذ القرار وتديبر الشأن العام. وهو ما ينسحب أيضا على المرأة في بلوغ هذه المناصب والمشاركة الفاعلة والاشتغال الواعي بقضايا ومشكلات وتفاعلات المجتمع.

- وعن التنمية الاجتماعية بمنظورها الشمولي الحديث، وبحسب مؤشرات التنمية الحالية المستندة إلى الرأسمال الاجتماعي لكل مجتمع، والممثل في البشر، باعتباره الثروة الحقيقية لكل المجتمعات، أكد في ملاحظته الخامسة أن لا حديث يستقيم عن هذه التنمية ووضع نصف قوى مجتمعاتنا أو يزيد، كما هو وضع النساء، لا يزال يعكس واقعا سمته الأساسية التهميش والإقصاء والحرمان من ممارسة فاعليتهن داخل المجتمع. ولذا فإن هذا الواقع يعد أحد أبرز العوامل التي تجعل جل المشاريع التنموية معطلة أو معاقة.

- في ملاحظته السادسة، لم ينكر الباحث إسهام الخطاب النسائي في الوطن العربي، عبر مجمل مساهماته البحثية، في قراءة وتحليل ومواكبة مختلف التحولات العميقة التي شهدتها هذا الأخير، إلا أن الباحث يوجه النظر أيضا إلى فصائل أخرى من الخطاب النسائي الذي اتسم بالاختزال الشديد للمسألة النسائية أجملها في ثلاث نقاط:

• أولها يتمثل في سقوط بعض الخطابات النسائية في منزلق "منطق نسواني" مغال عندما حصرت المسألة النسائية في مشكلات وقضايا المرأة، أو شرائح نسائية فقط، مركزة بذلك على إيديولوجيا تغذيها "ميتافيزيقا اختلافية أو خلافية" تنظر من زاوية خصائص الجنسين باعتبارها خصائص ثابتة ومستمرة عبر الزمان والمكان، بينما ينظر إلى هذه الخصائص في العلوم الاجتماعية على أنها بناء اجتماعي (construit social) يتم إنتاجه وإعادة إنتاجه من خلال الأوضاع السوسيوثقافية للمجتمع، والتي تتعرض للتغير باستمرار.

• أما الاختزال الثاني للمسألة النسائية فيتمثل في حصرها في قطاعات بعينها، كمشكل التعليم أو الشغل أو الممارسة والحضور السياسي أو بعض القضايا الحقوقية والقانونية.. وهو ما يتأكد من خلال الرجوع إلى حصيلة سوسيوولوجيا النوع بالمغرب¹.

• فيم عبر عن الاختزال الثالث في زاوية النظر أو المدخل المقاربي الذي يعتمده الباحث في اشتغاله على المسألة النسائية سوسيوولوجيا كان أو سيكولوجيا أو أنثروبولوجيا، أو باستدعاء اتجاه نظري أو منهجي ما، وهنا يعطي مثلا بمقاربة النوع التي تقدم نفسها كما لو أنها المقاربة الوحيدة الممكنة. وقد تسبب التداول الواسع لمفهوم النوع في فقدانه لفعالته النقدية والتحليلية، بل إن انتشاره تجاوز الدوائر النسائية وصار أداة عملية في يد المنظمات الدولية². والحال أن المسألة النسائية بما هي ظاهرة اجتماعية إنسانية متعددة الأبعاد تفترض اعتماد أكثر من زاوية نظر أو مدخل مقاربي.

- أما عن ملاحظته ما قبل الأخيرة، والتي يعدها أهم ملاحظاته تلك، فعبر عنها بتفشي بعض الخطابات السائدة حول المسألة النسائية التي تتبنى بعض التصورات الإسقاطية؛ كأن تسقط على الحاضر بعض مفاهيم وتصورات الماضي، أو أن تسقط على هذا الحاضر مفاهيم أنتجها سياق سوسيوثقافي ومعرفي غربي مغاير. وهي بذلك تسقط إما ضحية نزعة مركزية ذاتية، أو ضحية منظور استشرافي متعال يحاول إخضاع الواقع للنظرية، وبالتالي هو ما يبعد الباحث عن روح الممارسة العلمية التي

¹ فوزي بوخريص، حصيلة السوسيوولوجيا في المغرب وسؤال النوع، المرجع السابق.

² Butler Judith, Fassin Éric, Wallach Scott Joan, « Pour ne pas en finir avec le « genre »... Table ronde », Sociétés & Représentations, 2007/2 (n° 24), p. 285-306. DOI : 10.3917/sr.024.0285. URL : <https://www.cairn.info/revue-societes-et-representations-2007-2-page-285.htm>

تضع في الاعتبار الأول الاسترشاد بالنظرية لفهم الواقع المبحوث مع استحضر خصوصية الواقع، وذلك مغبة السقوط في كل توجه استغرابي مستلب.

- وقد أفرد ملاحظته المنهجية الأخيرة لما أسماه أنفا بـ "المنطق النسواني"، والذي يفضي في آخر المطاف، في تعاطيه مع المسألة النسائية إلى منطق انتقائي وإقصائي يخطئ فهم الذات/ الأثنى والآخر المختلف/ الرجل. وهو ما لا يسهم في تدبير وحسن استثمار اختلافات وتميزات المجتمع الجنسية أو العرقية أو الثقافية أو العقائدية...، وبالتالي عوض أن تصير هذه التمايزات أساس ثراء المجتمع، تستحيل أساس كل هيمنة أو إقصاء.

آفاق التجاوز والفعل

لم يكتف الباحث بعرض تصوراته النقدية للمسألة النسائية فقط، بل اقترح علينا آفاقا للتجاوز والممارسة للنهوض بأوضاع المرأة في المجتمعات العربية والنامية وفق منظور مقاربي تنموي شمولي. وليتم تجاوز هذه العقبات إيجابيا يفترض، في اعتقاد الكاتب، في النظام السياسي للمجتمع أن يعمل على بلورة عقد اجتماعي جديد في إطار جماعي وتوافقي يكون بمثابة مرجعية موجبة لتدبير كل أشكال الاختلاف والتعدد داخل المجتمع. ويشكل مبدأ المشاركة الديمقراطية تدبيراً ومساهمة في الشأن العام أساس هذا العقد الجديد، بكل ما تقتضيه هذه المشاركة من ضمان للحقوق والواجبات، ومن تكافؤ حقيقي للفرص والمواقع والأدوار، وهو الواقع الذي سبقنا إليه الغرب، ويعمل باستمرار على تجذير هذه المشاركة عبر مختلف مؤسسات المجتمع، الأمر الذي ما تزال مجتمعاتنا الثالثة مطالبة بالعمل عليه، بما لا يختلف ويناقض مقومات هذه المجتمعات وقيمتها وخصوصياتها.

ويقتضي فعل النهوض بأوضاع المرأة، الذي يقترحه علينا الباحث، العمل المتكامل على واجبات ومجالات مترابطة، يعتبرها آفاقا للفعل والتغيير، وقد ضمنها في الواجهات التالية:

- الواجهة التربوية: باعتبارها دعامة أساسية تعمل على تحرير المرأة من مختلف أشكال الجهل والتبعية والإرتهان، باستفادتها من حقها في التعلم والتكوين والتأهيل والتمكين، حتى يتسنى لها ممارسة جملة من التأثيرات الفاعلة في التحديث والتنمية الاجتماعية الشاملة التي صار يستلزمها اليوم "مجتمع المعرفة".
- الواجهة السوسيواقتصادية: بما هي واجهة تتغى ضمان كرامة المرأة وصيانة حقها في العيش الكريم، من خلال توفير مختلف الشروط المادية والمعنوية لإدماجها في سوق الشغل ودورة الإنتاج، بما يسهم في تمكينها الاقتصادي بعيدا عن كل أشكال الاستغلال الاقتصادي والقهر الذي ما يزال يمارس على العديد من النساء خاصة القرويات منهم. ولن يتأتى هذا التمكين الاقتصادي إلا من خلال تملك رؤية سوسيواقتصادية واضحة المعالم بالاستناد على منهجية عقلانية ونظامية مؤطرة لمختلف أنماط التدخل والفعل.
- الواجهة القانونية: بالسعي إلى تجاوز تلك الرواسب الثقافية المتمثلة في التشبث ببعض الأعراف والتقاليد والقوانين التقليدية المرتبطة بتوزيع الأدوار والسلط والمواقع ومختلف الخيرات المادية والرمزية التي ما تزال النساء يعانين من عدم امتلاكها مقارنة مع الرجال. صحيح أن دولا مثل المغرب وتونس ومصر قد أبانت عن مجهودات في هذا الباب من خلال الأوراش التي مهدت لإصلاحات قانونية وتشريعية تبلورت عمليا في مدونة الأسرة والشغل...، لكن هذه "القفزة القانونية النوعية" غير كافية، ويجب أن تسند من خلال وسائط سوسيوثقافية أخرى تشتغل بشكل أساس على أنساق القيم وتمثلات الجنسين السائدة في مجتمعاتنا.

■ الواجهة السياسية: بقدر ما تبدو هذه الواجهة حاسمة في تغيير الوضع النسائي، وعلى الرغم من أن المشهد السياسي للعديد من الدول العربية قد شهد تحولات على مستوى بنياته وهياكله وآليات اشتغاله مما سمح لتمثيلية النسائية في الازدياد المطرد، إلا أن هذا الحضور السياسي النسائي لم يكن له تأثير واضح على الوضع المأزوم للنساء في هذه البلدان¹. وينتظر منه خلق مناخ ديمقراطي تعاقدي منفتح يتيح مزيدا من الفرص المتكافئة، بالاستناد على التنمية البشرية في كافة أبعادها السوسيواقتصادية المتكاملة².

■ الواجهة السوسيوثقافية: يعتقد الكاتب بأن التحرك على مستوى هذه الواجهة يستلزم الاستمناح الشمولي لكل مكونات المجتمع: جمعيات ونواد ونقابات وأحزاب ومجالس منتخبة.. باعتبارها مدارس/مؤسسات تربوية موازية للنظام التربوي القائم. وينتظر منها ممارسة وظائف التربية والثقيف والتوجيه وتنشئة الأفراد على قيم ومعايير المجتمع تكوينا وإعدادا وتأهيلا، يتجاوز الاستلاب وينافي الانغلاق على الذات، ويتجذر داخل الثقافة المحلية بالتشاور والتواصل أيضا مع مقومات وقيم المحيط الكوني الإنساني. ضمن هذا الإطار إذن ينبغي تحرير المرأة وتمكينها داخل المجتمع وإدماجها في مسارات وعمليات التنمية والتحديث.

على سبيل الختم :

إن قضية هذا الحجم والتأثير في مختلف مناحي ومفردات الحياة الاجتماعية تستلزم، بحسب الكاتب، تكاملا للرؤى والمنظورات وأساليب التدخل والفعل. وهو ما يفترض مشاركة مختلف الفاعلين في إصلاح مجتمعي شمولي وفق رؤية واضحة المعالم والمقاصد والمكونات، لتجاوز مختلف جوانب القصور وتشتت الجهود وتناقض المصالح والأدوار والمواقع. ويؤمن الباحث بقدرة هذا التصور الإصلاحي المجتمعي على تكريس الوعي بمختلف التحديات والرهانات، والدفع به للفعل في أفق تعزيز الطموح البشري الرامي لترسيخ ثقافة كونية جديدة، تعترف باختلاف الذوات، وتستوعب كل القيم الديمقراطية، وتنبذ في نفس الآن كل أشكال الإقصاء والتهميش والاستبعاد المبنية على أسس هوياتية أو فكرية أو سياسية أو جنسية³... والتي تقع القضية النسائية في صميم تفاعلاتها. إن ذلك الطموح البشري الرامي إلى إنجاح مختلف مشاريع التنمية والتطوير والتحديث أولا، وتحقيق التحول الديمقراطي المأمول بعدا، لا يمكن أن يتحققا ويتجذرا إلا من خلال الرأسمال البشري الذي تشغل فيه النساء حيزا مهما جدا.

¹ خلصت الباحثة أسماء بنعدادة في دراستها الموسومة بـ "المرأة والسياسة" بأن الانتماء الحزبي للمرأة ينحصر في وجودها داخل تنظيم خاص بالنساء، ويظل نشاطها السياسي مرتبطا أساسا بالقضايا المتعلقة بالمسألة النسائية. فبالرغم من مرور أزيد من ثلاثة عقود على أول تنظيم نسائي حزبي، وأمام تمثيلية النساء الباهتة في مراكز القرار السياسي، فلم تستطع بعد القطاعات النسائية من أداء الوظيفة التي وجدت من أجلها أي فك القطيعة بين المرأة والسياسة بما ينعكس إيجابا على واقع المرأة وحقوقها. للمزيد من الاطلاع، أنظر: أسماء، بنعدادة، المرأة والسياسة، دراسة سوسيوولوجية للقطاعات النسائية الحزبية، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، سلسلة أطروحات (2)، الطبعة الأولى، 2007، الرباط.

² فصل الباحث فيها في مقال له معنون بـ "المشاركة السياسية وآفاق التحول الديمقراطي في المغرب المعاصر". بالمجلة العربية للعلوم السياسية، الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 17 شتاء 2008، ص ص: (9-26).

³ تعتبر الفيلسوفة الأمريكية نانسي فريزر (Nancy Fraser) في شأن انتقادها لفصائل الخطاب النسائي خاصة ذات التوجه الليبرالي، أن النسوية التي تقول: «نحن لن ننظر إلى هذه القضايا، بل سنقتصر على الحديث عن النساء»، ستنتهي إلى أن تحصر حديثها في شريحة محظوظة من النساء. للمزيد من الاطلاع، المرجو العودة إلى:

وفي سياق استحضاره لأهمية هذه الطاقات البشرية النسائية، يؤكد الباحث على أنه بالنظر إلى ما تشكله النساء عددياً من كتلة سكانية هامة في بلداننا، وفي ظل مجمل التصورات والمواقف النمطية المبخسة لوضع المرأة وحضورها داخل المجتمع، فإن القطع مع هذه الرؤى ونماذج التفكير فكرياً وممارسة من خلال إعداد وتأهيل النساء باعتبارهن رأسمالاً اجتماعياً إنسانياً فاعلاً من شأنه أن يعمل على تحقيق التنمية والتحديث المجتمعي. ولعل حضور النساء إلى جانب القوى الاجتماعية الحية في مختلف أشكال الاحتجاج المجتمعية لبلدان ما بات يدعى بالربيع العربي لدليل على استماتة ومقاومة النساء¹، وهو ما يؤشر عن حس مواطني عال معبر عن دور المرأة واستحقاقية مشاركتها في العمل السياسي والاقتصادي والثقافي، على الرغم مما تعيشه من أوضاع ومشكلات الإقصاء والتهميش. إلا أن هذا "الحس المواطني"، باعتباره رأسمالاً إنسانياً، يلزم أن يؤهل ويستثمر ضمن توجهات تصحيحية ومشاريع نهضوية وتجديدية منبئية على رؤية تربوية وثقافية هادئة وموازية لمسارات الاحتجاج الثوري، وذلك حتى يصير رأسمالاً فاعلاً ومؤثراً في مختلف مسارات التنمية والتحديث والبناء الحضاري، وهدفاً أيضاً للتنمية ومركز ثقلها الأساس، ومحور ضمانة استمراريتها واستدامتها.

قائمة المراجع :

المراجع باللغة العربية

- 1- أبو شقة عبد الحليم محمد، تحرير المرأة في عصر الرسالة، الطبعة السادسة، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002.
- 2- بنعدادة أسماء، المرأة والسياسة، دراسة سوسيولوجية للقطاعات النسائية الحزبية، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، سلسلة أطروحات (2)، الطبعة الأولى، 2007، الرباط.
- 3- بورديو بيير: الهيمنة الذكورية: ترجمة د. سلمان ععفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2009.
- 4- بوخريص فوزي، حصيلة السوسيولوجيا في المغرب وسؤال النوع، مجلة عمران، العدد 11/3، شتاء 2015.
- 5- محسن مصطفى، المشاركة السياسية وأفاق التحول الديمقراطي في المغرب المعاصر، المجلة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 17 شتاء 2008، ص ص: (9-26).
- 6- محسن مصطفى، في الثقافة والاختلاف.. نحو مقارنة سوسيوثقافية للمسألة النسائية، الطبعة الأولى: 2018، المركز الثقافي للكتاب- الدار البيضاء- المغرب
- 7- الهادي الهروي، الأسرة والقيم، المرأة والقيم، تساؤلات سوسيولوجية في قضايا المرأة، أفريقيا الشرق، المغرب، 2013.
- 8- ياسين عبد السلام، تنوير المؤمنات، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار البشير للثقافة والعلوم- طنطا- مصر.

¹ باتت النساء اليوم، بحسب آلان تورين، أشبه ما يكون بالطبقة العمالية التي تحارب على واجهتين: إحداهما تتمثل في مواجهة للتحديات والسلط السياسية والاجتماعية التي ترزح تحتها النساء، والواجهة الأخرى تتمثل في صراع النساء في مطالبتهن بالحقوق والحريات. للمزيد من الاطلاع، أنظر:

Alain Touraine, Le Monde des femmes (Paris: Fayard, 2006), p. 37.

المراجع باللغة الأجنبية

- 9- Butler Judith, Fassin Éric, Wallach Scott Joan, « Pour ne pas en finir avec le « genre »... Table ronde », Sociétés & Représentations, 2007/2 (n° 24), p. 285-306. DOI : 10.3917/sr.024.0285. URL : <https://www.cairn.info/revue-societes-et-representations-2007-2-page-285.htm>
- 10- Fraser Nancy, Le féminisme à l'ère du néolibéralisme, Dialogue global, Volume 8/Numéro 3/ Décembre 2008.
- 11- Méda Dominique, le temps des femmes : pour un nouveau partage des rôles, op cit, p : 151- 152 et 168-169
- 12- Touraine Alain, Le Monde des femmes (Paris: Fayard, 2006)



جميع الحقوق محفوظة
© مركز جيل البحث العلمي